

ⵜⴰⴷⵓⴷⴰ ⵜⴰⵎⴳⴷⵉⵔⵜ
ⵜⴰⵎⴳⴷⵉⵔⵜ ⵜⴰⵔⴰⵎⴰⵏⵜ
ⵏ ⵜⴰⵎⴳⴷⵉⵔⵜ ⵏ ⵜⴰⵔⴰⵎⴰⵏⵜ
ⵏ ⵜⴰⵔⴰⵎⴰⵏⵜ ⵏ ⵜⴰⵔⴰⵎⴰⵏⵜ



المملكة المغربية
وزارة الشباب
والثقافة والتواصل
قطاع الثقافة

Royaume du Maroc
Ministère de la jeunesse, de la Culture et de la Communication
Département de la Culture

أبجدات في الكتاب العربي المخصوص

إعداد وتنسيق وتحرير
عبد العزيز الساوري

6
الجزء السادس

أبحاث في الكتاب العربي المخطوط

إعداد وتنسيق وتحرير
عبد العزيز الساوري

الجزء السادس

عنوان الكتاب: أبحاث في الكتاب العربي المخطوط

التصنيف: دار الحديث الكتانية - طنجة بيروت

الناشر: وزارة الثقافة والشباب والرياضة (قطاع الثقافة) - الرباط المملكة المغربية

الطبع: مطبعة دار المناهل - الرباط

رقم الإيداع القانوني: 2021MO3516

الرقم الدولي المعياري للكتب (ردمك): 978-9920-692-26-7

الفهرس

- ابن مُخْلِص السَّبْتِي وَتُرَاثُهُ الْمَخْطُوطُ: تَعْرِيفٌ وَتَوْصِيفٌ
يوسف المودن 5
- ابن برجان الإشبيلي (ت536هـ): سيرة عالم وملاح مدرسة
عبد الرزاق عكان 39
- أغناطيوس كراتشكوفسكي وجهوده في خدمة المخطوط العربي
فاطمة العبد الفتاح الزعبي 75
- سعيد المقرّي، عالم تلمسان، ومُفتيها، وخطيبُ جامعها
عبد الحليم بن ثابت 131
- المحور السابع: خزائن ومكتبات 173
- رواق المغاربة بالجامع الأزهر ونفائس المخطوطات الحديثية فيه
عادل عبد الرحيم محمد رفيع العوضي 175
- مكتبة العلامة ابن التلاميذ التركي الشنتقطي
محمد علي أمسكين 205

خزانة فجيج في عيون الرحالين المغاربة

231 محمد بوزيان بنعلي

259 المحور الثامن: نقد التحقيق

شعر ابن خروف القرطبي (ت613هـ): نقد واستدراك

261 صفاء عبد الله برهان

295 المحور التاسع: مصاحف المغرب

مخطوطات المصحف الشريف بالمملكة المغربية، نحو الفهرسة المعلوماتية

والقراءة الافتراضية

297 لحسن تاوشيخت

ابنُ مُخْلِصِ السَّبْتِي وَتُراثُهُ المَخْطُوطُ

تَعْرِيفٌ وَتَوْصِيفٌ

يوسف المودن

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي

وزارة التربية الوطنية للمملكة المغربية

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أكرم خلق الله قاطبة، سيد الأولين والآخرين؛ محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه.

وبعد: فإن التعلق بالتراث تعلق طبيعي فطري، لأنه تعلق بالزمن والتاريخ، حيث يُمدّ الماضي الحاضر لقوة الارتباط، ويفتح الحاضر آفاقاً في المستقبل بما يستمدّه من الماضي، فكل إبداع مستقبلي ناتج عن مكتسبات تراكمت من الماضي، تعلق الفكر والقلب بها تعلق جبلياً، وحنّ إليها لجمال الذكرى المتضمنة فيها، فنبع عن ذلكم التعلق إحساس بقيمة هذا التراث وأهميته، يحمل صاحبه على العمل في استثماره من بعض جوانبه، معتمداً على الأصول والأسس العلمية الجادة؛ بعدما تكونت لديه تلكم الرؤية الصحيحة للتجديد الذي ننشده.

ومن الوفاء أن يكون الإنسان على صلة قوية بالماضي التليد، الزاخر بالأفكار والمعارف والتجارب الرصينة، ومن أهم ما في هذا الماضي من التراث ما خطته أنامل عقول الأمة، وألّفوه من بنات أفكارهم، ولعل أقل ما يحتاجه منا هذا التراث يتمثل في

العناية به، والعمل على جمع شتاته، والحفاظ عليه، والتعريف به، ونشره محققاً تحقيقاً علمياً أكاديمياً يقربه إلى أذهان أجيالنا، ويشدهم إليه في قالب علمي وفكري معرفي تجديدي أصيل.

إن تراثنا الإسلامي كثيراً منه ما يزال مخطوطاً ومرصعاً في رفوف الخزانات والمكتبات الخاصة والعامة، الوطنية والدولية، وواجبنا هو نفص الغبار عنه، والتعريف به وبكُتّابه، والعمل على نشره وإخراجه.

من هذا المنطلق، ووعياً مني بهذه المسؤولية الملقاة على عاتقي كوني باحثاً في الدراسات الإسلامية، ومهتماً بتراث الغرب الإسلامي خاصة، اخترت أن أشارك الإخوة الباحثين في أعمال كتاب: «أبحاث في الكتاب العربي المخطوط»، الذي يصدر عن وزارة الثقافة والشباب والرياضة: قطاع الثقافة، من خلال التعريف بالتراث المخطوط للفقهاء العلامة: أبي البركات، محمد بن القاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الأنصاري، المعروف: بابن مخلص السبتي، (الذي كان حياً: 812هـ)، هذا العالم الذي كانت له مشاركات في بعض الفنون والمجالات الفكرية والثقافية، وإسهامات نافعة.

أهداف البحث:

في هذه الورقة البحثية سأعمل على التعريف بالحقبة الزمنية التي عاش فيها ابن مخلص السبتي، وبالرقعة الجغرافية التي عاش عليها؛ لبناء ترجمة علمية تركيبية له، واصفاً ومعرفاً بمؤلفين من مؤلفاته، أحدهما: (أدلة التوحيد والنبوة والبعث من آيات القرآن، المكسبة للقلوب مزيد الإيمان والإيقان)، وآخرهما: (أنجح الوسائل في شرح الشمائل).

خطة البحث:

ولتحقيق الأهداف السالفة الذكر، فقد انتظم هذا البحث في: مبحثين وأربعة مطالب وخاتمة.

المبحث الأول: التعريف بابن مخلص السبتي.

المطلب الأول: ابن مخلص السبتي نظرة في سياق الولادة والنشأة ومسار التعلم وطلب العلم.

المطلب الثاني: موارد ثقافة ابن مخلص وأصول فكره وعقيدته ومذهبه وسلوكه.

المبحث الثاني: مؤلفات ابن مخلص السبتي وآثاره المخطوطة.

المطلب الأول: مخطوط - أدلة التوحيد والنبوة والبعث: وصفٌ وتعريف.

المطلب الثاني: مخطوط - أنجح الوسائل في شرح الشمائل: وصفٌ وتعريف.

خاتمة: رصدت فيها بعض نتائج البحث وخلاصاته.

منهج البحث:

ولتحقيق أهداف البحث السالفة الذكر وتنفيذ خطته السابقة الوصف، اعتمدت منهجاً وصفيّاً تحليليّاً واستقرائيّاً تاريخيّاً.

المبحث الأول: التعريف بابن مخلص السبتي

لا تسعفنا المعطيات وكتب التراجم والطبقات في صياغة ترجمة شافية لابن مخلص السبتي، وذلك لغياب ذكر اسمه في كتب التراجم؛ لكن ما نعرفه أنه عاش في مدينة سبته العالمية، وفي الفترة التي كانت سبته تن تحت هجمات العدو الصليبي الإسباني البرتغالي، الطامح والطامع في سلب سبته من أهلها؛ لأغراضه ونواياه الاستعمارية التوسعية، وذلك في فترة ضعف الأمة الإسلامية والسلطين والأمراء

المرينيين، أي ما قبل: (818هـ)، فيلامون ولا شك على تفريطهم في سبته وتسليمها للبرتغاليين؛ لكن لا ينكر فضلهم وما قدموه وأسدوه لسبته في فترات حكمهم، حيث يقول: المفكر المغربي عبد الله العروي: «يجمع الدارسون على أن العهد المريني - الحفصي - الزياني يمثل ذروة الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب؛ لأنها لم تعد كما كانت من قبل محصورة في منطقة مغربية دون سواها، بل شاركت كل المناطق بنصيبها في حفظها ونشرها، تبدو لنا ثقافة القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب غنية متنوعة، فننسى أنها لا تعبر عن تجربة المغرب التاريخية، بل تمثل شكلاً ومحتوى آخر برّيق سطعت به الأندلس قبل أن تغيب من الأفق، وإن بقيت ماثلة في الوجدان»⁽¹⁾.

المطلب الأول: ابن مخلص السبتي: نظرة في سياق الولادة والنشأة ومسار التعلّم وطلب العلم

لقد تميزت مدينة سبته بموقعها الجغرافي الاستراتيجي المتميز، وعرفت كمدينة إسلامية مغربية ذات رمزية تاريخية وإشعاع ثقافي رائد، فأعلامها وعلمائها كانوا ولا زالوا أهل تقدير وتشريف وتعريف بها، ووسام شرف لها، فهذا الشريف الإدريسي السبتي: العالم المستكشف، والجغرافي المخترع البار، الذي يعرفه الصغير والكبير، وهذا القاضي عياض السبتي: العالم المدقق المحقق، سليل أسرة العلم والصلاح، الذي لا يذكر اسمه إلا وهو مضاف إلى مدينة سبته إضافة تشريف وتكريم، وتلكم أسرة آل العزفي أسرة العلم والعلماء والحكام والأمراء..؛

فهذه حال سبته: نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجريين؛ حيث مجالس الدرس في غالب المساجد والأحياء، كما أن العلماء والأدباء يحجون إليها من أنحاء

(1) مجمل تاريخ المغرب: د. عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، طبعة: 2012م، (ص: 440).

وآفاق البلاد الإسلامية، فيقع اللقاء والأخذ والعطاء بين العلماء والأدباء، وتعتقد المناظرات العلمية والمجالس الأدبية، حتى صارت سبّعة عاصمة من عواصم الأدب والعلم، «كما كان لطلبتها من النباهة القدر الكبير، وقَلَمًا يسلم منهم وافد من أهل العلم، فهم يمتحنونه؛ حتى لكأنهم لا يريدون أن يطأ أرض مدينتهم إلا المبرز في فنه، الواسع الاطلاع»⁽¹⁾.

هذا المعطى والمظهر الثقافي الذي لن يدوم طويلا، «فابتداء من نهاية القرن الثامن وبداية التاسع، فإن بريق العلم في سبّعة بدأ في الخفوت والاندحار، وأخذت بيوت أهل العلم ومراتب طلبة العلم تتلاشى وتهجر، ولا يتتصف القرن التاسع حتى تختفي أو تكاد، ولم يبق لعلمائها من ذكر في غير «شواهد» مقبرة «زجلو» وغيرها من مقابر سبّعة»⁽²⁾.

الفرع الأول: ابن مخلص السبتي: نظرة في سياق الولادة والنشأة:

في هذه الحقبة الزمانية - نهاية القرن الثامن وبداية التاسع - من تاريخ الغرب الإسلامي والمغرب الأقصى، وفي هذا الجو السياسي والمناخ العلمي والثقافي والفكري السائد بمدينة سبّعة؛ ولد قاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الملك بن مخلص السبتي، هذا العالم الذي لا تمكنا ولا تسعفنا المصادر التاريخية ولا كتب التراجم من معرفة تاريخ ولادته وبذور نشأته ومسار تعلّمه، وما إن تصدر للدّرس والتدريس

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: 1424هـ، (189/1 وما بعدها).

(2) مقال: من بيوتات سبّعة في القرن الثامن الهجري، د. عبد السلام شقور، مجلة دعوة الحق، العدد: 286. نسخة الكترونية غير مرقمة صفحاتها، محفوظة بالموقع الإلكتروني لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية. رابط الموقع: (www.habous.gov.ma)، بتاريخ: (11/02/2021م).

والدعوة إلى الله، أم لا؟؛ كما أنها لا تسعفنا في: الاطلاع على حياته الشخصية الأسرية والاجتماعية، ومقدار العمر الذي عاشه، ولا حتى تاريخ وفاته.

مما يجعلنا نتساءل فنقول: لماذا لم يترجم ابن مخلص لنفسه أسوة بأهل العلم والعلماء؟ ولماذا لم يترجم له أهل العلم وطلبته؟ أم أن هناك شيئاً من هذا القبيل لكنه لم يصلنا؛ نظراً لحساسية ودقة المرحلة التي عايشها واضطرابها السياسي والاستعماري، والتي طمست فيها سير أعلام وعلماء، وضاعت فيها كتب وتقائيد ومؤلفات.

إن كل هذا وارد؛ فالتاريخ الوحيد الدقيق الذي وصلنا عن حياة ابن مخلص هو المثبت في كتابه: «أدلة التوحيد والنبوة والبعث...»، وهو تاريخ انتهائه من خط مخطوطه، وهو: (812هـ)، هذا التاريخ الذي يعدُّ ذروة محنة أهل سبته؛ حيث لم تمض إلا خمس سنوات حتى تم احتلالها وسلبها من طرف البرتغاليين النصاري، «يوم: الأربعاء منتصف جمادى الثانية من عام: (818هـ)»⁽¹⁾، «وذلك بعد مقاومة عنيفة وضارية من طرف أهل سبته، الذين قاتلوا جنود النصاري في ساحة المدينة وأزقتها منذ أولى ساعات الصباح وحتى حلول المساء؛ إلى أن أفنى القتل جُلَّ المقاومين المغاربة، باستثناء الذين فروا إلى الجبل مع عامل المدينة»⁽²⁾؛ حيث لا يستبعد أن يكون ابن مخلص ممن

(1) اختصار الأخبار عن كان بغير سبته من سني الآثار، لأبي القاسم محمد بن القاسم الأنصاري السبتي: (كان حيّاً: 825هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد السلام الجعماطي، منشورات المجلس العلمي المحلي لعمالة: المضيق-الفيندق، سنة: 1415هـ/2015م، (ص: 27-28).

(2) ينظر: تواريخ السبتيين، شذرات من كتاب الكواكب الوقادة، في ذكر من دفن في سبته من العلماء والصلحاء والقادة؛ وبلغة الأمانة ومقصد اللبيب، فيمن كان بسبته في الدولة المرينية، من مدرس وأستاذ وطبيب، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي، (كان حيّاً: 820هـ)؛ دراسة وتحقيق: د. عبد السلام الجعماطي، منشورات المجلس العلمي المحلي لعمالة: المضيق-الفيندق، سنة: 1415هـ/2015م، (ص: 21).

استشهدوا في هذه المعركة، وإن لم يكن كذلك، فأكد أنه فرَّ من مدينة سبتة بعد استيلاء البرتغاليين عليها، قاصداً إحدى مدن المغرب الأقصى، أو متوجها صوب المشرق.

فالتاريخ التقريبي لحياة ابن مخلص من الولادة وحتى الوفاة، يمكن تحديده في فترة ما بين: نهاية القرن الثامن، والرابع الأول من القرن التاسع الهجري، انطلاقاً من معطى: عدم ذكره في كتب التراجم ممن ترجمت لرجال وعلماء سبتة في هذه الفترة الزمنية، ككتاب: (الكواكب الوقادة: في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء والقادة)، و(بلغة الأمنية ومقصد اللبيب: فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب)، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي، (الذي كان حيّاً: 820هـ)، و(اختصار الأخبار: عمن كان بشعر سبتة من سني الآثار)، لأبي القاسم محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، (الذي كان حيّاً: 825هـ)، مما يوحي بأن المؤلف رحمه الله: كان قبل هذه التواريخ لا يزال في فترة شبابه، طالباً للعلم متردداً على مجالسه، لم يتصدر للتدريس أو الإفتاء بعد.

أما ما بعد فترة أبي بكر الحضرمي، وأبي القاسم الأنصاري السبتي، التي يترجّح أن ابن مخلص كان قد وصل فيها مرحلة العطاء والتدريس، فإن الجو العلمي لم يكن يساعد على هذا؛ لانعدام الاستقرار السياسي والأمني بالمدينة.

ففرضية فراره من سبتة فترة احتلالها من طرف النصاري واردة باحتمال كبير؛ حيث لم يعد هنالك اهتمام بالعلم وأهله بقدر اهتمام الناس بالحفاظ على أرواحهم وأهاليهم، والبحث عن مأوى وموطن يقيمهم بؤس الحياة وبطش المستعمر، ويخفف عنهم مرارة الاضطهاد، وهذا ما جعل هذه الفترة الزمنية السبتية بالتحديد فترة مظلمة، شحيحة في معطياتها قاسية على أعلامها وعلمائها.

هذه الحقبة الزمنية هي التي سنحاول أن نتلمس معطياتها ونستنتق عباراتها؛ من أجل أن نتعرف منها على موارد ابن مخلص المعرفية ومسار تعلمه وطلبه للعلم، وعليه نتساءل فنقول: أين درس ابن مخلص؟ وكيف بنى معارفه؟.

الفرع الثاني: ابن مخلص السبتي ومسارُ التعلُّم وطلب العلم:

ما من شك في أن ابن مخلص كباقي طلبة العلم في فترة حكم المرينيين وسلطتهم على سبتة، قد ارتاد مدارس ومساجد المدينة، التي كانت قبلة لطلبة العلم من أهل زمانه، ومجلسا للعلماء من أهل سبتة وغيرها.

وإن أهم مدارس سبتة وأشهرها: المدرسة الشارية، وهي: «مدرسة الشيخ المحدث المعنني بالعلم وأهله المنفق من ماله: علي الشاري الغافقي السبتي المرسي، دفين مالقة، (ت: 649هـ)، والمدرسة الجديدة: العظيمة البناء، المتسعة الزوايا، ذات الصنائع العجيبة، التي بناها السلطان أبو الحسن المريني، دفين مراكش، (ت: 752هـ)، والتي كانت تدرس بها فنون شتى من العلم، كالحديث، واللغة، والنحو، والتصوف، والفرائض، والحساب، والأصول، والتاريخ، والقراءات⁽¹⁾، وغير ذلك.

إضافة إلى إمكانية تلقيه العلم في: «مساجد سبتة التي قاربت ألف مسجد كما ذكر صاحب اختصار الأخبار»⁽²⁾.

علما أن المعطيات الشحيحة والمحتشمة الحالية المتوفرة؛ لا تسعفنا في معرفة ما إن كان لابن مخلص السبتي رحلة في طلب العلم خارج سبتة أم لا.

(1) ينظر: اختصار الأخبار، للأنصاري: (ص: 27-28)؛ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، طبعة: 1973-1974م، (ص: 485-486).

(2) ينظر: اختصار الأخبار، للأنصاري: (ص: 27).

لكن الأكيد أن ابن مخلص قد تردد طالباً ومطالِعاً للعلم في الخزائن العلمية الكثيرة بسبته، «والتي زادت عن اثنتين وستين خزانة، وتردد على زواياها ومرابطها»⁽¹⁾، تحصيلاً للعلم وخلوة للعبادة والتفكير.

المطلب الثاني: موارد ثقافة ابن مخلص وأصول فكره وعقيدته ومذهبه وسلوكه

لقد ظلت مدينة سبته مركزاً من المراكز العلمية المشعة، وعاصمة من العواصم الكبرى في تاريخ الثقافة الإسلامية؛ «لما أبدعه وراكمه أعلامها من نتاج علمي وفكري كبير، ولما أسهموا به من معرفة غطت جميع ميادين»⁽²⁾، المعرفة والثقافة الإنسانية، تجاوز تأثيرها محيط الغرب الإسلامي، ليصل إلى أصقاع بعيدة، لا سيما إلى المشرق.

فهذه حال سبته: نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجريين؛ حيث مجالس الدرس في غالب المساجد والأحياء، كما أن العلماء والأدباء يحجون إليها من أنحاء وآفاق البلاد الإسلامية، فيقع اللقاء والأخذ والعطاء بين العلماء والأدباء، وتعد المناظرات العلمية والمجالس الأدبية، حتى صارت سبته عاصمة من عواصم الأدب والعلم، «كما كان لطلبتها من النباهة القدر الكبير، وقَلَّمَا يسلم منهم وافد من أهل العلم، فهم يمتحنونه؛ حتى لكانهم لا يريدون أن يطأ أرض مدينتهم إلا المبرز في فنه، الواسع الاطلاع»⁽³⁾.

(1) المصدر السابق: (ص: 2827).

(2) سبته الإسلامية: دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي: (عصر الموحدين والمرينيين)، تأليف: د. محمد الشريف، منشورات جمعية تطاون-أسمير، الطبعة الثانية: 2006م، (ص: 11).

(3) للاطلاع أكثر على: أخبار سبته بداية ومنتصف القرن الثامن الهجري ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب: (1/ 189 وما بعدها)، فهو كتاب فريد في بابه، وقد كان لسان الدين صريحاً في ذكر حقائق الأشياء والأعلام، دون تملق أو محاباة لأحد.

ولا شك أن ابن مخلص السبتي قد تلقى علومه على بعض علماء نهاية القرن الثامن، الذين هم امتداد للحقب التاريخية المشرقة من تاريخ الثقافة الإسلامية بسببة والأندلس، فهم من أسسوا لأصول فكره، وكانوا منبعاً لثقافته، وموارده ومعارفه.

الفرع الأول: منابع ثقافة ابن مخلص السبتي وأصول فكره:

إذا كانت كتب التراجم والطبقات لم تسعفنا في التعرف على شيوخ ابن مخلص السبتي بالتحديد، ففيما يلي ذكر وتعريف بعلماء وشيوخ حقبة الزمنية، ممن تصدروا للدرس والتدريس في سببة نهاية القرن الثامن الهجري، أو ممن كان لهم مقام بسببة أو مهمة بها.

وكمثال على هؤلاء الأعلام الذين هم امتداد للثقافة والفكر الأندلسي المغربي السبتي، نذكر:

الشيخ العارف بالله: عبد الله بن أحمد بن أبي بكر بن علي، المشهور: بابن مسلم الأنصاري القصري، نزيل سببة وقاضيه، وأستاذ مدرستها، وخطيب مسجد القصبة بها، توفي رحمه الله: (773هـ)⁽¹⁾.

والقاضي محمد بن أحمد بن مالك الفشتال: (ت: 779هـ)، كان قاضي الجماعة

(1) بلغة الأمانة ومقصد اللبيب فيمن كان بسببة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، مؤلف مجهول: (كان حيّاً سنة: 820هـ)، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية-الرباط، 1404هـ/1984م، (ص: 179)؛ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي السوداني، عناية وتقديم: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس-ليبيا، الطبعة الثانية: 2000م، (ص: 223)؛ اختصار الأخبار، للأنصاري: (ص: 18)؛ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأبي العباس أحمد بابا التنبكتي، دراسة وتحقيق: ذ. محمد مطيع، طبعة وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية المغربية: 1421هـ/2000م، (1/ 243).

بنفاس خطيباً مفتياً بها، متفنناً في الأدب، مشاركاً في العلوم النظرية، صاحب ذهن ثاقب، وقد تردد على الأندلس وسبته كثيراً⁽¹⁾.

وأبا العباس أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ القسنطيني، الشهير: بابن قنفذ، الذي سافر إلى المغرب الأقصى ليستقر به مدة ثمان عشرة سنة: (759-777هـ)، وجال في مدنه متنقلاً بين فاس ومكناس وسبته وسلا وغيرها، وتلمذ على كبار علمائه، وتلمذ عليه طلبة المغرب، (ت: 810هـ)⁽²⁾.

أما الشيوخ الذين تصدروا للدرس والتدريس بمدارس سبته ومساجدها، والذين في شبه المؤكد أن ابن مخلص أخذ عن بعضهم في سبته، فنذكر منهم:

أبا عبد الله الطرطوري: نزيل مالقة، حافظ متفنن درس العلم في سبته طويلاً بمسجد مقبرة زجلو وغيره، وكانت له رحلات وجولات في العدوتين وتوفي بمالقة بعد السبعين وسبعمائة⁽³⁾.

وأبا عبد الله الجاناتي: الفقيه القاضي السبتي والمدرس بمدرستها بعد أبي عبد الله عامر الأنصاري (ت: 765هـ)، وقد توفي الجاناتي سنة: (778هـ)⁽⁴⁾.

وأبا عثمان الصنهاجي الأنجري: إمام المدرسة بسبته، فقيه مفتي مقيد مجتهد، كان يدرس الفقه والحديث بمسجد القفال، وبالجامع الأعظم، وكان معمرًا حيث توفي: (789هـ)⁽⁵⁾.

(1) نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، للأمير الأندلسي، أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، تحقيق وتقديم: د. محمد رضوان الداية، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1369هـ/ 1986م، (ص: 358-359).

(2) نيل الابتهاج، للتنبكتي: (ص: 109-110).

(3) بلغة الأمنية: (ص: 179)؛ تواريخ السبتيين: (ص: 139).

(4) بلغة الأمنية: (ص: 179).

(5) المصدر السابق: (ص: 180).

وأبا عبد الله البُطيني اللخمي النحوي، دَرَسَ بالمسجد المحاذي لزقاق الفضل، وبالمسجد الأعلى ابن عيسى، كان مجتهداً في طريقته ناصحاً فيها، وكان مقصد أولي الأمر وأهل الشأن، ومؤدب ومعلم أولادهم، واستظهر عليه القرآن جماعة كبيرة من طلبة سبته بحسن نيته وإخلاصه إلى أن توفي: (792هـ)⁽¹⁾.

وأبا عبد الله بن الأصفر: شيخ نحوي صالح من أهل سبته، وكان يقرأ عليه أولاد الأعيان والأكابر، وتوفي حوالي: (790هـ)⁽²⁾.

وأبا يحيى محمد بن السكاك العياضي: قاضي سبته وفاس، إمام في الأصول وعلم البيان، درس بمسجد مقبرة زجلو والمدرسة الجديدة، وأحياناً بالمسجد الأعظم، التفسير والأصول والفروع، توفي بسبته سنة: (800هـ)⁽³⁾.

وأبا محمد قاسم بن أبي حجة الأنصاري: أستاذ المدرسة الجديدة، كان عالي الهمة، حسن الشارة، جميل الهيئة، ذكي الطبع، فصيح اللسان، فقيهاً محدثاً فرضياً صوفياً، مشاركاً في أصول الدين والنحو والتاريخ، ماهراً في علم التعديل، وكانت له رحلة للمشرق، كان له مجلس تفسير في مسجد العطار، ومجلس الفقه والحديث والعربية بالمدرسة، وكان متودداً للطلبة محبوباً حسن التعامل والإلقاء، توفي مغرباً بفاس سنة: (802هـ)⁽⁴⁾.

وأبا سرحان الزواوي: نحوي كبير، تصدر للإقراء بمسجد القفال منها، وتولى قضاء سبته والتدريس بمدرستها ورحل إلى الأندلس مدة وعاد إلى المغرب واستوطن تازة إلى أن توفي بها: (803هـ)⁽⁵⁾.

(1) نفسه: (ص: 182181).

(2) نفسه: (ص: 184).

(3) نفسه: (ص: 184)؛ وينظر: جذوة الاقتباس، للقاضي المكناسي: (1/ 238).

(4) بلغة الأمنية: (ص: 183182)؛ جذوة الاقتباس، للقاضي المكناسي: (2/ 513).

(5) بلغة الأمنية: (ص: 181).

وأبا القاسم محمد الأنجري السبتي: كان متوقفاً بالذهن، فصيح اللسان، مدرساً بمسجد القفال: الفقه والحديث والعربية، وكان بارعاً في الحديث وأصول الدين، لا يضاهيه أحد، وكان في بداية أمره كثير الحركة، فتجول في بلاد المغرب والأندلس وعاد إلى سبتة إلى أن توفي بها سنة: (803هـ)⁽¹⁾.

من خلال تراجم هؤلاء الأعلام الكبار ممن جلسوا للدرس، وتنصبوا للقضاء والفتيا بسبتة، وممن تردّدوا على سبتة أو وفدوا عليها، وممن جعلوها منزلاً للراحة والاستراحة في عبورهم لعدوة الأندلس، ومحطة عابرة للمشرق، نعتقد أن ابن مخلص قد التقى ببعض هؤلاء وأخذ عنهم، ونهل من معارفهم؛ حتى ولو لم تكن له رحلة في طلب العلم خارج الديار السبتية؛ فهؤلاء هم الذين رووا منابع ثقافته، وأسسوا لأصول فكره، وشكلوا توجه مذهبه الفقهي، وسقلوا ميوله السلوكي.

الفرع الثاني: أصول عقيدته ومذهبه وسلوكه:

أولاً: أصول عقيدة ابن مخلص السبتي:

من المتفق عليه «أن المغرب الأقصى في العصر المريني: كان مالكي المذهب، أشعري العقيدة، متخذاً من التصوف السني شعاراً له»⁽²⁾، ولم يكن ابن مخلص ليشذ عن عقيدة أهل بلده، وعقيدة أهل سبتة وعلماؤها ممن تتلمذ عليهم على وجه الخصوص، فلقد ارتضى المغاربة آنذاك، ومنهم أهل سبتة: العقيدة الأشعرية، وجعلوها سمة وخصوصية عقدية لهم، هذه العقيدة التي وجدت - ومنذ نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الهجري - طريقاً سالكاً وسهلاً إلى الغرب الإسلامي والمغرب الأقصى.

(1) المصدر السابق: (ص: 183).

(2) الحياة الدينية في عهد بني مرين، مجلة دعوة الحق العدد: 64. نسخة الكترونية محفوظة بموقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية. رابط الموقع: (www.habous.gov.ma)، بتاريخ: (25/02/2021م)، ليس فيها ذكرٌ لصاحب المقال، ولا ترقيم الصفحات.

ولم يكن ابن مخلص ليكون نشازاً عن أهل العلم وعموم معتقد الأمة بجغرافية الغرب الإسلامي السبتي، فلقد اختار ابن مخلص تبني عقيدة أهل السنة الأشاعرة؛ وإن ما يؤكد هذا ويجليه:

• نقولاته في كتبه عن أئمة أشاعرة أهل السنة، الذين هم أهل نظر واستدلال من المشاركة والمغاربة الأندلسيين؛ كالإمام: أبي القاسم القشيري الصوفي الأشعري، والإمام الواحدي، والغزالي وابن عطية الأندلسي، وابن العربي المعافري، والقاضي عياض السبتي، الذين لا يشك أحد في أشعريتهم.

• حكايته أقوالاً عن أبي الحسن الأشعري: (ت: 324هـ)، في غير ما موضع ووصفه إياه بشيخ السنة، وبالإمام، وهذا وصف واضح، ودليل قاطع على أشعريّة ابن مخلص، وتعلقه بفكر مؤسس المذهب.

• إضافة إلى أنه اختار وتبنى أفكار الأشاعرة - ممن نقل عنهم - ودافع عنها في كتبه في كثير من القضايا والمسائل العقدية.

ثانياً: مذهبه الفقهي:

إذا كان المغاربة قد اختاروا العقيدة الأشعرية معتقداً لهم، والفقهاء المالكي مذهباً لهم، فهذا يحيلنا أيضاً على مذهبية ابن مخلص، الذي اعتقد أنه كان مالكي المذهب بلا شك أو نزاع، والذي يوضح هذا ويزكيه:

نقولاته عن علماء المذهب وتبني اختياراتهم في نقله عنهم، كابن عطية الأندلسي المالكي، وابن العربي المعافري، والقاضي عياض السبتي، الذين لا شك في مذهبيتهم. إضافة إلى أن كل من ترجح أن ابن مخلص قد تتلمذ عليهم وجالسهم وأخذ عنهم، ممن سبق ذكرهم من أعلام سبته، كانوا على مذهب الإمام مالك.

ثالثاً: سلوكه وتصوفه:

لا شك أن سبته كانت مهد التصوف ومستقر المتصوفة ومدفنهم، فلقد «احتضنت مقرات العديد من المتصوفة الأصليين والوافدين عليها من أصقاع إسلامية أخرى وكانت مدفنًا لهم، وذلك بحكم وجودها في نقطة عبور بين عدوتي الأندلس والمغرب، وكونها منطلق سفر بالنسبة لقاصدي الديار المشرقية بغرض الحج وطلب العلم والتجارة»⁽¹⁾.

وكنماذج لهؤلاء المتصوفة الزهاد العباد ممن داع صيتهم، واشتهرت كرماتهم ورجيت بركاتهم؛ نذكر: أبا العباس العزفي: (ت: 633هـ)، والشيخ صاحب الكرامات والبركات، محمد الودلاوي السعيد: (ت: 773هـ)، الذي رُجيت بركته وطلب دعاؤه⁽²⁾، والولي العابد ريحان الأسود، الذي كان قبره مزاراً لأهل سبته⁽³⁾، والشيخ الصالح العابد أبا عبد الله القرموني، الذي قيل: «إن النور كان يصعد من قبره»⁽⁴⁾، والعارف بالله الإمام الولي: عبد الجليل الأوسي الأندلسي، الذي قيل «إن الدعاء عند قبره مستجاب»⁽⁵⁾، والوافد عليها دفن مقبرة أحجار السودان بها: الشيخ الولي أبا مروان اليحانسي السبتي: (ت: 667هـ)، صاحب الكرامات والمكاشفات⁽⁶⁾.

(1) ينظر: مقدمة كتاب: قاموس المفردات البحرية بسبته الإسلامية، د. عبد السلام الجعماطي، مطبوعات المجلس العلمي المحلي المضيق الفينديق، الطبعة الأولى: 1431هـ/2010م، (ص: 11).

(2) اختصار الأخبار، للأنصاري: (ص: 18)؛ تواريخ السبتيين: (ص: 136-137).

(3) اختصار الأخبار، للأنصاري: (ص: 19)؛ وينظر: تواريخ السبتيين: (ص: 138).

(4) اختصار الأخبار، للأنصاري: (ص: 22).

(5) المصدر السابق: (ص: 23).

(6) أخباره وأحواله في: تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان، تأليف: تلميذه أحمد بن إبراهيم بن يحيى، القشتالي، تحقيق: فرناند ودي لاجرانخا، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية/مدير، 1974م، (ص: 76)؛ اختصار الأخبار، للأنصاري: (ص: 25).

فقد تأثر ابن مخلص بهذا الجو الصوفي السبتي، ذي النفس الزاهد المنقبض عن الدنيا، السالك إلى مقامات الدين، الراغب في الخلوة القاصد للولاية - كان من أهل التصوف والسلوك؛ فعباراته وألفاظه التي صدر بها كتابه تمتح من قاموس التصوف، ومعجم التعرف، ومدارك التشوف، وهي دليل واضح على سلوكه وتخلُّقه، وقد نقل وردّد عبارات كثيرة في كتبه لكبار أعلام التصوف، كالسري السقطي، (ت: 251هـ)، وأبي القاسم القشيري: (ت: 465هـ)، الصوفي السالك.

وخلاصة القول: إن ما يجلي مذهبية الرجل وعقيدته وسلوكه إضافة إلى ما ذكر، أولئك الأعلام الذين تتلمذ عليهم بسبته من أهل العلم والمعرفة، ومن جالسهم من أهل الورع والصلاح والولاية، ممن اشتهروا وذاع صيتهم في الآفاق، وترسخ احترامهم لدى العامة والخاصة، وكانوا مقصد الخاص والعام، ممن سبقت تراجهم، فكانت لهم كرامات ومنامات، وتحولت قبورهم بعد وفاتهم إلى مزارات.

المبحث الثاني: مؤلفات ابن مخلص السبتي وآثاره المخطوطة

لقد «حظيت مدينة سبته بأهمية كبيرة لدى الباحثين، واستأثرت نظر كثير من الدارسين، فأضحت المكتبة العربية غنية نسبياً بالدراسات السبتية، فيبيلوغرافية المدينة تعد الآن من أهم البيلوغرافيات المتوفرة حول ماضي مدينة مغربية وسيطة، فتحقيق مؤلفات علماء سبته ونشر تراثهم -أو إعادة نشره- وتنظيم الندوات والملتقيات العلمية، وإنجاز الرسائل والأطروحات الجامعية داخل المغرب وخارجه؛ ظاهرة تلفت الانتباه خلال السنوات الأخيرة، وتدلل أيضاً على خصوبة ميادين البحث وتنوعه بالمدينة»⁽¹⁾، رغم هذه الجهود؛ إلا أن هناك مجموعة من الحلقات المفقودة في تاريخ

(1) سبته الإسلامية، د. محمد الشريف: (ص: 12).

سببته لم تتضح الرؤية حولها بعد، سواء كانت مؤلفات أو أعلاماً، كالفقيه العلامة ابن مخلص.

فالإبهام الحاصل في ترجمته لم يسعفنا في الوقوف على حصيلة تراثه النهائية، وما جادت به قريحته وخطت يده من تأليف، وقيدت من تقايد، وحشت من حواشي، وخرّجت من طُرر، فالذي وصلنا من آثار الرجل ووجد مقيّداً باسمه، ما هي إلا ثلاث مخطوطات - أو مؤلفات - إلى حد اللحظة، وهي: أدلة التوحيد والنبوة والبعث من آيات القرآن، المكسبة للقلوب مزيد الإيمان والإيقان. وأنجح الوسائل في شرح الشمائل. ورسالة في بعث الأجسام بأعيانها⁽¹⁾.

مستبشرين خيراً في إمكانية ظهور مؤلفات أخرى له غير هذه الثلاثة، مما لم يفهرس بعد، أو ممّا هو مُفهرس مجهول مؤلّفوه مثلاً، أو ممّا لا زال حبيس بعض المكتبات الخاصة.

وفيما يلي: تعريف ووصف لهذه المؤلفات الثلاث المخطوطة التي جاد بها الزمن الحاضر، وجادت بها رفوف المخطوط وفهارسه.

المطلب الأول: مخطوط - أدلة التوحيد والنبوة والبعث: وَصْفٌ وَتَعْرِيفٌ

هذا المخطوط الذي توجد منه نسخة وحيدة في المكتبة الحسنية بالرباط - إلى حد الآن -، والذي هو محفوظ تحت رقم: (2851)، والذي أثبت عليه تاريخ الانتهاء من تأليفه وهو: 5 ذي الحجة من عام 812هـ.

هذا السفر النفيس الذي هو بمثابة تفسير جزئي للقرآن الكريم؛ حيث اقتصر فيه على تفسير آيات قرآنية محددة، مما له صلة بالمفاهيم العقدية الواردة في العنوان،

(1) هذه الرسالة التي لن تكون معنية بالتعريف والوصف؛ لأنها مطبوعة متداولة.

فابتدأه بسورة الفاتحة واختتمه بسورة الإخلاص؛ مع التنبيه إلى أنه لم يقف مع تفسير إحدى عشرة سورة، من سور المفصل، - أو قصار المفصل -، وهي: سورة الشمس، والقدر، والعاديات، والقارعة، والتكاثر، والهمزة، والكافرون، والنصر، والمسد، والفلق، والناس.

وعقب بعد الانتهاء من تفسير بعض الآيات من السورة؛ بذكر أسماء الله الحسنى الواردة فيها، وشرح معانيها، وبيان دلالاتها، وفق ما هو مقرر عند أئمة علم الكلام الأشاعرة.

الفرع الأول: تحقيق عنوان الكتاب ونسبته لصاحبه وغرضه من تأليفه:

إن معرفة عنوان الكتاب على الوجه الذي وسمه به صاحبه، وتحقيق نسبته له والغرض الذي قصده من وضعه؛ يزيد الكتاب قيمة ورفعة، ويعطي تصوراً عاماً عن موضوعه ومحتواه.

أولاً: تحقيق عنوان المخطوط وتوثيق نسبته لصاحبه:

درج كثيرٌ من المؤلفين على تسمية كتبهم، أو ذكر أسمائها في مقدمات مؤلفاتهم، وهذا ما فعله ابن مخلص؛ حيث أثبت اسم الكتاب في بداية المخطوط كاملاً، وهو: «أدلة التوحيد والنبوة والبعث من آيات القرآن المكسبة للقلوب مزيد الإيمان والإيقان»⁽¹⁾؛ وذلك بخط مغربي كبير ومزخرف.

(1) ينظر: وصف المخطوط في: فهرس المخطوطات العقيدة الأشعرية بالخزانة الحسنية، تأليف: خالد زهري؛ وعبد المجيد بوكاري، مراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنين، منشورات الخزانة الحسنية بالرباط-دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1432هـ/2011م، (ص: 469-470).

وعليه فإن عنوان واسم هذا المخطوط هو ما ذكر، وهو صحيح النسبة إليه، فقد قال في مقدمته:

أما بعد: «فإني استعنت بالله تعالى على أن أجمع في هذا الكتاب أدلة التوحيد والبعث، وبيان نبوة نبينا محمد ﷺ من الكتاب العزيز..» الخ⁽¹⁾.

إضافة إلى أنه في خاتمة المخطوط أثبت هذا العنوان، رغم المحو الحاصل في الصفحة الأخيرة من آخر لوحة منه؛ حيث قال: «نجز والحمد لله تعالى كتاب: أدلة التوحيد وصلى الله على سيدنا محمد.. وفي خامس ذي حجة عام اثني عشر وثمان مائة عرفنا الله تعالى خيره وبركته.. العبد الفقير إلى الله تعالى المعترف بعظيم ذنبه، الراجي رحمة ربه وعفوه.. قاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الملك بن مخلص لطف الله به وبجميع المسلمين»⁽²⁾.

وقد نسبته إليه كل من صاحب: (معجم المفسرين: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر)؛ وصاحب: (التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا)، حيث قالوا: «قاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الملك بن مخلص، فاضل مغربي، ذكره الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ولم يؤرخ له، وقال: إن له: أدلة التوحيد والنبوة والبعث من آيات القرآن المكسبة للقلوب مزيد الإيمان والإيقان»⁽³⁾.

وهذا هو المثبت في: فهرس الكتب العقدية المحفوظة بالمكتبة الحسنية، أن هذا

(1) اللوحة: [1].

(2) اللوحة: [237].

(3) معجم المفسرين: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر؛ بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1409هـ/ 1988م، (2/ 779)؛ التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، د. محمد بن رزق المصري، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع؛ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1426هـ، (1/ 277).

المخطوط يعود لابن مخلص السبتي من رجال القرن التاسع الهجري، وأحال عليه اليعمري في فهرسته ونقل من شمائله⁽¹⁾.

ثانياً: غرض المؤلف من تأليفه:

لقد سلك ابن مخلص مسلك كثير من المؤلفين الذين يبينون الغرض من تأليفهم، والمقصد من أعمالهم في مقدمات مؤلفاتهم، والدافع والحامل لهم على التأليف، تصريحاً أو تلويحاً، فقد نحا نحوهم، وأعرب عن الغرض من هذا التأليف في مقدمة كتابه؛ والذي يتلخص في ذكر: أدلة التوحيد الدالة على وحدانية الله وقدرته، وعالمية نبوة الرسول ﷺ، من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، تحصيلاً للإيمان، وزيادة لليقين بالله، وتعلقاً بأسمائه وصفاته توحيداً وتنزيهاً وتعظيماً له سبحانه واستشعاراً لها، وتركيزاً للنفس والروح، حيث قال:

«فإني استعنت بالله تعالى على أن أجمع في هذا الكتاب أدلة التوحيد والبعث، وبيان نبوة نبينا محمد ﷺ من الكتاب العزيز الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽²⁾، ... فليس بعد بيان الله بيان، وكلما كثرت الأدلة وتضافرت البراهين كان ذلك سبباً في زيادة الإيمان، وتقوية القلوب بالإيقان، وقال تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾⁽³⁾، فليس من عرف الله تعالى بوجه واحد من الاستدلال؛ كمن عرفه من وجوه كثيرة»⁽⁴⁾.

(1) فهرسة اليعمري: رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي، إعداد الطالب: أحمد جدوغ، بإشراف الدكتور محمد بنشريفة، جامعة محمد الخامس؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، (ص: 211). والرسالة غير مطبوعة.

(2) سورة فصلت: 41.

(3) سورة المدثر: 31.

(4) اللوحة: [1].

ولأجل: أن يعرف المؤمن ربه من خلال: تأمله وتفكره وتدبره لآيات الآفاق والأنفس، قال:

«وإذا عرف العبد نفسه عرف ربه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْمِلُونَ﴾⁽²⁾، والآيات في ذلك كثيرة»⁽³⁾.

وقال: «فينبغي للمؤمن أن لا يغفل عن النظر والاستدلال، والاعتبار والتفكير في عجائب مخلوقات الله وبدائع حكمته ومحدثاته وإتقان مصنوعاته الدالة بصحيح النظر فيها على وحدانية الخالق وقدرته، ومعرفة نعمه الموجبة لشكره»⁽⁴⁾.

ولأجل: تحقيق هذا الغرض والهدف، نجده قد اعتمد جملة من المصادر ونهل منها؛ لبناء مادة كتابه العلمية.

الفرع الثاني: موضوع ومضمون الكتاب ومصادر مادته العلمية ومنهجه فيه:

قبل أن نتعرف على منهج ابن مخلص في كتابه هذا؛ لا بد أن نتعرف على موضوع ومضمون الكتاب، ونعرّف أيضاً بالمصادر التي اعتمدها في بناء وصياغة محتواه، ونهل منها مادته العلمية التفسيرية والكلامية، فمعرفة منابع وجداول المادة العلمية لدى أي مؤلف؛ تسهل وتعطي صورة واضحة للمنهج المعتمد لديه.

أولاً: موضوع الكتاب ومضمونه:

إن موضوع ومضمون ومحتوى هذا الكتاب ليس بالأمر الخفي، فالعنوان الذي اختاره المؤلف لكتابه: (أدلة التوحيد والنبوة والبعث من آيات القرآن المكسبة للقلوب

(1) سورة النحل: 69.

(2) سورة النحل: 67.

(3) اللوحة الأولى.

(4) اللوحة: [1].

مزيد الإيمان والإيقان)، هو ترجمان لموضوعه ومضمونه، وقد زاد هذا بياناً في مقدمة كتابه وذكره صراحة، ووضحه أيضاً في ثانيا مادة كتابه؛ ألا وهو: تفسير كلام الله عز وجل من أوله إلى آخره، من خلال الوقوف على: أدلة التوحيد الدالة على وحدانيته وتفرد سبحانه، وذكر أدلة البعث ومعجزة نبوة محمد ﷺ؛ وتفسير أسماء الله الواردة في كل سورة من كتب الأئمة الصحاح، نظراً واستدلالاً على وحدانيته سبحانه، وقدرته على بعث الخلق يوم القيامة، وتأكيداً لصديق نبوة رسوله محمد ﷺ، وتنويع وجوه الاستدلال والنظر الدالة على ذلك؛ زيادة للإيمان وتحصيلاً للإيقان؛ فقال:

«.. أن أجمع في هذا الكتاب: أدلة التوحيد والبعث، وبيان نبوة نبينا محمد ﷺ من الكتاب العزيز الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽¹⁾،⁽²⁾.
وأضاف:

«وأستقرئ ذلك إن شاء الله تعالى من فاتحته إلى خاتمته، بما في كل سورة من الآيات في ذلك مفسر من أئمة التفسير، وأتبع ذلك بما في كل سورة من أسماء الله تعالى الحسنی بشرحها أيضاً من كتب الأئمة المحققين الصحاح»⁽³⁾.

فموضوع الكتاب ومضمونه هو: تفسير كلام الله عز وجل تفسيراً جزئياً؛ من خلال الوقوف مع الآيات العقدية - الدالة على توحيده وقدرته على البعث وبيان معجزة نبيه ﷺ - واستخراج ما فيها من: أسماء الله تعالى التسعة والتسعين.
ولأجل تحقيق هذا الغرض نجد المؤلف اعتمد جملة من المصادر ونهل منها مادة كتابه.

(1) سورة فصلت: 41.

(2) سورة فصلت: 41.

(3) اللوحة: [1].

ثانياً: مصادر المؤلف ومنهجه في كتابه:

إن الوقوف على المصادر والموارد التي اعتمدها المؤلفون في كتبهم واستقوا منها مضامين مؤلفاتهم؛ من الأمور التي توضح قيمة المادة العلمية التي اشتملت عليها كتبهم، وتعطي تصوّراً أولياً لمنهجهم.

أ. مصادر المؤلف ومادة كتابه العلمية:

إن المصادر التي اعتمدها ابن مخلص السبتي ونهل منها مادة كتابه العلمية، ورغم انحصارها وتعدداتها؛ إلا أنها تعدّ مصادر خامة، رائدة في مادتها العلمية ومنهجها الاستدلالي؛ لغة ونحواً وتفسيراً وفقهاً وكلاماً، وفيما يلي بيان هذه المصادر المعتمدة لديه:

❖ القرآن الكريم: فموضوع هذا الكتاب هو تفسير كلام الله؛ لذا فالمصدر الأول لديه هو القرآن.

❖ الحديث النبوي الشريف وآثار السلف: حيث كان اعتماده على سنة رسول الله ﷺ واضحاً، من خلال كثرة الأحاديث والآثار التي ذكرها واستشهد بها.

أما فيما يتعلق بالمصادر الأساسية التي اعتمدها من غير القرآن الكريم والحديث النبوي، فهي:

- شأن الدعاء: لأبي سليمان البستي، المعروف بالخطابي، (ت: 388هـ).
- شرح أسماء الله الحسنى: للإمام أبي القاسم القشيري، (ت: 465هـ).
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن الواحدي، الشافعي، (ت: 468هـ)، وقد نهل منه كثيراً؛ بل إنه مصدره الأول في مؤلفه هذا.

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للواحدى أيضاً.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: لأبى المعالى عبد الملك الجوينى، (ت: 478هـ).
- المقصد الأسنى فى شرح معانى أسماء الله الحسنى: لأبى حامد الغزالى، (ت: 505هـ).
- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسى، (ت: 542هـ).
- قانون التأويل فى علوم التنزيل: لأبى بكر بن العربى المعافى المالكى، (ت: 543هـ).
- سراج المریدین فى سبیل الدین: لابن العربى أيضاً.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضى أبى الفضل عياض الیحصى، (ت: 544هـ).

من خلال عرض هذه المصادر التى اعتمدها ابن مخلص وجمع مادته العلمية منها، نلاحظ: أن كل مَنْ نَقَلَ عنهم كانوا أهل ريادة وتفنى فى الدرس والتأليف، ومن مشارب فقهية مختلفة؛ إلا أنهم كانوا أهل كلام على منهج أهل الكلام الأشاعرة؛ مما يقدم لنا تصوراً واضحاً على منهج المؤلف والمسلک الذى سلكه فى كتابه.

ب. منهج المؤلف فى الكتاب.

لقد سلك المؤلف - رحمه الله - فى هذا الكتاب: المنهج الاستدلالي، القائم على الدليل والبرهان، نقلاً وعقلاً، واستخدم أسلوباً علمياً رصيناً سهلاً ومؤسّساً، خالٍ من التعقيد والترميز، موظفاً لغة واضحة، وصياغة محكمة، ومنهجاً أصيلاً، معتمداً نقولات علمية وثقفاً بدقة وأمانة، فلما نجدها عند أهل العلم فى مطارحاتهم ونقاشاتهم العلمية.

وقد أفصح المؤلف عن منهجه في بداية كتابه، مما أعطى تصوراً واضحاً لمنهجه فيه، فقال:

أما بعد: «فإني استعنت بالله تعالى على أن أجمع في هذا الكتاب أدلة التوحيد والبعث، وبيان نبوة نبينا محمد ﷺ من الكتاب العزيز الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽¹⁾،⁽²⁾.

وأضاف: «وأستقري ذلك إن شاء الله تعالى من فاتحته إلى خاتمته، بما في كل سورة من الآيات في ذلك مفسر من أئمة التفسير، وأتبع ذلك بما في كل سورة من أسماء الله تعالى الحسنی بشرحها أيضاً من كتب الأئمة المحققين الصحاح..⁽³⁾.

فليس بعد كلام صاحب الأمر والشأن كلام، فمنهج المؤلف أصبح جلياً وواضحاً وضوح الشمس في كبد السماء، فقد اعتمد في مادة هذا الكتاب كما سبق القول: منهجاً واضحاً بيّناً يتمثل في:

❖ تفسيره للقرآن بالقرآن.

❖ تفسيره للقرآن بالأحاديث النبوية.

• إشارته أحياناً إلى: أسباب نزول الآيات، وورود الأحاديث.

• نقله عن أئمة التفسير الكبار من أهل الأثر والرأي من صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم ومن أتى بعدهم، وهو في ذلك: تابع لمن نقل عنهم من أئمة التفسير ممن سبقت الإشارة إليهم وإلى كتبهم.

(1) سورة فصلت: 41.

(2) اللوحة: [1].

(3) اللوحة: [2-1].

• إشارته أحيانا قليلة إلى أوجه القراءات استجلاء للمعنى، وتوجيها له؛ ويختم كلامه عقب نهاية كل سورة: بجرده أسماء الله عز وجل الواردة فيها، وتوضيحها من مقالات ونقولات الأئمة الكبار من أهل الكلام، أمثال: الإمام الخطابي، والقشيري، والواحدي، والجويني، وتلميذه الغزالي، وابن عطية، وابن العربي المعافري، والقاضي عياض السبتي؛ راميا في هذا التوضيح: تقريب أسماء الله الحسنی من المتلقي المسلم؛ حصولاً للإيمان والإيقان بجلاله عز وجل.

المطلب الثاني: مخطوط - أنجح الوسائل في شرح الشمائل: وَصْفٌ وَتَعْرِيفٌ:

يعد كتاب: (أنجح الوسائل في شرح الشمائل)، لابن مخلص السبتي؛ اختصار لشمائل أبي عيسى الترمذي: (ت: 279هـ)؛ هذا السفر النفيس المخطوط⁽¹⁾ الذي توجد منه نسخة في: الخزانة الصيحية بسلا، تحت رقم: (101)؛ ونسخة أخرى بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم: (248 د)؛ ونسختان بالقرويين، تحت رقم: (273 و 276)؛ ونسخة بالخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، تحت رقم: (177)؛ ونسخة بخزانة المسجد العتيق بالصويرة، تحت رقم: (58)؛ ونسختان بخزانة المسجد الأعظم بوزان، الأولى تحت رقم: (283)؛ والثانية: تحت رقم: (284)⁽²⁾؛ ونسخ في المكتبة الحسنية بالرباط، تحت الأرقام الآتية: (298؛ 313؛

(1) الذي قام بتقديمه وتحقيقه كل من الطالب الباحث: حسين آيت الحاج، ومصطفى بكار، بـمـاسـتر: السيرة النبوية بالغرب الإسلامي: الأعلام ومناهج البحث، بجامعة القاضي عياض، كلية الآداب مراكش؛ في إطار بحث التخرج، (سنة: 2017م)، بإشراف: الدكتور عبد الرزاق مرزوك؛ لكنه لم يطبع.

(2) ينظر وصفهما في: الفهرس الوصفي لخزانة المسجد الأعظم بوزان، إعداد د. بدر العمراني الطنجي؛ ومحمد سعيد الغازي، بإشراف: عبد اللطيف الجيلاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الطبعة الأولى: 1429هـ/ 2008، (255-256).

377؛ 537؛ 1483؛ 2407؛ 2444؛ 3024؛ 11312⁽¹⁾، وتوجد نسخ أخرى في بعض المكتبات الخاصة أيضاً.

الفرع الأول: تحقيق اسم الكتاب ونسبته لصاحبه وغرضه من تأليفه ومنهجه:

إن معرفة اسم الكتاب على الوجه الذي وضعه صاحبه، وكونه صحيح النسبة إليه وتبينه للغرض من وضعه؛ يزيد الكتاب قيمة، ويعطي للقارئ تصوراً عاماً عن مجاله ومحتواه.

أولاً: إسم المخطوط ونسبته لصاحبه وغرضه من تأليفه:

لقد اختار ابن مخلص لكاتبه هذا عنواناً جميلاً ومختصراً، دالاً على مقصده وغايته ومحتواه، حيث قال: «وسمّيته: أنجح الوسائل في شرح الشمائل»⁽²⁾؛ والذي عمد فيه إلى: اختصار شمائل أبي عيسى الترمذي، (ت: 279هـ)؛ تسهيلاً لتناوله وتقريباً لمضمونه؛ - نظراً لإعجابه به، وكونه مفيداً لا غنى لأحد عنه-، «لأن معرفة شمائله ﷺ مما يقوي الإيمان، ويشرح الصدور، ويزيد المحبة لسيد الخلق، لمعرفة قدره عند الله، وما جعل فيه من كريم الخلق والخلق، وليقتدي العبد من سيره الكريمة، وشمائله العظيمة ما تحمد به عاقبته في دنياه وآخرته، قال الله عز وجل: ﴿فَلِإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾»⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ

(1) ينظر وصف هذه النسخ في: فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسينية، إنجاز: محمد سعيد حنشي؛ عبد العالي لمدير، إشراف ومراجعة: أحمد شوقي بنين، الطبعة الأولى: 1431هـ/2010م، (ص: 60-64).

(2) المصدر نفسه: (ص: 10-11).

(3) سورة آل عمران: 31.

لَعَلَىٰ خُلَیِّ عَظِيمٍ⁽¹⁾، وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ⁽²⁾﴾،⁽³⁾.

ثانيا: مضمون الكتاب ومنهجه فيه:

إن أصل كتاب ابن مخلص هذا؛ هو اختصار وتهذيب: الشمائل المحمدية، لأبي عيسى الترمذي، الذي بين فيه: صفات النبي ﷺ الخلقية والخلقية صحيحة موثقة، وبين الشمائل والأخلاق والآداب التي تحلى بها للتأسي به سلوكاً وعملاً واهتداءً، وقد بذل فيه الترمذي جهداً كبيراً يدل على كثرة حفظه واتساع روايته، وقد جاء هذا الكتاب «في ستة وخمسين باباً»⁽⁴⁾، واشتمل على خمسمائة حديث، وعند انتهائه من صرد أحاديث الباب يعنون كلامه: «شرح ما في هذا الباب المذكور في صفته الكريمة من غريب اللغة»، فيتناول الحديث واحداً واحداً، مستشهداً ومعزراً ذلك بأقوال العلماء.

وقد أضاف إليه إضافات شخصية من تعليق وتصويب وإيضاح؛ حيث يميز كلامه الشخصي بقوله: قلت، ويستشهد أحياناً بكلام مبهم المصدر فيقول: وزاد الآخر..؛ ولا يسمي من هو هذا الآخر، مع أنه يتولى بنفسه شرح ما في تلك الزيادة، فيقول: شرح ما في هذه الزيادة من الغريب..⁽⁵⁾.

كما أنه يكتفي أحياناً بإيراد آية في شرح الحديث تناسب مضمونه، ففي شرحه حديث: «دائم الفكر» في الحديث الواصف لرسول الله ﷺ، نجده قد اكتفى بذكر قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُكَ رَوْحٌ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة القلم: 4.

(2) سورة الأحزاب: 21.

(3) اعتماداً على نسخة الخزانة الحسينية بالرباط، رقم: (332/ ص: 10).

(4) نفس المصدر: (ص: 11).

(5) المصدر نفسه: (ص: 12).

(6) سورة آل عمران: 191.

أما الأبواب الستة والخمسون فمنها: ما بني على عدة فصول، ومنها ما بني على فصل واحد، ومنها ما لا فصل تحته كالباب: الأول.

«وقد اعتنى ابن مخلص بجوانب دقيقة من سيرة رسول الله ﷺ كما يتجلى ذلك في بعض أبواب الكتاب؛ باب: صفة أكله، وباب: صفة خبزه ﷺ»⁽¹⁾.

الفرع الثاني: مصادر الكتاب وموارده:

كثيرة هي المصادر التي اعتمدها ابن مخلص في كتابه هذا، واغترف منها مضامين كتابه؛ رغم أن جوهر هذا المضمون هو: اختصار شمائل أبي عيسى الترمذي، هذه المصادر التي نلاحظ عند مطالعتنا للكتاب؛ أن فيها تنوعاً وتناغماً وتكاملاً في المحتوى، حيث نهل من المصادر الأندلسية المغربية، كما المصادر المشرقية على حد سواء، وفيما يلي إشارة إلى نماذج من تلك المصادر التي سَقَل واختصر بها شمائل أبي عيسى الترمذي:

❖ القرآن الكريم: حيث يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر السيرة النبوية العطرة.

❖ الأحاديث النبوية والآثار: التي تعد المصدر الثاني لسيرة الرسول ﷺ، ومنبع شمائله ومورد صفاته وأخلاقه.

أما فيما يتعلق بالمصادر التي اعتمدها من غير القرآن والحديث النبوي فهي:

- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية: لأبي عيسى الترمذي، وهو المصدر الأصل.

(1) وللاستزادة حول مضمون مخطوط: (أنجح الوسائل)، ينظر: مصادر السيرة النبوية في الغرب الإسلامي ومؤلفوها خلال القرنين: (5 و6هـ)، تأليف: د. عبد الرحمن بوعلي، أستاذ مؤهل بالمركز الجهوي للتربية والتكوين بمدينة العيون، الناشر: مكتبة المعارف-العيون، الطبعة الأولى: 1439هـ/2017م، (ص: 64-67).

- غريب الحديث: لأبي سليمان البستي، المعروف بالخطابي، (ت: 388هـ).
 - شرح أسماء الله الحسنى: للإمام أبي القاسم القشيري، (ت: 465هـ).
 - المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: لأبي حامد الغزالي، (ت: 505هـ).
 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (ت: 542هـ).
 - سراج المريدين في سبيل الدين: لأبي بكر بن العربي المعافري المالكي، (ت: 543هـ).
 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي أبي الفضل عياض اليعصبى، (ت: 544هـ)، وقد أحوال ورجع إليه كثيراً.
- هذه إجمالاً المصادر التي اعتمدها ابن مخلص السبتي في بناء مادة كتابه: «أنجح الوسائل في شرح الشمائل».

خاتمة

هذا ما وفرته لنا المصادر والمراجع حول شخصية ابن مخلص وعصره؛ وهذا ما وصلنا لحد الساعة من تراثه وآثاره؛ لكن لربما جاد الزمان في المستقبل بمؤلفات أخرى له، وهذه المؤلفات هي ولا شك في غاية النفاسة والحسن، كما سبق القول في التعريف بها ووصفها، والتي أعمل جاهداً على أن ترى النور في المستقبل القريب؛ خدمة للعلم ولأهل العلم، إسهاماً في التعريف بكنوز التراث الأندلسي المغربي النفيس.

وكخلاصة نقول:

- لقد كانت مدينة سبتة مهذاً وموطناً لعلماء كبار، ومركزاً علمياً ذا إشعاع ثقافي رائد على مدى قرون، ومعبراً من معابر التجارة، ونُزلاً مريحاً لقاصدي عدوة الأندلس والديار المشرقية، وباقي بلدان العالم، وهذا ما جعلها محط أطماع دائمة.

• إن الأفول الفكري الذي خيم على سبته نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري؛ كان انعكاساً لتردي أوضاع الأمة الإسلامية في عدوة الأندلس وضياعها على يدي ملوك بني الأحمر، مما عجل في ضياع سبته والاستيلاء عليها من طرف البرتغاليين واحتلالها.

• إن الركود الفكري الذي خيم على جغرافية الغرب الإسلامي بعد استيلاء العدو على الحواضر الإسلامية، جعل شعلة العلم ومجالسه بسبته مظلمة وخاوية مهجورة، وأوقف عجلة الرحلة العلمية، فقل الاهتمام بالعلم وأهله، وتجدد أهل العلم وطلبته للجهاد، حفاظاً على أرواحهم وأهاليهم، وهذا ما فسّر شحّ المعطيات المتعلقة بحياة ابن مخلص السبتي.

• إن اهتمام ابن مخلص السبتي بالدرس العقدي، وبسيرة الرسول ﷺ، وربطهما بمعنيهما الأول الذي هو: القرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ، يحيلنا على أن الأمة الإسلامية كانت تمر في هذه الفترة بمرحلة شك وريبة، وفتور في العزيمة ونقص في الإيمان؛ نظراً لتكالب الأعداء عليها، وخفوت دور علمائها بضياع عواصم العلم وغياب مجالسه.

وأخيراً: أسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلّم على نبينا وقودتنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.



مصادر البحث ومراجعته

❖ القرآن الكريم بالخط العثماني وبرواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، دار صبح - بيروت: 1426هـ / 2004م.

1. الإحاطة في أخبار غرناطة: للسان الدين ابن الخطيب، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى: 1424هـ.
2. بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، مؤلف مجهول: (كان حيًّا سنة: 820هـ)، تحقيق: عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية-الرباط، 1404هـ / 1984م.
3. تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان، تأليف: تلميذه أحمد بن إبراهيم بن يحيى، القشتالي، تحقيق: فرناند ودي لاجرانخا، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية-مدير: 1974م.
4. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، د. محمد بن رزق المصري، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع؛ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1426هـ.
5. تواريخ السبتيين، شذرات من كتاب الكواكب الوقادة، في ذكر من دفن في سبته من العلماء والصلحاء والقادة؛ وبلغة الأمنية ومقصد اللبيب، فيمن كان بسبته في الدولة المرينية، من مدرس وأستاذ وطبيب، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي (كان حيًّا: 820هـ)؛ اختصار الأخبار، عمن كان بثغر سبته من سني الآثار، لأبي القاسم محمد بن القاسم الأنصاري السبتي: (حيًّا: 825هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد السلام الجعماطي، منشورات المجلس العلمي المحلي لعمالة المضيق- الفنيدق، سنة: 1415هـ / 2015م.

6. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، طبعة: 1973 - 1974م.
7. الحياة الدينية في عهد بني مرين، مجلة دعوة الحق العدد: 64. الموقع الإلكتروني: لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية: (www.habous.gov.ma)، بتاريخ: (2021 /02 /25م).
8. سبته الإسلامية: دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي: (عصر الموحدين والمرينيين)، د. محمد الشريف، منشورات جمعية تطاون-أسمير، الطبعة الثانية: 2006م.
9. فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية، إنجاز: محمد سعيد حنشي؛ عبد العالي لمدير، إشراف ومراجعة: أحمد شوقي بنين، الطبعة الأولى: 1431هـ/ 2010م.
10. فهرس المخطوطات العقيدة الأشعرية بالخزانة الحسنية، د. خالد زهري؛ د. عبد المجيد بوكاري، مراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنين، منشورات الخزانة الحسنية بالرباط-دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1432هـ/ 2011م.
11. الفهرس الوصفي لخزانة المسجد الأعظم بوزان، إعداد د. بدر العمراني الطنجي؛ ومحمد سعيد الغازي، بإشراف: عبد اللطيف الجيلاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الطبعة الأولى: 1429هـ/ 2008.
12. فهرسة اليعمري: رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي، إعداد الطالب: أحمد جدوغ، بإشراف الدكتور محمد بنشريف، جامعة محمد الخامس؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، والرسالة غير مطبوعة.
13. قاموس المفردات البحرية بسبته الإسلامية، د. عبد السلام الجعماطي، مطبوعات المجلس العلمي المحلي المضيق الفنيديق، الطبعة الأولى: 1431هـ/ 2010م.

14. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأبي العباس أحمد بابا التنبكتي، دراسة وتحقيق: الأستاذ: محمد مطيع، طبعة وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية المغربية: 1421هـ/ 2000م.
15. مجمل تاريخ المغربي، د. عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، طبعة: 2012م.
16. مصادر السيرة النبوية في الغرب الإسلامي ومؤلفوها خلال القرنين: (5 و6هـ)، د. عبد الرحمن بوعلي، أستاذ مؤهل بالمركز الجهوي للتربية والتكوين بمدينة العيون، الناشر: مكتبة المعارف-العيون، الطبعة الأولى: 1439هـ/ 2017م.
17. معجم المفسرين: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نُوَيْهَض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر؛ بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة: 1409هـ/ 1988م.
18. مقال: من بيوتات سبتة في القرن الثامن الهجري، عبد السلام شقور، مجلة دعوة الحق، العدد: 286. نسخة الكترونية غير مرقمة صفحاتها، محفوظة بموقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية. رابط الموقع: (www.habous.gov.ma)، بتاريخ: (11/02/2018م).
19. نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، للأmir الأندلسي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، تحقيق وتقديم: د. محمد رضوان الداية، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1369هـ/ 1986م، (ص: 359358).
20. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي السوداني، عناية وتقديم: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس-ليبيا، الطبعة الثانية: 2000م.

ابن برجان الإشبيلي (ت536هـ)

سيرة عالم وملاح مدرسة

عبد الرزاق عكان

باحث في سلك الدكتوراه، تكوين العقائد والأديان السماوية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط

مقدمة

يعتبر أبو الحكم بن برجان الإشبيلي (ت536هـ) من أشهر صوفية الغرب الإسلامي عموماً، والأندلس على وجه الخصوص، الذين تركوا أثراً علمياً بارزاً، وقد حلاه كل من ترجم له بنعوت وأوصاف تدل على رسوخ قدمه وجلالة قدره في علوم الشريعة والحقيقة، لكن يظهر من الدراسات والأبحاث التي كُتبت حول هذا العَلم أنها لم تُوفِّه حقه.

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن سيرة هذا العالم الأندلسي، ومعرفة العصر الذي عاش فيه، مع بيان بعض ملامح منهجه الصوفي، لا سيما وأن ابن برجان ترك تراثاً فكرياً غزيراً، يتجلى في كتبه التي وصلتنا وأهمها: تفسيره الإشاري «تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف النبأ العظيم»، و«شرح أسماء الله الحسنى»، ومختصر تفسيره المسمى «إيضاح الحكمة بأحكام العبرة».

وتتجلى أهمية هذا المقال في كونه يحاول الكشف عن بعض الجوانب العلمية لشخصية طبعته القرن السادس الهجري، وكذلك بيان علاقة الوصل والتكامل بين الدرس الصوفي والدرس الكلامي الذي تميّز به علماء الغرب الإسلامي. وقد انتظمت خطة هذا المقال في ثلاثة مباحث؛ تطرقت في أولها إلى ظروف وسياقات العصر الذي عاش فيه ابن برّجان الإشبيلي، وفي المبحث الثاني تناولت ببعض التفصيل معالم من سيرته، ثم المبحث الثالث والأخير تطرقت فيه إلى معالم بارزة في الخطاب الصوفي عند ابن برّجان الإشبيلي.

المبحث الأول: المدرسة البرّجانية:

ظروف النشأة وسياق التأسيس

عاش ابن برّجان عصراً تتابعت أحداثه وتوالت متغيراته، ويمكن إجمال الحديث عن سياقات وظروف عصر ابن برّجان الإشبيلي من خلال، ملامح عصره السياسية، الاجتماعية والعلمية.

1) الحالة السياسية

عاصر ابن برّجان الإشبيلي فترتين سياستين جد مهمتين:

- أ - حكم ملوك الطوائف؛ الذي يبتدئ من سقوط الخلافة الأموية بالأندلس نهائياً عام 427هـ، إلى ضم الأندلس لحكم المرابطين عام 483هـ.
- ب - حكم المرابطين بالمغرب والأندلس؛ من بدايته إلى نهايته تقريباً، فقد توفي ابن برّجان عام 536هـ، فيما كان سقوط دولة المرابطين عام 541هـ.

ففي عصر الحكم الأول، وتحديدًا إبان حكم دولة بني عباد بإشبيلية، ولد وعاش ابن برجان، إلى أن أشخص إلى مراكش بأمر من سلطان المغرب علي بن يوسف إلى مراكش. وقد تزامن حكم ملوك الطوائف، مع نهاية وحدة الأندلس السياسية، فوزعت إلى مناطق ومدن، أقيمت في كل منها إمارات بل دويلات، تتصارع فيما بينها؛ إما من أجل البقاء أو التوسع.

وقد وصف عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب⁽¹⁾، حالة التشرذم والانقسام السياسي في الأندلس قائلا: «وأما حال سائر الأندلس بعد اختلاف دعوة بني أمية، فإن أهلها تفرقوا فرقا، وتغلب في كل جهة متغلب، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه، وتقسّموا ألقاب الخلافة، فمنهم من تسمى بالمعتضد، وبعضهم تسمى بالمأمون، وآخر بالمستعين، والمتوكل، وغير ذلك من الألقاب الخلافية، وفي ذلك يقول أبو علي الحسن بن رشيق في أبيات له:

مِمَّا يُرْهِدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَسْمَاءُ مُقْتَدِرٍ فِيهَا وَمُعْتَضِدٍ
الْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ⁽²⁾

وأكثر من هذا، فقد بلغ الوضع السياسي في الأندلس حالة من السوء والتشرذم ودرجة من الانحطاط، قبل فيها بعض ملوك الطوائف أداء الجزية لملوك النصارى، إما لحمايتهم أو مناصرتهم ضد إخوانهم في الدين ملوك الطوائف الآخرين⁽³⁾.

أما في فترة حكم المرابطين، وخاصة بعد ضم يوسف بن تاشفين للأندلس وانتهاء

(1) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، دون طبعة، القاهرة، دون تاريخ، ص 123.

(3) ذكر المراكشي في المعجب أن «وأما ملوك الأندلس فلم يكن منهم أحد إلا يؤدي إليه - الإذفونش [ألفونسو ملك إسبانيا] - الإتاوة، وهم كانوا أحقر في عينه وأقل من أن يحتفل لهم»، ص 193.

عصر ملوك الطوائف عام 483هـ⁽¹⁾، فقد عادت الوحدة السياسية للأندلس، كما تم توحيد العدوتين - المغرب والأندلس - مما جعل أطماع ملوك النصارى في الاستيلاء على الأندلس تتوقف، خاصة بعد هزيمتهم أمام جيوش المرابطين في معركة الزلاقة عام 479هـ⁽²⁾، يقول المراكشي: «وحين ملك يوسف أمير المسلمين جزيرة الأندلس وأطاعته بأسرها ولم يختلف عليه شيء منها، عُدد من يومئذ في جملة الملوك واستحق اسم السلطنة وتسمى هو وأصحابه بالمرابطين، واتصلت حال أمير المسلمين يوسف في إثارة الغزو وقمع ملوك الروم والحرص على ما يعود بالمصلحة على جزيرة الأندلس إلى أن توفي رحمه الله»⁽³⁾.

وكما عاصر ابن برجان الفترة الذهبية لحكم المرابطين على عهد يوسف بن تاشفين، فقد عاصر كذلك بدايات أفول حكمهم وصعود نجم دولة الموحدين، يقول عبدالواحد المراكشي في كتابه المعجب: «واختلت أحوال المرابطين بعد الخمسمائة - تاريخ وفاة ابن تاشفين - اختلالا شديدا، فظهرت في البلاد منابر كثيرة، وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد، فاختل لذلك حال كثير من بلاد الأندلس وكادت تعود إلى حالها الأول، لا سيما منذ قامت دعوة ابن تومرت بالسوس»⁽⁴⁾، ونستخلص من وصف المراكشي للأندلس هكذا، وبالضبط قوله حالها الأول، أن الأندلس رجعت إلى حالة التناحر والقتال والانقسام السياسي، وهو حال ملوك الطوائف قبل ضم الأندلس لحكم المرابطين، وهذا ما جعل مجموعة من

(1) أعمال الأعلام، لسان الدين بن الخطيب، ج 2 ص 392.

(2) الاستقصا لمعرفة أخبار المغرب الأقصى، الناصري، ج 2 ص 47 وبعدها. 2.

(3) المعجب، المراكشي، ص 228-234 بتصرف يسير.

(4) المعجب، المراكشي، ص 241.

المؤرخين يصفون فترة نهاية المرابطين وبداية الموحدين بـ «عصر ملوك الطوائف الثاني»⁽¹⁾.

وأما عن بدايات دولة الموحدين، ففي الربع الأول من القرن الخامس الهجري، بدأت المناوشات العسكرية بين المهدي بن تومرت وأنصاره الموحدين وبين جيش دولة المرابطين، يقول ابن القطان المراكشي في كتابه نظم الجمان: «ومن أخبار هذه السنة - ست عشرة وخمسمائة - ابتداء إعلام الإمام المهدي بن تومرت رضي الله عنه بإعلان أمره العزيز، ومبايعة الناس له»⁽²⁾، وبعد وفاة المهدي عام 524هـ، تولى بعده عبد المؤمن بن علي الكومي، فخاض المعارك والحروب ضد جيوش المرابطين، إلى أن تم له الاستيلاء على مراكش من ثم جميع ملك المغرب عام 541هـ⁽³⁾، ثم ما لبثت أن ظهرت في الأندلس دعوة الموحدين بدءاً من عام 539هـ، يقول ابن عذاري في البيان المغرب: «وفي هذه السنة، سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ظهرت في الأندلس دعوة الموحدين»⁽⁴⁾، ثم ما لبث الموحدون بعدها أن سيطروا على بلاد الأندلس بالكامل عام 545هـ، واسترجعوا عدداً من الحصون والمدن التي أخذها الفرنجة⁽⁵⁾، ومن طرائف التاريخ أن تكون القرية التي نشأ فيها ابن برجان طلياطة من أوائل البلاد الأندلسية التي قامت بدعوة الموحدين، وفي هذا الشأن يقول ابن عذاري: «وأول من قام بدعوة

(1) للتوسع الرجوع إلى كتاب: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين: عصر الطوائف الثاني (510هـ - 546هـ)، عصمت دندش، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1988.

(2) نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، أبو محمد ابن القطان المراكشي، درسه وقدم له وحققه محمود مكي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1990، ص 87 وبعدها.

(3) نظم الجمان، ابن القطان المراكشي، ص 168.

(4) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن عذاري، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، تونس، 2013، ج 2 ص 88.

(5) المعجب، المراكشي، ص 281 وبعدها.

الموحدين في بلاد الأندلس، أهل مارتلة في السابع عشر من ربيع الأول، ثم خالفت بعد ذلك طلياطة على المرابطين، ودخلت في دعوة الموحدين»⁽¹⁾.

2) الحالة الاجتماعية:

يمكن أن نقسم الحالة الاجتماعية بناء على الحالة السياسية إلى مرحلتين اثنتين:

أ - مرحلة الاضطراب الاجتماعي

كان عصر ملوك الطوائف عصر تفكك وانحلال سياسي واجتماعي شامل، فبنية السلطة مبنية على العصبية القبلية، وعلى التناحر والاقتتال على مناطق النفوذ، وقد وصف المراكشي هذا الوضع بالقول «واستبد كل رئيس منهم - ملوك الطوائف - بتدبير ما تغلب عليه من الجهات (...) ولم يزالوا كذلك وأحوال الأندلس تضعف وثغورها تختل»⁽²⁾، فهذا الوضع حال دون أن تعمل سياسات ملوك الطوائف لخير الشعب ورخائه وحفظ الأمن والنظام، فكثرت القسوة على الرعية، وأثقلت كواهلهم بالضرائب والمكوس، وقد ذكر الناصري في الاستقصا نقلا عن ابن خلدون وعن ابن أبي زرع مجموعة من النصوص، تفيد بأن من أسباب عبور يوسف بن تاشفين إلى الأندلس «إنكاره على ملوك الطوائف ما يسمون به رعاياهم من الظلامات والمكوس وتلاحق المغارم (...) وهذا ما دفع بفقهاء الأندلس أن يطلبوا منه رفع المكوس والظلم الواقع على سكان الأندلس من ملوك الطوائف، فأجابهم إلى ذلك»⁽³⁾.

ب - مرحلة الاستقرار والرخاء الاجتماعي

لقد كان من النتائج الاجتماعية لحكم المرابطين للأندلس تحت حكم يوسف بن

(1) البيان المغرب، ابن عذاري، ج 2 ص 88.

(2) المعجب، المراكشي، ص 146-147 بتصرف يسير.

(3) الاستقصا، الناصري، ج 2 ص 55 بتصرف.

تاشفين، رفع الضرائب والمكوس عن الضعفاء من سكان الأندلس، والتي كانت أيام ملوك الطوائف، ولم يتبق منها إلا ما كان موافقا لأحكام الشريعة الإسلامية، يقول الناصري في الاستقصا: «ولم ير في بلد من بلاد - يوسف بن تاشفين - ولا عمل من أعماله على طول أيامه، رسم ولا مكس ولا خراج، لا في حاضرة ولا في بادية إلا ما أمر الله به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكوات والأعشار وجزيات أهل الذمة وأخماس الغنائم»⁽¹⁾.

وقد كان لهذا التغيير، أثره الإيجابي على الحياة الاجتماعية في عموم سكان الأندلس، فعم الاستقرار والرخاء والأمن كل بلاد الأندلس، يقول المراكشي: «وأعاد إلى الأندلس معهود أمنها وسالف نضارة عيشها، فكانت الأندلس في أيامه حرما آمنا»⁽²⁾، وقال صاحب الحلل الموشية وهو يذكر سيرة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ويعدد محاسنه: «أقامت بلاد الأندلس في مدته سعيدة حميدة، في رفاهية عيش وعلى أحسن حال، لم تزل موفورة محظوظة، إلى حين وفاته رحمه الله عام 500هـ»⁽³⁾.

الحالة العلمية:

إنَّ القول بأن التفكك والانحطاط السياسي في مجتمع ما لا يعني بالضرورة الانحطاط العلمي والحضاري، ينطبق على حالة الأندلس في فترة حياة ابن برجان، فإذا كان التفكك السياسي والاجتماعي، هو الوجه البارز لعصر ملوك الطوائف، فإنه وفي المقابل شكلت الحالة العلمية والفكرية وجها مشرقا لتلك الفترة الحالكة في تاريخ الأندلس، فقد تنافس أمراء الطوائف في إحياء العلم، ونافست مدن الأندلس كقرطبة

(1) الاستقصا، الناصري، ج 2 ص 60.

(2) المعجب، المراكشي، ص 147.

(3) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مؤلف مجهول، حققه عبد القادر زمامة وسهيل زكار، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1979، ص 82.

وغرناطة وإشبيلية، أمهات المدن الإسلامية كبغداد والقاهرة وخراسان، فأخرجت البلاد المغربية والأندلسية أقطاب الشعر والأدب واللغة، والفقهاء، والمحدثين، والمفسرين، والمتصوفة، وعلماء الكلام، وكبار الفلاسفة، والأطباء، وغيرهم.

وأما في عصر المرابطين، فقد عرفت الحركة العلمية ازدهارا كبيرا في أغلب المجالات المعرفية، وأصبحت كبرى حواضر المدن المغربية كفاس ومراكش وسبتة، تنافس مثيلاتها في الأندلس بل في العالم الإسلامي، يقول المراكشي في هذا الصدد: «وانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، من الجزيرة [ومن المغرب] من أهل كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه من بعده من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار»⁽¹⁾، على الرغم من بعض الرقابة والمنع الذي مارسه المرابطون على العلوم العقلية والنظرية.

فعلم الفقه على مذهب الإمام مالك، قد توطدت أركانه وترسخت أقدامه، ومن الطبيعي أن يكون كذلك، فعليه قامت دعوة المرابطين ودولتهم، لذلك أصبح المذهب الرسمي للدولة، ومن ثم أصبح للفقهاء تأثير كبير في تسيير أمور البلاد، حتى أصبحت دولتهم تعرف بدولة الفقهاء، يقول صاحب الحلل الموشية: «وكان - يوسف بن تاشفين - يفضل الفقهاء، ويعظم العلماء، ويصرف الأمور إليهم، ويأخذ فيها برأيهم، ويقضي على نفسه بفتياهم»⁽²⁾، ومن المؤرخين من اعتبر سطوة الفقهاء واستبدادهم بأمور الدولة في عهد علي بن يوسف سببا في تسريع سقوط دولة المرابطين، يقول المراكشي: «واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين، وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء (...) فبلغوا في أيامه مبلغا عظيما (...) فكثرت لذلك أموالهم واتسعت

(1) المعجب، المراكشي، ص 164.

(2) الحلل الموشية، مؤلف مجهول، ص 82.

مكاسبهم»⁽¹⁾، ومن النصوص التي أوردها المراكشي، قوله: «ولم يكن يقرب من أمير المسلمين - علي بن يوسف - ويحظى عنده إلا من عَلِمَ عِلْمَ الفروع، أعني فروع مذهب مالك، فنفتت في ذلك كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسوله ﷺ، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بها كل الاعتناء»⁽²⁾، فهذا النفوذ الكبير للفقهاء على الحياة الفكرية والثقافية للدولة، من الطبيعي أن ينتج عنه موقف خاص تجاه الاتجاهات الفكرية المخالفة له، وعلى رأسها المذهب الأشعري، الذي بدأ ينتشر آنذاك، وقد قام عبد الله كنون في كتابه الممتع «النبوؤغ المغربي في الأدب العربي» بجرد لأبرز الشخصيات في مختلف الميادين العلمية في تلك المرحلة - ما بين عصر الطوائف وحكم المرابطين - في الفقه، والحديث، والتفسير، والتصوف، والطب، والفلسفة، والأدب وغيرها من الفنون⁽³⁾، مع تسميته لأبرز الكتب المؤلفة في ذلك العصر⁽⁴⁾.

المبحث الثاني: معالم من سيرة ابن برّجان الإشبيلي

المعلم الأول: سيرة حياته

1- أصله ونشأته:

تكاد تتفق المصادر المعتمدة في ترجمة أبي الحكم ابن برّجان، على أن اسمه عبد السلام بن عبد الرحمن، وكنيته أبا الحكم، باستثناء ابن الأثير القضاعي في التكملة، الذي وهم في تسميته ومن تابعه من المترجمين القدامى والمحدثين.

(1) المعجب، المراكشي، ص 235.

(2) المعجب، المراكشي، ص 236.

(3) النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ج 1 ص 72 - 77.

(4) النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ج 1 ص 94 - 95.

فقد ذكر ابن خلكان ترجمة عرضية لابن برجان فقال: «وأما ابن برجان المذكور فهو أبو الحكم عبدالسلام بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن اللخمي»⁽¹⁾، وكذلك أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي المعروف بابن الزبير في كتابه صلة الصلة فقال: «وهو عبدالسلام بن عبدالرحمن ابن أبي الرجال بن برجان من أهل إشبيلية يكنى أبا الحكم»⁽²⁾.

وهكذا ورد عند أغلب المترجمين له؛ مثل الذهبي في سير أعلام النبلاء⁽³⁾، وترجم له أيضاً في كتابه الخاص بالوفيات والمسمى «العبر في خبر من غبر»⁽⁴⁾، والصفدي في الوافي بالوفيات عنوان له مترجماً «ابن برجان الجد»⁽⁵⁾.

وأما في كتب طبقات الصوفية فترجم له عبد الرؤوف المناوي في طبقاته الكبرى المسماة «الكواكب الدرية في تراجم الصوفية»، فقال: «عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الإفريقي، ثم الإشبيلي الصوفي، المشهور بين الأعيان بابن برجان»⁽⁶⁾، وكذلك ذكره يوسف بن إسماعيل النبهاني في جامع كراماته فقال: «أبو الحكم عبدالسلام بن

(1) وفیات الأعیان، ابن خلكان، ج 4 ص 236-237.

(2) صلة الصلة، أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي، تحقيق شريف العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2008، المجلد 3 ص 207.

(3) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، بيروت، 1996، ج 20 ص 72.

(4) العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، حققه وضبطه محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، دون طبعة، بيروت دون تاريخ، ج 2 ص 450.

(5) الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، اعتناء أحمد السيد، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت، 1991، ج 18 ص 428.

(6) طبقات الصوفية الكبرى: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، زين الدين عبد الرؤوف المناوي، تحقيق وإعداد محمد الجادر، دار صادر، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ، ج 2 ص 261.

عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي الأندلسي، المشهور بابن برجان»⁽¹⁾.

ومع اتفاق هذه المصادر المعتمدة في ترجمة ابن برجان على أن اسمه عبدالسلام ابن عبدالرحمن، نجد أن أبا عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن الأتبار القضاعي في كتابه «التكملة لكتاب الصلة» قد سمّاه «عبدالرحمن بن أبي الرجال واسمه محمد بن عبدالرحمن اللخمي من أهل إشبيلية، يعرف بابن برجان ويكنى أبا الحكم»⁽²⁾، مُكرِّراً وخالطاً بين ترجمة ابن برجان الجد وابن برجان الحفيد، مخالفاً بذلك سائر الكتب التي ترجمت له، فيقول في ترجمة ابن برجان الحفيد: «عبدالرحمن بن عبدالسلام بن عبدالرحمن بن أبي الرجال، من أهل إشبيلية، يكنى أبا الحكم ويعرف بابن برجان، وجده هو المذكور قبل في هذا الباب»⁽³⁾.

ويظهر أن سبب هذا الخلط يرجع إلى اشتراك الجد والحفيد في نفس الاسم والنسب والكنية، وكمثال على ما أدى إليه الخلط الواقع بين ابن برجان الجد والحفيد، إلى خلط ووهم عند بعض أصحاب التراجم، نجد أن محمد بن قاسم مخلوف في شجرة النور الزكية يترجم لأبي الحكم عبد الرحمن بن أبي الرجال اللخمي الإشبيلي⁽⁴⁾، ثم يترجم بعده مباشرة لمن أسماه بابنه عبدالسلام بن عبدالرحمن بن أبي الرجال⁽⁵⁾، وبالتحقيق فيما أورده ابن مخلوف من معلومات حول المترجمين معاً نجد

(1) جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق ومراجعة إبراهيم عوض، مركز أهل السنة، الطبعة الأولى، الهند، دون تاريخ، ج 2 ص 166 - 167.

(2) التكملة لكتاب الصلة، أبو عبدالله محمد ابن الأتبار القضاعي، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، دون طبعة، بيروت، 1995، ج 3 ص 21.

(3) التكملة، ابن الأتبار، ج 3 ص 46.

(4) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن قاسم مخلوف، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2003، ج 1 ص 194.

(5) شجرة النور الزكية، محمد بن قاسم مخلوف، ج 1 ص 195.

أَنهما شخص واحد، ونجد أيضاً أَنَّ العباس السملالي وَهَمَ حينما ترجم لعبدالرحمن بن محمد بن برجان اللخمي⁽¹⁾، ثم ترجم لعبدالسلام بن عبدالرحمن بن برجان اللخمي⁽²⁾، وبتفحص ما أورده العباس السملالي في كتابه الإعلام، نجد أيضاً أَنَّ التَرجَمَتين لشخص واحد.

وأما تسميته بابن بَرَّجان، فهي مخففة من «ابن أبي الرجال» ذكرها ابن خلكان في الوفيات⁽³⁾، والصفدي في الوافي⁽⁴⁾، والناصري في الاستقصا⁽⁵⁾.

وقد ضبط ابن خلكان في الوفيات «بَرَّجان» بفتح الباء وتشديد الراء قائلًا: «وبَرَّجان بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وبعدها جيم وبعده الألف نون»⁽⁶⁾.

وأما أَنه إفريقي، فلأنَّ جدَّه أبو الرجال وهو محمد بن عبدالرحمن دخل الأندلس قادمًا إليها من إفريقية، ذكره ابن الأبار في التكملة⁽⁷⁾، وابن الزبير في صلة الصلة⁽⁸⁾، وابن شاعر الكتبي في فوات الوفيات⁽⁹⁾.

والإشبيلي نسبة إلى إشبيلية إحدى كبرى مدن الأندلس، فيها ولد ونشأ، وكما سيأتي بيانه فلم ينتقل ابن برجان في مدن الأندلس كثيرًا، فالراجح أَنه بقي بإشبيلية طيلة حياته إلى أَن تم تغريبه إلى مراكش.

(1) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن ابراهيم السملالي، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثالثة، الرباط، 1993، ج 8 ص 56-57.

(2) الإعلام، السملالي، ج 8 ص 473.

(3) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 4 ص 236-237.

(4) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج 18 ص 427.

(5) الاستقصا، الناصري، ج 2 ص 77.

(6) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 4 ص 236-237.

(7) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار القضاعي، ج 3 ص 21.

(8) صلة الصلة، ابن الزبير الغرناطي، المجلد 3 ص 207.

(9) فوات الوفيات، ابن شاعر الكتبي، ج 2 ص 323.

وأما نسبته إلى لخم، فإشارة إلى نسبه العربي، الذي يرجع إلى قبيلة لخم المعروفة من اليمن.

2- تكوينه العلمي:

1- شيوخه:

لكن على الرغم من ذلك فليست لدينا معلومات دقيقة عن شيوخه بخلاف بعض معاصريه، لذلك نجد كتب التراجم والتاريخ التي ترجمت لابن برجان تحدثت فقط عن شيخه المحدث أبي عبدالله محمد بن منظور، الذي ذكر كل من ابن الأبار في التكملة⁽¹⁾، والذهبي في السير⁽²⁾، أن ابن برجان «سمع من أبي عبدالله بن منظور صحيح البخاري وحدث به عنه».

وقد ترجم لأبي عبد الله محمد بن منظور كل من؛ ابن بشكوال في الصلة فقال: «من أهل إشبيلية يكنى أبا عبد الله، رحل إلى المشرق ولقي أبا ذر الهروي وجاور معه، وكتب عنه الجامع الصحيح للبخاري وغير ما شيء، كان ذكي الخاطر، حسن المجالسة، من بيت علم وذكر وفضل. توفي بإشبيلية يوم الأربعاء لأربع عشرة خلت من شوال سنة 469هـ وانتهى عمره سبعون سنة رحمه الله»⁽³⁾، وترجم له الضبي في بغية الملتبس فقال: «محمد بن أحمد بن عيسى بن منظور الاشبيلي القاضي بها، فقيه محدث عارف راوية، توفي سنة 469هـ وله سبعون سنة وأربعة أشهر، روى عن جماعة منهم أبو ذر الهروي»⁽⁴⁾.

(1) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ج 3 ص 21.

(2) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج 20 ص 73.

(3) الصلة، ابن بشكوال، ج 2، ص 187-189.

(4) بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، أحمد بن عميرة الضبي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، 1989، ج 1 ص 76-75.

- أبو عبد الله ابن خميس اليابري (ت503هـ)، صاحب كتاب «الغريب المنتقى من كلام أهل التقى»، هذا الصوفي المفسر، المتأثر بالحارث المحاسبي، والذي عاش طويلاً بإشبيلية، قد يكون بلا شك درس ابن برجان ولقنه بعض كلام وتصوف المحاسبي.

2- تلاميذه:

أشارت مجموعة من كتب التراجم إلى عدد ممن تتلمذ على ابن برجان، فقد ذكر ابن الأثير في التكملة «حدّث عنه أبو القاسم القنطري بتأليفه المذكورين، وأبو محمد عبدالحق الاشيلي، وأبو عبد الله بن خليل، وأبو محمد المالقي وغيرهم»⁽¹⁾، وذكر ابن الزبير في صلة الصلة «روى عنه عليّة وجليّة، منهم العابد الفاضل أبو محمد عبد الغفور ابن خلف السكوني، وأبو القاسم بن عبد الله القنطري الشبلي، وأبو عبد الله بن خليل القيسي»⁽²⁾، وذكر الذهبي في السير «روى عنه أبو القاسم القنطري، وأبو محمد عبدالحق الأزدي، وأبو عبد الله بن خليل القيسي، وآخرون»⁽³⁾.

3 - أقرانه:

يقول ابن الأثير في المعجم: «أبو الحكم بن برجان، وأبو العباس بن العريف، وأبو بكر الميورقي، كانوا على نمط واحد في الانتحال والاتصاف بصلاحية الحال، ولأبي الحكم الشفوف عليهم، حتى قيل فيه غزالي الأندلس»⁽⁴⁾.

(1) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأثير، ج 3 ص 21.

(2) صلة الصلة، ابن الزبير، ج 3 ص 208.

(3) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج 20 ص 73.

(4) المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدي، أبو عبد الله محمد بن الأثير القضاعي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، مصر، 2000، ص 19.

فأبو العباس بن العريف (536هـ)، ترجم له ابن بشكوال في الصلة بالقول: «أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، من أهل ألمرية، يكنى أبا العباس ويعرف بابن العريف، كانت عنده مشاركة في أشياء من العلم وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها وحملتها، كان متناهما في الفضل والدين منقطعاً إلى الخير»⁽¹⁾.

وأبو بكر الميورقي (537هـ) ترجم له ابن عبد الملك في الذيل والتكملة قائلاً: «محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن بشر الأنصاري الخزرجي أبو بكر، ميورقي الأصل سكن غرناطة مدة. كان محدثاً واسع الرواية، عارفاً بالحديث وعلله وأسماء رجاله، مشهوراً بالإتقان والضبط، ثقة فيما نقل وروى، دينا ذكياً متخاملاً، فاضلاً خيراً، متقللاً من الدنيا، ظاهري المذهب داوُدِيَّة، يغلب عليه الزهد والصلاح»⁽²⁾.

وأبو القاسم بن قسي (546هـ) ترجم له ابن الأَبَّار في كتابه «الحلة السيرة»، هو «أحمد بن الحسين بن قسي، أبو القاسم، أول الثائرين بالأندلس عند اختلال دولة الملمثمين، وهو رومي الأصل من بادية شَلْب، تزهد وباع ماله وتصدق بثمانه وساح في البلاد، لقي أبا العباس بن العريف بألمرية قبل إشخاصه إلى مراکش، ادعى الهداية مخرقة وتمويها على العامة وتسمى بالإمام، وبعد أن صرَّح بالخلاف فتك به أهل شلب، معلنين دعوة الموحدين، وذلك في جمادى الأولى من سنة ست وأربعين وخمسمائة»⁽³⁾، وأبو الحسن بن حرزهم المتوفى (559هـ) ترجم له ابن الزيات التادلي في التشوف قائلاً: «أبو الحسن علي بن حرزهم، من أهل مدينة فاس، وبها توفي في أواخر

(1) الصلة، ابن بشكوال، ج 1 ص 101 - 102.

(2) الذيل والتكملة، ابن عبد الملك، ج 4 ص 185 - 186 ترجمة 452.

(3) الحلة السيرة، ابن الأَبَّار القضاعي، حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس، دار المعارف، الطبعة 2، القاهرة، 1985، ج 2 ص 197.

شعبان من عام 559هـ، قدم حضرة مراکش وكان فقيهاً، حافظاً للفقه، زاهداً في الدنيا، سالكا في التصوف سبيل أهل الملامتية⁽¹⁾.

4- تراثه الفكري:

من أشهر مؤلفاته تفسيره المعروف بـ«تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم»، وهو أشهر أثر علمي لابن برجان، ذكر ابن الزبير في كتابه صلة الصلة ما يؤكد ويفيد أنه اطلع عليه وأعجب به فقال: «وجرى فيه - كتاب التفسير - على طريقة لم يسبق إليها، واستقرأ من آيات عجائب وكوائن من الغيوب، إلا أنه أغمض في التعبير عن ذلك، فلا يصل إلى مقصوده، إلا من فهم كلامه، وألف إشارة وإلهامه»⁽²⁾.

وقد ألف ابن برجان مختصراً لتفسيره أسماه إيضاح الحكمة بأحكام العبرة، أملاه على تلاميذه قبل سنوات من وفاته على الأغلب، وهو مختصر من التفسير الكبير، إذ يحيل إليه ابن برجان في العديد من المواضع.

ج - شرح أسماء الله الحسنى:

اشتهرت نسبة هذا الأثر لابن برجان كشهرة تفسيره، فكل الذين ترجموا لابن برجان نسبوا له هذا الكتاب دون تسمية حقيقية وكاملة.

فقد ذكر ابن الزبير «وألف كتابه الشهير في تفسير أسماء الله الحسنى، فجرى على ذلك المنهاج»⁽³⁾، أما حاجي خليفة فقد ذكر في كشف الظنون في وصفه لهذا الشرح ما

(1) التشوف، ابن الزيات التادلي، ص 168.

(2) صلة الصلة، ابن الزبير، ج 3 ص 207.

(3) صلة الصلة، ابن الزبير، المجلد 3 ص 207.

يفيد اطلاعه عليه قائلًا «أوله الحمد لله الذي باسمه تفتتح المطالب، وهو كتاب كبير جمع فيه من أسماء الله تعالى ما زاد على المائة والثلاثين، كلها مشهورة مروية، وفصل الكلام في كل اسم على ثلاثة فصول؛ الأول في استخراجها، الثاني في الطريق إلى تقرب مسالكها، والثالث في الإشارة إلى التعبد بحقائقها»⁽¹⁾.

د - الإرشاد إلى سبل الرشاد:

ذكر ابن الزبير في صلة الصلة ما يفيد قطعاً أنه اطلع على كتاب الإرشاد لابن برجان، وأنه أعجب بمضمونه ومنهجه غاية الإعجاب، فقال «وَأَلَفَ ابْنُ بَرْجَانَ كِتَابَهُ الْإِرْشَادَ قَصْدَ فِيهِ إِلَى اسْتِخْرَاجِ أَحَادِيثٍ صَحِيحٍ مُسْلِمَ بْنِ الْحُجَّاجِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَارَةً يَرِيكَ الْحَدِيثَ مِنْ نَصِّ آيَةٍ، وَتَارَةً مِنْ فَحْوَاهَا وَمَفْهُومِهَا، وَتَارَةً مِنْ إِشَارَتِهَا أَوْ مِنْ مَجْمُوعِ آيَتَيْنِ مُؤْتَلَفَتَيْنِ أَوْ مُفْتَرَقَتَيْنِ وَمِنْ عِدَّةِ آيَاتٍ»⁽²⁾.

وبالرجوع إلى تفسير القرآن الكريم لابن برجان وشرحه أسماء الله الحسنى، نجده يشير إلى الاسم الكامل والحقيقي لكتابه الإرشاد هذا⁽³⁾. وهذه الإشارات من مؤلف الكتاب نفسه، يكون اللبس قد ارتفع عن الاسم الكامل والحقيقي لكتاب الإرشاد إلى سبل الرشاد لأبي الحكم بن برجان.

ه - عين اليقين:

إضافة إلى الكتب الأربعة السابقة، الثابتة النسبة لابن برجان، قد يكون من الممكن أن يكون كتب كتاباً خامساً اسمه «عين اليقين»، وهذا المؤلف غير مذكور عند المؤرخين أو ممن كتبوا في التصانيف، وإنما ورد ذكره في فتوى أوردها ابن خلدون

(1) كشف الظنون، حاجي خليفة، ج 2 ص 1031 - 1032.

(2) صلة الصلة، ابن الزبير، المجلد 3 ص 207.

(3) انظر: شرح أسماء الله الحسنى، ج 1 ص 255، وتنبيه الأفهام، ج 5 ص 220.

يدين فيها كتب مجموعة صوفية الوحدة⁽¹⁾ ويدعو إلى حرقها؛ لما فيها من الضلال والكفر الصريح، وهي: «عين اليقين» لابن برجان، و«الفتوحات المكية» لابن عربي، و«بد العارف» لابن سبعين، و«خلع النعلين» لابن قسي⁽²⁾.

ثناء العلماء عليه:

لقد استحق أن ينعت ابن برجان ويوصف عند معاصريه ومن جاء بعده بأنه «غزالي الأندلس»، مشبها مقامه في الغرب الإسلامي بمقام أبي حامد الغزالي في المشرق، فقد ذكر ابن الأبار في «المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدي» في ترجمة ابن العريف أن «أبا الحكم بن برجان، وأبا العباس بن العريف، وأبا بكر الميورقي، كانوا على نمط واحد في الانتحال والاتصاف بصلاحية الحال، ولأبي الحكم الشفوف عليهم، حتى قيل فيه غزالي الأندلس»⁽³⁾.

(1) يفرق ابن خلدون بين نمطين من التصوف عند المتأخرين؛ يقول في شفاء السائل: «والذي يجمع مذاهبهم على اختلافها وتشعب ذرقها رأيان: الأول أصحاب التجلي والمظاهر والأسماء، وهو رأي فيلسوفي الإشارة، ومن المتمذهبين به ابن الفارض، وابن برجان، وابن قسي والحاتمي، والبوني، والثاني أصحاب الوحدة ومن أشهر القائلين به ابن دهاق وابن سبعين والششتري». انظر: شفاء السائل لتهديب المسائل، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق أبو يعرب المرزوقي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، تونس 1991. ص 212-214.

(2) هذه الفتوى - على اعتبار مصداقيتها - أوردها صالح المقبلي (ت 1108هـ) في كتابه «العلم الشامخ في إثارة الحق على الآباء والمشايخ»، تحت عنوان «إفتاء ابن خلدون في أهل الوحدة وكتبهم»، الطبعة الأولى، مصر، 1328هـ، ص 500، وبالرجوع إلى فتوى برهان الدين البقاعي في كتابه مصرع التصوف، لم يذكر كتاب عين اليقين، وإنما ذكر الكتب الثلاث الأخرى، وقد أثبت محقق «مصرع التصوف» كتاب عين اليقين لابن برجان نقلا عن العلم الشامخ للمقبلي، وهذا لا يتماشى مع أصول وأبجديات التحقيق، انظر: مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، ص 167. كما أن هذه الفتوى غير موجودة في كتب ابن خلدون التي تطرق فيها للتصوف كالمقدمة وشفاء السائل، وإنما عرض مذاهب التصوف المتأخر وبعض أقطابه، ولم يذكر بتاتا أي كتاب لأي صوفي من هؤلاء الأعلام، ويبقى السؤال من أين نقل البقاعي والمقبلي تلك الفتوى؟

(3) المعجم، ابن الأبار، ص 19.

ولعل أغلب من ترجموا له، أثنوا على الجانب الصوفي لشخصيته، خاصة والرجل كان من أقطاب التصوف في زمانه، فقد أجمع كل من ترجم له على اتصافه بالزهد والعبادة، فقال ابن خلكان «وكان عبدا صالحا»⁽¹⁾، وذكر ابن الأثير في التكملة أن ابن برجان «وكان من أهل المعرفة بالتصوف، مع الزهد والاجتهاد في العبادة»⁽²⁾، وحلّاه ابن الزبير في كتابه صلة الصلة بمجموعة من الأوصاف الجليلة قائلا: «وكان رحمه الله من أجَلِّ رجال المغرب مؤثرا لطريقة التصوف وعلم الباطن متصرفا في ذلك، عارفا بمذاهب الناس، متقيدا في نظره بظواهر الكتاب والسنة، شديد التمسك بالكتاب والسنة»⁽³⁾، وذكر الذهبي في السير أن ابن برجان هو «الشيخ الإمام العارف القدوة شيخ الصوفية»⁽⁴⁾.

مكانته العلمية:

يلخص لنا قول ابن الأثير أن ابن برجان كان «من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف»⁽⁵⁾، الجانب الموسوعي في شخصية أبي الحكم ابن برجان العلمية، فقد أجمع المؤرخون وأصحاب التراجم على ألعمية وتفوق ابن برجان في العديد من العلوم والفنون، فقد وصفه ابن الزبير بما يؤكد تبحره في علم الكلام، وتعمقه في مباحثه الكلامية، فقال «وكان إماما في علم الكلام جاريا في تأويل ذلك على طريق السلف وعلماء المسلمين وما عليه السواد الأعظم»⁽⁶⁾.

(1) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 4 ص 236.

(2) التكملة، ابن الأثير، ج 3 ص 21.

(3) صلة الصلة، ابن الزبير، ج 3 ص 207.

(4) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 20 ص 72.

(5) التكملة، ابن الأثير، ج 3 ص 207.

(6) صلة الصلة، ابن الزبير، ج 3 ص 207.

و أما في اللغة وعلومها، فهو «إمام في لغات العرب والأدب نحوي بارع، نقاد ماهر، لا يماثل بقرين»⁽¹⁾، وفي علم التفسير فهو «عارف بالتفسير والتأويل وفهم آيات التنزيل»⁽²⁾، وإلى جانب كل ما ذكر، فقد كان ابن برجان متبحرا مشاركا في علوم أخرى، كالحساب والهندسة وعلوم أخرى⁽³⁾.

محتته ووفاته:

أجمع من ترجم لابن برجان، أنه امتحن ونُكِّب وتوفي بمراكش مغربا عن وطنه، فابن الأبار قال: «وتوفي بمراكش مغربا عن وطنه»⁽⁴⁾، وابن الزبير ذكر أن ابن برجان «توفي بمراكش في تغريبه الامتحاني»⁽⁵⁾، وقد ذكر الشعراني في طبقاته ما يفيد سبب التغريب والوفاة، وهو الصراع الذي وقع في أواخر الدولة المرابطية بين الفقهاء ومن يخالفهم من متكلمة أو صوفية، يقول الشعراني: «لما قام على ابن برجان وأتباعه، الحاسدون، عجزوا أن يثبتوا عليهم ما يوجب القتل، فعملوا عليهم الحيلة وقالوا للسلطان إنه خطب لابن برجان في نحو مائة وثلاثين بلدا، فأمر بقتلهم»⁽⁶⁾، وما يؤكد هذا القول أن ابن عبد الملك في الذيل والتكملة أشار إلى هذه المسألة بالقول: «وسُعي عليه - ابن برجان - سعاية باطلة عند علي بن يوسف، فأحضره إلى مراكش»⁽⁷⁾.

(1) صلة الصلة، ابن الزبير، ج 3 ص 207.

(2) صلة الصلة، ابن الزبير، ج 3 ص 207.

(3) صلة الصلة، ابن الزبير، ج 3 ص 207.

(4) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ج 3 ص 21.

(5) صلة الصلة، ابن الزبير، ج 3 ص 208.

(6) الطبقات الكبرى: لوامع الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق عبد الغني النابلسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، بيروت، 2003، ص 28.

(7) الكواكب الذرية، المناوي، ج 2 ص 262.

وتكاد تتفق كتب التراجم والمصادر التاريخية، أنَّ تاريخ وفاة ابن برّجان كان سنة ست وثلاثين وخمسمائة هجرية (536هـ). وذكر ابن خلكان في الوفيات «وتوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمدينة مراکش رحمه الله تعالى»⁽¹⁾، وأثبت الذهبي في سير أعلام النبلاء نفس تاريخ الوفاة⁽²⁾، والصفدي في الوافي بالوفيات⁽³⁾.

وذكر ابن القاضي في جذوة الاقتباس أنَّ «ابن برّجان مدفون بمراكش برحبة الحنطة بها، وهو الذي تقول له العامة به سيدي بو الرجا»⁽⁴⁾، وقد نقل الناصري عن ابن عبد الملك في الذيل والتكملة أنَّ «أبا الحكم بن برّجان مدفون بمراكش برحبة الحنطة منها»⁽⁵⁾، ثم علق عليه مضيفاً «وهو الذي تقول له العامة سيدي أبو الرجال»⁽⁶⁾، وذكر السملالي في الإعلام أنَّ «ابن برّجان من الأولياء المشاهير موتاً في هذا البلد المبارك، وضريحه برحبة الزرع القديمة بمراكش»⁽⁷⁾.

المبحث الثالث:

معالم بارزة في الخطاب الصوفي عند ابن برّجان الإشيلي

إنَّ المحقق في الرصيد العلمي لابن برّجان الإشيلي، سيصير لا محالة أصولاً بانية، ومعالم هادية، في نسقه الفكري، تركها لنا ماثلة في مؤلفاته التي وصلتنا، وسأسعى

(1) وفيات الاعيان، ابن خلكان، ج 4 ص 237.

(2) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج 20 ص 73.

(3) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج 18 ص 428.

(4) جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الاعلام مدينة فاس، أحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، دون طبعة، الرباط، 1973، ص 464.

(5) الاستقصا، الناصري، ج 2 ص 77.

(6) الاستقصا، الناصري، ج 2 ص 77.

(7) الإعلام، السملالي، ج 8 ص 474.

قدر الإمكان إلى الإشارة لبعضها، انطلاقاً من تتبع واستقراء غير تام، لبعض أفكاره وآرائه ومواقفه في كتبه.

المعلم الأول: الكلام والتصوف: نحو منهج جامع بين العقل والقلب

تظهر ملامح هذا المعلم في النقاط التالية:

1) المزاجية بين المنهج الصوفي الذوقي والمنهج النظري العقلي

تكون هذه المزاجية في الغالب عند الاستدلال على بعض القضايا الدقيقة في الإلهيات «جليل الكلام»، ومثل هذا الاستدلال نجده عن ابن برّجان الإشيلي في قوله: «وكل ما نظر فيه المعتبر ببصره أو يقع عليه همه، فعظمة الله تعالى تبدو له فيه وشاهدها، فكيف به أن فتح لوهمه باب الممكن الجائز، بل هو الواجب وجوده»⁽¹⁾.

فيظهر بجلاء من خلال كلامه تقريب المفاهيم للذهن بالأدلة الكلامية، حتى يتم تنفيذ الشبه الواردة على المعتقد، ومن ثم يفتحون - الصوفية - مجالاً للعناية بها من خلال الرياضة والتقرب بالطاعات وبلوغ المقامات بزيادة الفهم. وبهذه المزاجية بين الممارستين العقلية والصوفية تتحول العقيدة من موضوع عقلي جاف جدلي إلى حالة نفسية حية مليئة بالتجربة والإحساس والذوق.

2) تحصيل اليقين بالنظر والاستدلال:

أو لنقل الانتقال من مستوى الإيمان الاعتقادي إلى مستوى الإيمان العملي، فابن برجان يدعو إلى النظر العقلي من أجل تحصيل العلم واليقين، وذلك بالجمع بين كتاب الله المسطور وكتابه المنظور، من أجل تأسيس رؤية توحيدية كونية تجمع بين التفكير في

(1) ابن برجان الإشيلي، شرح أسماء الله الحسنى، ج 1 ص 167.

خلق الله تعالى والتدبر في كتابه بغية تحصيل اليقين، وغالبا ما يعبر ابن برجان عن هذه (الثنائية الوجودية/ المعرفية) باصطلاح الصوفية من خلال لفظتي الملك والملكوت، فمثلاً نجده يقول مبينا هذا المعنى: «فالملك عند أهل الاعتبار يدل على عالم الشهادة والملكوت يدل على عالم الغيب منه، وعن معرفة حقيقة الملكوت يكون علم اليقين، كما أن عن معرفة حقيقة الملك تحصل المشاهدة وهو عين اليقين»⁽¹⁾.

وقد يعبر عن الأول بالوحي، وعن الثاني بالوجود، ومن أقواله المبينة لهذا المعنى: «قد تقدم أن ما في العالم من وجود إلا والنبأ قد أنبأ عنه إما تصريحاً أو تعريضاً أو نصّاً عليه، كذلك ما في النبأ من ذكر أو تذكير أو إعلام إلا في الوجود شاهد له ومصدق لما أنبأ به ما فرطنا في الكتاب من شيء [الأنعام: 39] وهذا عام في الكتابين - يقصد الوجود والوحي -»⁽²⁾.

ونختم هذه الفقرة بالقول أن بعد النظر والاستدلال الذي ينتمي إلى النسق المعرفي الكلامي يحصل اليقين، الذي ينطلق منه الصوفي ليترقى في مقامات العبادة والقرب، فيضبط بذلك تجربته الصوفية بالمعرفية الكلامية العقلية.

3 استهلال المؤلفات الصوفية بجملة من القضايا الكلامية:

فقد ساروا على نهج المتكلمين عند وضعهم للمقدمات الكلامية قبل الدخول في موضوع الدراسة، وهو وضوح مقدمة في العلم قبل الدخول في العمل على وجه الضرورة والإلزام، مثل بعض قضايا الطبيعيات: (دليل الحدوث والتسلسل، الجوهر الفرد، الجوهر والعرض) والإلهيات في دقيق الكلام وجليله: (معرفة الله، وجود الله،

(1) شرح أسماء الله الحسنى، ابن برجان، ج 1 ص 302 - 303 بتصرف يسير.

(2) إيضاح الحكمة بأحكام العبرة، ابن برجان، ص 36.

الأسماء والصفات، أفعال الله)، مبحث النبوات، وقضايا الإيمان ثم مناقشتها بالأدلة العقلية والنقلية، ثم الانتقال بعدها إلى القضايا الباطنة؛ وأولها النية والإخلاص، ثم المقامات والاحوال الصوفية، وبهذا تكون لدينا مقدمة كلامية ونتيجة صوفية، وكمثال على هذا يقول ابن برّجان الإشبيلي (536هـ/ 1141م) في مقدمة كتابه «شرح أسماء الله الحسنی» متحدثاً عن علاقة الأسماء بالصفات: «ينبغي معرفة رجوع معاني أسماء الله الحسنی إلى الصفات العلا السبعة وهي: الإلهية، الوحدة، الحياة، العلم، القدرة، الإرادة، والملك»⁽¹⁾.

4 الخاصة التكاملية: اقتران العلم بالعمل

وهو ما يعبر عنه الصوفية بـ«اجتماع المقال بالحال»، والمقصود به ملازمة المعرفة للسلوك، ومطابقة النظر للعمل⁽²⁾، فبخلاف ما كان عليه الحال في التجربة الصوفية المشرقية، ذات الطابع النظري المغرق في التجريد، أصبحت التجربة الصوفية بالغرب الإسلامي، لا ينفك فيها العلم عن العمل، فكل معرفة عقلية لا بد أن تنتقل من مستوى التمييز المجرد، إلى مستوى التخلق السلوكي. فلذلك في الغالب توسم التجربة الصوفية بالغرب الإسلامي عند الباحثين بأنها أخلاقية عملية في مقابل التجربة الصوفية المشرقية التي توصف بأنها عرفانية إشراقية. فابن برّجان في شرحه لأسماء الله الحسنی، نجد أنه ربط بين العلم والعمل في بيانه لمعاني أسماء الله الحسنی، فيقول: «ثم فصلت

(1) ابن برّجان الإشبيلي، شرح أسماء الله الحسنی، تحقيق أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2000م، ج 1 ص 29.

(2) يقول طه عبد الرحمان في هذا المعنى: «إن المعرفة لا تستقيم على قوانين علمهم إلا إذا كانت تلبس السلوك، كما أن النظر لا يطرد على أصول مذهبهم إلا إذا كان يلبس العمل، فلا ينطق الناطق منهم إلا وهو متحقق بما يقول». العمل الديني وتجديد العقل: ص 147.

الكلام في كل اسم بالإرشاد إلى معرفة واستقراء مسالكها في الخليفة، ثم بالإرشاد إلى التعبد بمعانيها وإعمال النفوس بمقتضاها»⁽¹⁾.

فأصبحت هذه الخاصية التكاملية⁽²⁾ أي الجمع بين العلم والعمل واعتبار أن كمال العلم في حصول التحقق به عملاً وسلوكاً وحالاً، خصيصة من خصائص متكلمة الصوفية في الغرب الإسلامي.

المعلم الثاني: مقامات وأحوال للتخلق والتخليق

عاش ابن برجان في زمن أصبح الفقه خاصة والعلوم الشرعية عامة وسيلة للتكسب والتغلب والاعتناء، ومطية لتسلق الدرجات والمناصب، يقول المراكشي - وهو قريب العهد بهذا العصر - في هذا الشأن: «فعظم أمر الفقهاء... وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم»⁽³⁾، وقد عبّر عند هذه الحالة شعراً أحد شهود تلك المرحلة ابن البني الجياني، إذ يقول:

أهل الرياء لبستم ناموسكم	كالذئب أدلج في الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك	وقسمتم الأموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب	وبأصبغ صبغت لكم في العالم ⁽⁴⁾

(1) ابن برجان الإشبيلي، شرح أسماء الله الحسنى، ج 1 ص 29.

(2) يعتبر الأستاذ طه عبد الرحمن «الخاصية التكاملية» المتمثلة في الجمع بين التخلق والتفقه، الجمع بين التجرد والتسبب، والجمع بين الجهاد والمجاهدة، و«الخاصية التداولية» المتمثلة في النفور من الفروع الفقهية، النفور من الجدل الكلامي، والنفور من الحكمة العرفانية، ثم «الخاصية التأنيسية» المتجلية في المدلول الروحي للجهاد، المدلول الإنساني للدعوة، والمدلول المعنوي للنسب، خصائص العمل الخلقي «الصوفي» في الغرب الإسلامي في القرنين السادس والسابع الهجريين. انظر: سؤال الأخلاق، ص 208 وبعدها.

(3) المعجب، المراكشي، ص 130.

(4) المعجب، المراكشي، ص 130.

1) مقام الزهد:

يظهر جانب السلوك والتزكية عند ابن برجان، في دعوته إلى جعل الزهد أمراً يحكم نظر المسلم في أحكام الشريعة، ويجمع الهمم في الإقبال على الأعمال ظاهرة وباطنة، وقد ارتبطت صفة الزهد عند أغلب من ترجم لابن برجان الإشيلي، كابن الأبار في التكملة، يقول: «وكان ابن برجان من أهل المعرفة بالتصوف، مع الزهد والاجتهاد في العبادة»⁽¹⁾.

وحقيقة الزهد عنده هي «ترك الفضول ثم الإقبال على الله وكف النفس عن هواها، وترك الراحة طلباً للراحة عنده (...) وبالجملّة فالزهد ترك الدار بما فيها وإقبال النفس على بارئها»⁽²⁾. ويرى ابن برجان أن الزهد يقوم على أركان ثلاثة؛ أولها التخلي عن أسباب التعلق بما سوى الله، ثانيها ترويض النفس على المجاهدة وترك الشهوات، ثم ثالثها قطع الروابط الدنيوية مع الخلق، فيقول مبيناً هذه الأركان: «وذلك - الزهد - على ثلاثة أركان: ترك العلائق، وسياسة البدن بالتضمير للخالق، والانقطاع عن الخلائق»⁽³⁾، ثم إن كل ركن من هذه الأركان الثلاثة يحقق مقصداً خاصاً قد يختلف عن مقصد صاحبه حسب ابن برجان، يقول في هذا المعنى: «فأما ترك العلائق ففيه سقوط الهمم فيما سبيله المعاش، وأما سياسة البدن ففيها سقوط الشهوة، وأما الانقطاع عن الخلق ففيه وجود الأنس بالله عز وجل»⁽⁴⁾.

2) مقام الورع

يعرّف ابن برجان الورع فيقول: «الورع هو الوقوف عند الشبهات، والتنزه عما لا

(1) التكملة، ابن الأبار، ج 3 ص 21.

(2) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشيلي، ج 4 ص 2171.

(3) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشيلي، ج 4 ص 2171.

(4) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشيلي، ج 4 ص 2172.

يعني من المباحات، والتخلص من الشهوات»⁽¹⁾. وهذا التعريف متضمن لثلاث مراتب: الأولى؛ الابتعاد عن كل شبهة، الثانية؛ الترفع عن المباحات الغير الضرورية، ثم الثالثة؛ التخلص من شهوات النفس اللامتناهية. وقد بين ابن برجان هذه المراتب الثلاث بشيء من التفصيل، فإن جاز أن نستخدم على الأولى ورعاً مادياً، فإن المرتبة الثانية ورع ذو بعد معرفي وعقدي، وفي هذه المرتبة يقول: «فإن استطاع أن يحفظ قلبه عند التأويل وأن يرد كل خطرة إل التنزيل وأن يعمل نفسه بسلامة الصدر مع معرفة القدر»⁽²⁾، ثم المرتبة الثالثة وهي ذو بعد قلبي وفيها يقول: «وإن استطاع ألا يحيل قلبه إلا في تفكر في الملكوت وفيما خلق الله من شيء أو في آية من كتاب ربه وفي ذكر الموت»⁽³⁾.

ويبين ابن برجان أن معرفة حدود الله وشعائره، تزيد في قدر الورع، فيقول: «والمعرفة بأيادي الله تعالى تزيد في قدر الورع»⁽⁴⁾، ومستنده في هذا التقرير ما جاء عن النبي عليه السلام أنه قال: «يقول الله جل من قائل: عبدي أد ما افترضت عليم تكن من أعبد الناس، وإنته عما نهيتك عنه تكن من أروع الناس، واقنع بما رزقتك تكن من أغنى الناس»⁽⁵⁾. ويعتبر ابن برجان أن أشد الورع ورع اللسان فيقول: «وأشد الورع اللسان،

(1) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 4 ص 2172.

(2) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 4 ص 2172.

(3) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 4 ص 2172.

(4) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 4 ص 2172.

(5) أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، الخامس من شعب الإيمان، باب فب أن القدر خيره وشره، من الله عز وجل، رقم الحديث 201، (1/ 218). وقد أورده البيهقي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أد ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس، واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أروع الناس، واراض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس». قال الدارقطني: «رفعه وهم، والصحيح أنه من قول ابن مسعود رضي الله عنه».

فإنه لا ورع كالكَفِّ»⁽¹⁾، وقد يكون قصد ابن بَرَّجان ما جاء عن النبي عليه السلام من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»⁽²⁾.

(3) مقام التوبة:

يعرف ابن بَرَّجان التوبة بشكل وجيز وواضح من جهة، وهو يفسر قوله تعالى (قل عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) [الزمر: 50] فيقول: «والتوبة النقلة عما نهى الله عنه إلى ما أمر به»⁽³⁾، ومن جهة ثانية يبين شروطها مقتصرًا فقط على الندم على ما فات والاعتكاف على ما خلص من الأعمال، فيقول: «ثم لا يتم ذلك إلا بالندم على ما فرط منه، ثم العكوف على ما صفي»⁽⁴⁾. والملاحظ هنا أن ابن بَرَّجان لم يخرج عن شروط التوبة المجمع عليها، وإن اكتفى بذكر بعضها⁽⁵⁾، لكن هذا لا يمنعه من الحديث عن شروطها بمشربه الصوفي فيقول في ذلك: «جعل الله العقبة في الدنيا دون الجنة التوبة؛ على شروطها: من ندم على ما مضى وفات، وتوجيه نية، وتصحيح عقد،

(1) تنبيه الأفهام، ابن بَرَّجان الإشبيلي، ج 4 ص 2173.

(2) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله عليه السلام، باب ما جاء في حفظ اللسان، حديث رقم 2406. قال الترمذي حديث حسن.

(3) تنبيه الأفهام، ابن بَرَّجان الإشبيلي، ج 4 ص 2171.

(4) تنبيه الأفهام، ابن بَرَّجان الإشبيلي، ج 4 ص 2171.

(5) أجمع علماء المسلمين على أن شروط التوبة الصحيحة ثلاثة؛ الإفلاع عن الذنب، الندم على ما فات، ثم العزم على عدم العودة إليه. قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط: أحدها: أن يقلع عن المعصية. والثاني: أن يندم على فعلها. والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها. انظر: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، بيروت، 1998م. ج 1 ص 33 - 34.

وإخلاص توجيه، وإعلانٍ بشهادة على نفسه، وإقرار بتقصير، وسؤال غفران، وإصلاح لما قد فات، ثم الاستقامة أصل ذلك»⁽¹⁾. وقد جعل ابن برجان التوبة عقبة لما جاء في قوله تعالى ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ [البلد:12] حيث يقول في هذا المعنى: «عظم قدر التوبة، لحسن أثرها، أنها لتبدل من الغضب الرضى، ومن الشقاوة السعادة، ومن العداوة الولاية (...) فعقبة التوبة والعمل الصالح في الإيمان والإسلام هي العقبة دون الجنة، فإذا جاوزها العبد فهو على مجاوزة عقاب الآخرة أقرب إن شاء الله تعالى، ومن كان على إيمان وإسلام ولم يقتحم عقبة التوبة صعد على الصراط عقبة كؤوداً»⁽²⁾.

ثم إن ابن برجان لم يقسم التوبة إلى أنواع كما فعل بعض علماء الصوفية كالقشيري⁽³⁾ والغزالي⁽⁴⁾، لكن نستشف من خلال حديثه عن الصفات التي يجب على التائب إلزام نفسه بها، أنه يقصد التوبة الخاصة حيث قرنها بوصف الكمال، فيقول: «وكمال ذلك الإقبال على الحق والإدبار عن الخلق، ثم الكد والرجاء والخشية من المولى، والتبرؤ من الحول والقوة، ثم الالتجاء»⁽⁵⁾. ثم لا بد لكمال التوبة من شروط، يعددها ابن برجان في ثلاث؛ أولها التوبة من ترك التوبة، ثانيها مراقبة الخطرات في

(1) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج5 ص 2754.

(2) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج5 ص 2754.

(3) يعرف القشيري التوبة وأنواعها بالقول: «التوبة هي الرجوع من المذمومات من الأفعال إلى أضرارها المحمودات، وجميع المؤمنين مأمورون بها، فتوبة عن الزلة وهي توبة العوام، وتوبة الغفلة وهي توبة الخواص». انظر: الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، ص 178.

(4) قسم أبو حامد الغزالي في نص طويل التوبة إلى أربع طبقات؛ وقرن كل طبقة بصفة نفسية توافقها، فالأولى التوبة النصوح ويوافقها النفس المطمئنة، والثانية التوبة عن المعاصي وترك كبائر الفواحش ونفسها اللوامة، والثالثة التوبة عن الذنوب والاستمرار في الاستقامة وقد تغلبه الشهوات ونفسها المسؤلة، ثم الرابعة وهي أن يتوب العبد ثم يعود وينهمك في الشهوات ونفسها الأمانة بالسوء. انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج4 ص 45 وبعدها.

(5) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج4 ص 2171.

الأسرار، وثالثها أن يشغل كُلهُ بَكَلِّ الكل عن الكل، يقول ابن برجان مبينا هذه الشروط الثلاثة في صحة التوبة وكيفية القيام بها: «ثم لا تصح التوبة إلا بالتوبة من ترك التوبة بإسقاط رويّة التوبة، ثم بعد هذه المنزلة في التوبة مراقبة الخطرات في الأسرار والوقوف على الطاعات بالأذكار، ولزوم باب الرقيب بالهمم والأفكار، ثم أن يشغل كُلهُ بَكَلِّ الكل عن الكل ولا يتم ذلك إلا بصدق الإنابة في البداية والنهاية بالرجوع إلى الله في كل خطرة وطرفة»⁽¹⁾. إذن يمكن أن نخلص إلى أن ابن برجان يرى أن مقام التوبة ليس هو الغاية، بل هو مقام يستلزم من التائب عملا متصلا بملازمة الذكر والطاعة والاستغناء بالكل الأعلى عن الأدنى، والتعلق الكامل بالله تعالى.

المعلم الثالث: نظرية الاعتبار

يرى ابن برجان أن القرآن جمع ثلاثة معاني كلية، التوحيد، الأمر والنهي، ثم الاعتبار، فهو يرى أن الاعتبار أحد المعاني الكلية التي يتطرق لها القرآن بشكل دائم، يقول في هذا المعنى: «وإنما كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لمأنها وصف الله تعالى ومذكور ما فيها ذكر صفاته، وذكر الله لا يعدل به غيره، وهذا جزء من ثلاثة، والثاني ذكر السورة وما جاءت به من أمر ونهي، والثالث الاعتبار»⁽²⁾.

ويبين هذا التقسيم كذلك في معرض تفسيره لأم القرآن الفاتحة، يعتبر ابن برجان أن «أم القرآن جمعت ثلاثة معاني، تأتي مجملة في الفاتحة، ومفصلة في القرآن

(1) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشيلي، ج4 ص 2171.

(2) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشيلي، ج4 ص 2057. (الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، حديث رقم 1397. وليست يس مذكورة في الحديث). يقول المازري في تفسيره للحديث: «قيل معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء: قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد متمحضة للصفات فهي ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء)، وهناك تطابق بين ما قاله ابن برجان وما قاله المازري.

كله»⁽¹⁾، ثم يشرع بعدها في تفسير كلامه هذا، أولاً يصنف ابن برجان ما جاء به القرآن من معاني إلى ثلاث أجزاء؛ فيقول: «وشاهد هذا في القرآن كثير، إنما هو الله جل ذكره وأسماءه وصفاته، ثم الرسول وما جاء به من أمر ونهي، ثم النظر والتدبر والعبرة من شاهد إلى غائب»⁽²⁾، إذن هناك التوحيد، الأمر والنهي (أحكام الشريعة)، ثم الاعتبار في الكون، ثم يعلل ابن برجان جزء التوحيد بإيراد حديث رسول الله عليه السلام: «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء: فجعل قل هو الله أحد جزءاً»⁽³⁾، ليفسر بعد ذلك هذا التجزئ الثلاثي بقوله: «إن ذكر أسماء الله وصفاته والثناء عليه بما هو أهله هو الجزء الذي من أجله جعل قل هو الله أحد جزءاً، ثم ما كان من ذكر الرسالة والنبوة، وما جاءت به من أمر ونهي ووعد ووعيد وبشارة ونذارة، وما نحا نحو هذا فهو جزء ثان، ثم ما جاء به من تذكير ووعد وتفكر ونظر واعتبار ونصبٍ للدلائل فهو من الجزء الذي جعل سورة يس منه»⁽⁴⁾.

وأما طرق الاعتبار ووسائل تحقيقه، فيكون على مرحلتين اثنتين، الأولى يقول فيها ابن برجان: «فاعلم أن الاعتبار لا يكون موجوداً إلا بالمصابرة، ومرابطة النفس وملازمة التذكار ومطاوله التفكير، حتى يعود ذلك للنفس عادة، ومن لا همة له فلا حراك به إلى طلب، ومن لا جد له فلن تغني عنه الهمة شيئاً»⁽⁵⁾، ثم المرحلة الثانية؛ وهي «ثم التطهر بالتوبة النصوح ولزوم التواضع للحق وقبوله من حيث وجد، والتبرؤ من الحول والقوة، وانتظار الفتح من عند الفتاح العليم»⁽⁶⁾.

(1) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 1 ص 101.

(2) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 1 ص 97.

(3) صحيح مسلم، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، حديث رقم 1923.

(4) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي ج 1 ص 97.

(5) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 4 ص 2057.

(6) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 4 ص 2057.

ويقسم ابن برجان الاعتبار إلى؛ اعتبار قريب وبعيد، فيقول: «وإن من الاعتبار ما هو قريب ومنه ما هو بعيد كم تقدم أن في الوجود غيباً وغيبٌ غيبٍ»⁽¹⁾، ويمثل ابن برجان لهذا التقسيم بما يلي: «كما أن المعتمد بالاستدلال بقوله ﴿لقوم يعقلون﴾ [الرعد:4] حيث وقع الاعتبار البعيد؛ إنما هو أن تنظر العين وتسمع الأذن ويتذكر القلب فيعقله، ثم يعبر من ذلك إلى معتبره وموضع شبهه»⁽²⁾، وأما الاعتبار القريب فيمثل له بـ «وأنه تبارك وتعالى أنزل الماء من السماء إلى الأرض فأخرج به من كل الجنات من نخيل وأعناب وزروع ومن كل الثمرات، وكم يؤول الماء المنزل من السماء إلى ما هو جنات بما فيها، كذلك يؤول ما نزل منه وهو السماء إلى ما هي الجنات في الكون الآخر، وهي من الدار الآخرة دار الخلد، وهي الآن فيها بالحكم كذلك حكم الأرض، هذا إلى ما فيه من الاعتبار القريب، من الإعلام بالإعادة بعد البداية والرجوع إلى الله بعد الموت»⁽³⁾.

ونظرية الاعتبار هذه نجد لها امتدادات فكرية عند بعض أهم الباحثين المعاصرين، مثل الفيلسوف طه عبد الرحمن، الذي بيّن في كتابه «سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائث الغربية»، أن طريق الاعتبار الذي هو «عبارة عن جملة من المعاني والقيم التي يستنبطها الإنسان تلقائياً مما يشهده من أفعال ويتلقاه من أقوال»⁽⁴⁾، هو الطريق الأنسب في الممارسة الأخلاقية، لأنه يقوم على ثلاثة أركان؛ الجمع بين العقل والشرع، وبين العقل والغيب، ثم بين العقل والحس⁽⁵⁾.

(1) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 4 ص 1245.

(2) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 4 ص 1244.

(3) تنبيه الأفهام، ابن برجان الإشبيلي، ج 4 ص 1245.

(4) سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائث الغربية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي،

الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2000م، ص 158.

(5) سؤال الأخلاق، طه عبد الرحمن، ص 159 وبعدها.

الخاتمة

في خاتمة هذا المقال، لا يسعني إلا القول أنه يبقى مجرد محاولة لإلقاء الضوء على قامة علمية كبيرة، تعرضت للتهميش والإقصاء، ستليها محاولات أخرى تضيء بالخصوص جوانب فكرية وعلمية في حياة وتراث ابن برجان الإشيلي، كما أنه دعوة للباحثين والدارسين الجادّين في التراث الإسلامي عامة، وبالغرب الإسلامي على وجه الخصوص، إلى الالتفات إلى هذه القامة العلمية دلالة وتعريفاً، وإلى تراثه الصوفي والكلامي والتفسيري كشفاً ومدارسةً.

وكخلاصات أسجل ما يلي:

✓ ابن برجان قطب من أقطاب التصوف في القرن السادس الهجري بالغرب الإسلامي، أكثرهم تأثيراً، وأغزرهم إنتاجاً، استحق أن يُنعتَ عند معاصريه ومن جاء بعده بأن مقامه في الغرب كمقام أبي حامد الغزالي في الشرق، فهو «غزالي الاندلس».

✓ يمثل ابن برجان نموذجاً بارزاً للتداخل بين علم الكلام والتصوف عند علماء الصوفية في الغرب الإسلامي، وكيف تناولوا القضايا الاعتقادية بين فهمهم الصوفي ونزعتهم الكلامية الأشعرية، وهو ما يمكن الاصطلاح عليه الخاصية التكاملية: تكامل علم الكلام والتصوف.

✓ تعمّق ابن برجان الإشيلي في الحديث عن مركزية الطبيعة في الحياة الروحية للمؤمن، وذلك بتدبر آيات الله في الآفاق والخلق، وقد وضع لهذه العلاقة مفهوماً مركزياً في نسقه الفكر وهو «الاعتبار»، واليوم تظهر حاجتنا اليوم شديدة إلى تجديد وتعزيز هذه العلاقة الروحية بالبيئة.

لائحة المصادر والمراجع

1. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، دون طبعة، القاهرة، 2004.
2. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، دون طبعة، الدار البيضاء، 1997.
3. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثالثة، الرباط، 1993.
4. أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق سيد حسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2003.
5. الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين: عصر الطوائف الثاني (510 - 546هـ)، عصمت دندش، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1988م.
6. إيضاح الحكمة بأحكام العبرة، ابن برّجان الإشيلي، حققه وقدم له جيرهارد بورنغ ويوسف كزويت، دار بريل للنشر، ط 1، ليدن، 2016.
7. بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، أحمد بن عميرة الضبي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، 1989.
8. البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن عذاري، حققه وضبط نصّه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، تونس، 2013.
9. التشوف لمعرفة التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، ابن الزيات التادلي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1997.
10. التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله محمد ابن الأبار القضاعي، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، دون طبعة، بيروت، 1995.

11. تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، ابن برجان الإشبيلي، تحقيق وتعليق وتخرير أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2013.
12. جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبھاني، تحقيق ومراجعة إبراهيم عوض، مركز اهل السنة، الطبعة الأولى، الهند، دون تاريخ.
13. جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الاعلام مدينة فاس، أحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، دون طبعة، الرباط، 1973.
14. الحلة السيرة، ابن الأبار الفضاوي، حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1985.
15. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مؤلف مجهول، حققه عبد القادر زمامة وسهيل زكار، دار الرشد الحديثة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1979.
16. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي، تحقيق: إحسان عباس ومحمد بنشرية وبشار عواد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، تونس، 2012.
17. الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، دار الكتاب العربي، دون طبعة، بيروت، 2005.
18. الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد الحميري، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الثانية، بيروت، 1980.
19. سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثاثة الغربية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2000.
20. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، بيروت، 1996.
21. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن قاسم مخلوف، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2003.
22. شرح أسماء الله الحسنى، تأليف أبي الحكم ابن برجان، تحقيق وتعليق وتخرير أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2010.

23. صلة الصلة، أحمد بن براهيم ابن الزبير الغرناطي، تحقيق شريف العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2008 .
24. طبقات الصوفية الكبرى: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، زين الدين عبد الرؤوف المناوي، تحقيق وإعداد محمد الجادر، دار صادر، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ.
25. الطبقات الكبرى: لوايح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق عبد الغني النابلسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، بيروت، 2003.
26. العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، حققه وضبطه محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، دون طبعة، بيروت دون تاريخ.
27. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، تصحيح وتعليق وترتيب محمد شرف الدين ورفعت بيلكه، دار إحياء التراث العربي، طون طبعة، بيروت، 1941.
28. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، دون طبعة، القاهرة، دون تاريخ.
29. المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدي، أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، مصر، 2000.
30. النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 1961.
31. نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، أبو محمد ابن القطان المراكشي، درسه وقدم له وحققه محمود مكي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1990.
32. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، اعتنى به أحمد السيد، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت، 1991.

أغناطيوس كراتشكوفسكي وجهوده في خدمة المخطوط العربي

فاطمة العبد الفتاح الزعبي

باحثة في التراث ومهتمة بالاستشراق

اتحاد كتاب العرب - سوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

طالما كانت المخطوطات العربية تشغل حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين العرب والمستعربين في مشارق الأرض ومغاربها، مع اختلاف الدوافع في ذلك. فبدلوا الجهود الكبيرة لاكتشافها والاطلاع عليها، ومن ثم تحقيقها وإخراجها إلى النور ليتنفع بها الناس.

ولعل من واجبننا نحن - أبناء العربية - أن نلقي الضوء على جهود هؤلاء المستعربين الذين خدموا المخطوط العربي بإخلاص، أحبوه وأمضوا حياتهم في البحث عنه، وحفظه، وفهرسته، والتعريف به، وتحقيقه وطباعته.

ومن هؤلاء المستعربين الذين أخلصوا للعربية ومخطوطاتها وتجشموا عناء الوصول إليها، والكشف عنها مهما كلفهم ذلك من ثمن، المستعرب الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي.

أغناطيوس كراتشكوفسكي

إذا كان بوشكين شاعر روسيا العظيم، فإن أغناطيوس كراتشكوفسكي يعد بحق، شيخ المستعربين الروس، ومن أبرز العلماء الروس الذين اهتموا بالمخطوطات العربية وقدموا في هذا المجال خدمات جليلة. فمن هو كراتشكوفسكي؟

نشأته:

ولد أغناطيوس يوليفيتش كراتشكوفسكي في 4 آذار «مارس» سنة 1883م في فيلنا «فيلينوس» عاصمة ليتوانيا القديمة، ونشأ في بيئة علمية ذات تعليم عالٍ، فقد كان والده يعمل مديراً لمدرسة المعلمين فيها. في الثانية من عمره ارتحلت عائلته إلى طشقند حيث عين أبوه مديراً لمدرسة المعلمين هناك، ثم ناظراً عاماً للمدارس في آسيا الوسطى. ومالبت أن عاد إلى فيلينوس 1988م، وأصبح مديراً للمكتبة العمومية فيها، ورئيساً في لجنة البحث عن الآثار التاريخية القديمة. وبذلك كانت البيئة الشرقية في طشقند أول ما تفتحت عليه عينا كراتشكوفسكي، وكانت اللغة الأوزبكية أول لغة تكلمها، ذلك أن مربيته كانت أوزبكية الأصل. ويبدو أنه تكون لديه هذا الميل الغريزي إلى الشرق منذ هذه الأيام، وإن كان غير مدرك له.

بعد وفاة والده عام 1903م، عاش مع والدته في فيلينوس إلى عام 1893م، حيث كان بيتهم يحتوي على خزانة كتب كبيرة جمعها جده وأبوه وقد ضمت أنواعاً متعددة من صنوف العلم المختلفة، وكانت هذه المكتبة مصدر قراءاته الأولى لكثير من المؤرخين والقصاصين الروس.

دراسته وتعلمه العربية:

التحق بالمدرسة الإعدادية عام 1893 – 1901 م، وفيها كانت أولى محاولاته لتعلم اللغة العربية من كتاب في الصرف والنحو للعالم دي ساسي، يقول

كراتشكوفسكي عن نفسه في هذا الشأن «ولكن لم يتيسر لي ذلك لضخامة الكتاب وعدم المرشد»⁽¹⁾. وفي سنة 1901 التحق بقسم اللغات الشرقية في جامعة لينينغراد مدفوعاً برغبته وميله الشديد إلى تعلم لغات الشرق الإسلامي، فأمضى أربع سنوات في تعلم اللغات العربية والفارسية والتركية والتتارية وبعض اللغات السامية كالعبرانية والحبشية القديمة، ولكن هواه إلى التخصص باللغة العربية سبق كل ميل إلى التخصص باللغات الأخرى. فكان أن درسها على «الأستاذ ميدنيكوف مؤرخ فلسطين المشهور المتوفى سنة 1918م»⁽²⁾. وأما الفضل الكبير الذي يدين به في تعلمه العربية فكان للمستعرب الكبير فيكتور فون روزن (1849 – 1908 م) عضو أكاديمية العلوم الذي طارت شهرته في بلاد الغرب والشرق⁽³⁾.

لم يكن كراتشكوفسكي في سعيه إلى تعلم العربية مقتصرًا في صلاته على الأكاديميين الروس في تلك الفترة من حياته، وإنما عمل على التواصل مع بعض العرب ممن كانوا يقيمون في روسيا مثل فضل الله صرّوف الدمشقي، وأنطون خشاب الطرابلسي وغيرهما، فأخذ عنهم قليلاً من العربية الدارجة. وفي عام 1905 م أنهى دراسته الجامعية ببحث عن «خلافة المهدي العباسي» معتمداً فيه على المصادر العربية مثل تاريخ الطبري، وابن الأثير، والعيني، والمسعودي وغيرهم، وحاز على بحث تخرجه الميدالية الذهبية من جامعة لينينغراد. ثم بدأ دراسة الماجستير في الأدب العربي لمدة سنتين برعاية أستاذه فيكتور روزن، وتقدم لفحص نيل هذه الدرجة عام 1907م، وكانت رسالته عن الشاعر «أبي الفرج الوأواء الدمشقي» وتضمنت هذه الرسالة نقداً

(1) ص 122، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

(2) ص 124، السابق.

(3) ص 94، مع المخطوطات العربية، يصفه كراتشكوفسكي بأنه (منظم الاستشراق الروسي، ومن مدرسته تخرج نجوم علمنا أمثال أولدنبورغ، ومار، وبارتولد، وآخرون كثيرون) وطبعاً كراتشكوفسكي نفسه.

لنصوص الشعرية الواردة في الديوان وهي حوالي 1700 بيتاً شعرياً (مع إشارات وملاحظات وترجمة كاملة إلى اللغة الروسية وبحثاً شاملاً يقع بحوالي 200 صفحة)⁽¹⁾.

في صيف عام 1908م وصل إلى بيروت في بداية رحلة إلى الشرق العربي أرسلته فيها جامعة بطرسبورغ، وامتدت هذه الزيارة عامين قضاها في مدن سورية وفلسطين ومصر ولبنان ومصر. وبعد رجوعه إلى روسية عُيِّنَ سنة 1910م مديراً لمكتبة فرع اللغات الشرقية في كلية الدراسات الشرقية بجامعة لينينغراد، ثم في السنة نفسها عين معلماً ثانياً للغة العربية وآدابها في الكلية نفسها، ثم معلماً أولاً عام 1917م. وعمل اعتباراً من عام 1916 - 1921م مسؤولاً عن قسم المخطوطات العربية بالمتحف الآسيوي، ويقول عن هذه الفترة «بالنسبة لي كانت أعوام 1916 - 1921م فترة غرقت فيها تماماً في مخطوطات المتحف الآسيوي»⁽²⁾.

في عام 1921م انتخب كراتشكوفسكي عضواً عاملاً في أكاديمية العلوم الروسية، مكان أستاذه فيكتور روزن الذي توفي سنة 1908م، ثم أميناً لقسم التاريخ واللغة والآداب في الأكاديمية الذي أنشأ حديثاً، وكان يتعين عليه القيام بالمهام التنظيمية والإدارية الجديدة المرتبطة بضرورة الوكالة عن الأمين الدائم للأكاديمية س. ف. أولدنبورغ وقت رحلاته المتعددة⁽³⁾. وبالتالي كان يتعين عليه أن يترك وظيفته في المتحف الآسيوي. في عام 1923م انتخب عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وهو أول عضو مراسل من روسيا في هذا المجمع، كما كان عضواً في العديد من الأكاديميات والجمعيات العلمية.

(1) ص 79، مقدمة في الأدب العربي والاستشراق الروسي.

(2) ص 94، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 95، مع المخطوطات العربية.

توفي كراتشكوفسكي 24 كانون الثاني (يناير) عام 1951م تاركاً إرثاً كبيراً من الإنتاج العلمي والأدبي.

رحلته إلى الشرق العربي:

يقول من أبيات نظمها⁽¹⁾:

أحببت بعد بلادي أربع العرب فطفئتُ في بعضها للعلم والأدبِ
يحدوني الشوق والآمال واسعةٌ والعزمُ مثل شبة السيف لم يخب
العُربُ من أعرق الأقوام قاطبةً تُراثهم حلية التاريخ والحقبِ

في عام 1908م ارتحل إلى الشرق العربي، وكان الهدف من هذه الرحلة تعلم اللغة العربية الدارجة «المحكية»، والنظر في عادات أبناء الشرق العربي وآدابهم بشكل مباشر ومن غير وسيط، والتعرف على علماء اللغة العربية، وتتبع مخطوطات أشعار الوأواء الدمشقي في المكتبات العربية، والذي كانت أشعاره موضوع بحثه لنيل درجة الماجستير من جامعة بطرسبورغ.

ويبدو أنه حقق الغاية المرجوة من هذه الرحلات، فقد زار كلاً من سوريا ولبنان وفلسطين ومصر، وزار مكتباتها العامة والخاصة، وتواصل مع كبار العلماء العرب. كما عايش عن قرب عامة الناس لتعلم اللغة العربية الدارجة. وهما هو يتحدث عن هذه الرحلات فيقول «وقد قضيت سنتين بعيداً عن الروسية، زرت خلالها مدن سورية وفلسطين ومصر، وتوغلت في ربي لبنان وغاباته، ومروج الجليل وصحاري مصر، أزور حيناً المكتبات المشهورة، وحيناً أجلس أمام العلماء المكرمين، وتارة أختلف إلى المدارس الكبيرة كالكلية اليسوعية في بيروت، والجامع الأزهر والجامعة المصرية في

(1) ص 456، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 58، الجزء الثالث.

مصر، وزرت في سياحتي مكتبة الملك الظاهر في دمشق، والمكتبة الخالدية في القدس، ومكتبة الموارد في حلب، والمكتبة الخديوية في القاهرة وغيرها⁽¹⁾.

أما عن رجال العلم والأدب، فقد تعرف إلى كثير من العلماء، وعقد الصلات معهم وتبادلوا رسائل التعاون العلمي، فعرف في القاهرة جورجي زيدان، وأحمد زكي باشا عضو المجمع العلمي العربي، وأمين الريحاني، وحبيب الزيات الهاوي لجمع المخطوطات العربية، والتقى فيها بالأديب الفلسطيني سليم قبعين، وكانت له مراسلات مع أحمد تيمور باشا وابنه محمود أحمد تيمور. وفي فلسطين عرف الأديب خليل السكاكيني والشاعر إسعاف النشاشيبي، وفيها زار عام 1909م، مع الكاتب الروسي ثيودوروف منزل بندلي جوزي، فيقول ثيودوروف «اجتمعت ببعض أدباء القدس في منزل الخواجا بندلي الجوزي أستاذ الآداب العربية في كلية قازان وكان معي الخواجا كراتشكوفسكي المستشرق الروسي، وكان قد جاء الشرق في مهمة علمية فأقام مع مصر وسوريا وفلسطين لهذه الغاية سنة ونصف، فأتقن اللغة العربية وتخلق بأخلاق العرب وعاداتهم، أما الأدباء الذين أشرت إليهم فهم:

الأستاذ خليل السكاكيني، والشاعر الكاتب إسعاف النشاشيبي، والأرستقراطي من سلالة الفاتحين جميل الخالدي، وكان حديثنا بعضه بالفرنسية وبعضه بالإنجليزية وأكثره بالعربية»⁽²⁾.

في بيروت حضر دروساً للأب العلامة لويس شيخو في جامعة القديس يوسف، وعمل معه بالمخطوطات العربية. كما التقى بالعالم أنطون صالحاني وساعده في مراجعة طبقات ديوان الأخطل. كما التقى فيها بالمؤرخ البلجيكي لامنس، والإيطالي

(1) ص 124، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد السابع، الجزء الثالث.

(2) ص 35، مقدمة في الأدب العربي والاستشراق الروسي.

نالينو، والفرنسي رونزفال، وغوتهيل، ومارك ليدزبارسكي، وفي دمشق زار إدارة مجلة «المقتبس» والتقى العلامة محمد كرد علي، والبطريك غرغوريوس الحداد، ومقرص الدمشقي الذي كان يعمل سابقاً أستاذاً في جامعة موسكو، وغيرهم.

يقول كراتشكوفسكي عن زيارته هذه إلى الشرق العربي «استفدت في هاتين السنتين أكثر مما استفدت طول حياتي. ولا أزال أرجو أن يرزقني الله رؤية تلك البلاد المحبوبة ومسامرة أعيان علمائها مرة ثانية، تتم الله أمنيته بالخير فهو سميع مجيب»⁽¹⁾.

إنتاجه العلمي:

يقول كراتشكوفسكي عن إنتاجه العلمي «أما مؤلفاتي العلمية التي بدأت بكتابتها وطبعها من سنة 1904 فجلها إن لم أقل كلها في آداب العرب من بحث وترجمة وشرح وانتقاد، وكتاب ومقالة ومحاضرة»⁽²⁾.

وتدور أبحاث كراتشكوفسكي واهتماماته باللغة العربية وآدابها في ثلاثة اتجاهات: الأول تاريخ الشعر العربي ونقده منذ القديم إلى العصر الحديث، والثاني في آداب اللغة العربية بين نصارى العرب، والثالث تاريخ آداب اللغة العربية منذ نهضتها الأخيرة في القرن التاسع عشر. وعن هذا الاتجاه الأخير، يقول: «وهذا الموضوع الأخير مما أفتخر به فإني أول من كتب بالروسية فيه، وقلّ من كتب عنها من المستشرقين في أوروبا»⁽³⁾.

وتأتي أهمية كراتشكوفسكي بالإضافة إلى جهوده الكبيرة في خدمة اللغة العربية وآدابها ومخطوطاتها بحثاً، وتحقيقاً، وتأليفاً، من أنه كان شاهداً على عصر

(1) ص 125، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، رسالته بخط يده إلى المجمع العلمي العربي بدمشق.

(2) ص 126، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، رسالته بخط يده إلى المجمع العلمي بدمشق.

(3) ص 122، السابق.

نهوض مكتبات المخطوطات في روسيا وبعض البلدان العربية قبل الحرب العالمية الأولى.

ترك كراتشكوفسكي آثاراً تربو على «نيف وخمسين وأربعمئة كتاب ورسالة ومقالة كما يذكر شرباتوف في كتابه «الاستعراب في الاتحاد السوفياتي» من تلك الدراسات مائتان وخمسون على الأقل مخصصة للتاريخ والأدب العربيين»⁽¹⁾، وستمئة دراسة علمية كما ذكرت زوجته فيرا كراتشكوفسكايا في مقدمة كتابه الذي أعادت نشره «مع المخطوطات العربية»⁽²⁾.

كشف وتحقيق:

- كان له الفضل في اكتشاف مخطوط (رسالة الملائكة) لأبي العلاء المعري، وقام بتحقيقها ونشرها بعد عمل مضمّن استمر عشرين عاماً.

- كما قام بتحقيق ونشر كتاب (البديع) لابن المعتز، وأشار بروكلمان إلى مخطوطة بطرسبورغ وأحال إلى كراتشكوفسكي⁽³⁾.

- قام بنشر أقدم رسالة عربية في بلاد الصغد اكتشفت في وسط آسيا.

- نشر الأراجيز الثلاثة لوصف الطرق البحرية للملاح العربي أحمد بن ماجد (821هـ / 1418م - 906هـ / 1501م)⁽⁴⁾.

(1) ص 451، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

(2) ص 8، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 25، الجزء السادس، تاريخ لأدب العربي لبروكلمان.

(4) ص 285، المجلد السابع، الجزء الرابع، مجلة (لغة العرب). أحمد بن ماجد ملاح عربي من جلفار (رأس الخيمة) الآن، له أكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة وأرجوزة أسس فيها قواعد علم جديد هو «علم البحار». بينما يرى المستشرق الفرنسي برنار كرا دي فو أن (ابن ماجد النجدي الذي كان ربنا سفينة فاسكو دي غاما الكاشف البرتغالي العظيم وهو الذي قادهم إلى جهات الهند ودلهم على سواء الطريق ومأمنه).

- له كتاب «تاريخ الأدب الجغرافي» وترجم إلى العربية، وقامت بنشره الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية عام 1963م.

- وفي حصار الحرب العالمية الثانية لمدينة لينينغراد قام كراتشكوفسكي بجهود عظيم للحفاظ على المخطوطات التي كانت في مكتبة جامعة سانت بطرسبورغ ومن ضمنها المخطوطات العربية، وقد مُنِحَ على هذا العمل الجليل وسام لينين وهو أعلى وسام في الاتحاد السوفيتي، ومنح هذا الوسام مرة أخرى عام 1945 م لجهوده العلمية المتميزة.

- أنجز عام 1914م فهرساً لمجموعة المخطوطات العربية التي كانت في الخزانة القيصرية والتي أحضرها معه البطريك غريغوريوس الحداد من سوريا إلى روسيا.

- كما قام بعمل موازنات لمخطوطات مكاريوس الحلبي مع المخطوطات الموجودة في مكتبة جامعة ليبزغ، ومكتبة جمعية الاستشراق الألمانية في مدينة هالة، وكذلك في مكتبة جامعة ليدن بهولندا.

- كتب مقالاً عام 1924م بعنوان «مجموعة المخطوطات العربية بقازان» التي ناهز عددها ستمائة مخطوط.

- كما كتب مقالاً عن المخطوطات العربية التي وردت من الجبهة القفقاسية أثناء الحرب العالمية الأولى.

- بين لنا كراتشكوفسكي أن فهارس المخطوطات العربية التي أعدها المستعرب دورن (1805 - 1881م)⁽¹⁾ أمين مكتبة المخطوطات في جامعة بطرسبورغ كانت أسبق في الظهور من فهارس بروكلمان، وأن حاجي خليفة لم يكن قد

(1) يوهانس ألبرت برنار دورن مستعرب روسي من أصل ألماني، كان أميناً لمكتبة جامعة بطرسبورغ، وهو من وضع فهارسها الأولى.

أكمل فهارسه عندما صدر «فهرس المخطوطات الشرقية في المكتبة القيصرية العامة في سانت بطرسبورغ» عام 1865م.

- كما ذكر أن المستعرب دورن عمل «فهرس الكتب العربية الفارسية والتركية المطبوعة في الأستانة وفي مصر وفي العجم الموجودة في دار الآثار الآسيوية» وصدر عام 1825م.

- ترجم كراتشكوفسكي معاني القرآن إلى اللغة الروسية، وقد صدرت هذه الترجمة بعد وفاته عام 1963 م. وكانت أول ترجمة للقرآن الكريم من العربية مباشرة إلى الروسية عام 1878 م، وقام بها المستعرب سابلوكوف (1854 - 1880م) وكان سابلوكوف يتقن اللغة العربية إتقاناً جيداً، وقد تكررت طباعة هذه الترجمة في أعوام 1879 - 1898 م، وتمت طباعة القرآن الكريم باللغة العربية أول مرة عام 1787م في عهد القيصرة إيكاترينا الثانية في القرن الثامن عشر عام 1787م.

- كما ترجم كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ إلى اللغة الروسية عام 1922م، وألحق بهذه الترجمة مقدمة وملاحظات وثبت مراجع⁽¹⁾، والكتاب يتحدث عن ذكريات الأمير أسامة بن منقذ (1095 - 1118 م) وهو معاصر لأول غزوة صليبية إلى بلاد الشام، وكان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي نشرتها دار (الآداب العالمية) التي أسسها مكسيم غوركي لنشر الكتب العربية المترجمة إلى اللغة الروسية.

- وتحت إشرافه صدرت الطبعة الأولى باللغة الروسية لـ «ألف ليلة وليلة» مترجمة عن اللغة العربية.

- كما ترجم من العربية إلى الروسية كتاب «كليلة ودمنة».

- وترجم إلى الروسية أيضاً قصة «الأيام» لطف حسين.

(1) ص 24، الجزء السادس، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان.

-ولكراتشكوفسكي دراسات وأبحاث في الأدب القديم، ومن أهم ما كتب عنهم «الشنفرى، وعمرو بن قميئة، وسلامة بن جندل، وأبو دهب بن منبه بن زمعة الجمحي، والنعمان بن بشير، وبكر بن عبد العزيز، وذو الرمة والأخطل، وأبو العتاهية، وأبو نواس، وابن المعتز، والمتنبي، وعلي بن الجهم...»⁽¹⁾، وغير ذلك مما لا يتسع المقام لحصره.

كراتشكوفسكي والمخطوطات العربية

أولاً - نظرتة إلى المخطوطات:

وقف كراتشكوفسكي معظم آثاره العلمية، إن لم نقل كلها، على الأدب العربي وخدمته، وقد اهتم بالدرجة الأولى بالمخطوطات والكشف عنها وتحقيقها. ولم يكن عمله بالمخطوطات العربية عملاً علمياً فقط، وإنما شغفاً تجلى في كل آثاره، وحدابه إلى تأليف كتاب مستقل عن رحلته مع المخطوطات العربية، وهذا الكتاب هو (مع المخطوطات العربية) الذي يعتبر سيرة ذاتية له، إلا أننا نستطيع أيضاً أن نعتبره الأثر الفني الذي قدم فيه بتنوع وغزارة مواقفه المختلفة تجاه العديد من القضايا المتعلقة بالشرق العربي الإسلامي. وأنه من خلال هذا الكتاب قدم موقفاً شاملاً من الشخصية العربية الإسلامية ومن الحضارة والتراث العربي الإسلامي.

إن كراتشكوفسكي من خلال المخطوطات لا يستعيد الماضي فقط، ولا يتعامل معها كحقبه ميتة منقطعة عن الحاضر، وإنما يجعل الحياة تنبعث من ثنايا المخطوطات، كما تنبعث من شخصياتها، ضمن ظروفها التاريخية. يقول: (المخطوطات تهمس وأنا أدقق النظر فيها باهتمام، أتعرف عليها فتعلو شفتي ابتسامة

(1) ص 451، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

ويكتسي وجهي سروراً، إن هذه الصفحات هي صفحات حياتي أنا، وهي صفحات حياة الآخرين، إنها صور واضحة للماضي، ولن يخفيها بعد الآن ضباب العصور⁽¹⁾. ويقول (فما إن تذكر هذه المخطوطات أو تهتم بالحديث عنها، حتى تهب على الفور سلسلة من الأشخاص من القرون البعيدة الماضية، ومن الأعوام القريبة من حياتك الخاصة). في تعامل كراتشكوفسكي مع المخطوطات، ينبثق الإحساس العميق بالمسؤولية العلمية التاريخية التي تحتم على العالم الموضوعية في التعامل مع التراث الإنساني بغض النظر عن جنس ودين مبدعي هذا التراث، يقول: (وهنا تسمع في هدوء حفيف أوراق الكتب والمخطوطات على المناضد وهنا أيضاً رويداً رويداً، وخطوة خطوة، وسطراً سطرًا يخلق العمل العلمي، الذي تخرج نتائجه من بين هذه الجدران العالية إلى تلك الشوارع المضطربة خارج جدران هذه المكتبة لتشرها صفحات الجرائد والمجلات في كل البقاع، ولتستقر هذه النتائج أيضاً في بطون الكتب على رفوف هذه المكتبة العامة)⁽²⁾.

وقد بلغ من شغف كراتشكوفسكي واهتمامه بالمخطوطات العربية والحفاظ عليها، أنه قام بنفسه بنقل إحدى مجموعات المخطوطات العربية في يوم شديد البرودة من القصر الشتوي للقيصر «الأرميتاج» إلى مبنى المتحف الآسيوي⁽³⁾ في بطرسبورغ، وهاهو يصف عملية النقل هذه فيقول «ففي يوم من أيام الشتاء الباردة في 1919م، وبصحبة مساعدي التلميذ، وعلى زحافة، وفي شوارع بيتروغراد (بطرسبورغ) نقلتُ المخطوطات الأربعين كلها لافاً إياها في معاطف من جلود الخراف إلى بناء قديم

(1) ص 27، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 18، مع المخطوطات العربية.

(3) لم يكن المتحف الآسيوي متحفاً بالمعنى الكامل للمتحف، فلم يكن يخزن إلا الكتب والمخطوطات الشرقية.

للمتحف الآسيوي بالقرب من بناء الأكاديمية ذي الأعمدة، كنت في ذلك الوقت أميناً على شعبة الشرق الأدنى⁽¹⁾.

كان كراتشكوفسكي، في تعامله مع المخطوطات العربية، يدرك أهمية دوره في تكوين الوعي العام الروسي عن الشعوب الأخرى، وعن الشرق العربي الإسلامي خصوصاً، فنتائج أبحاث المستعربين وعملهم في المخطوطات لن تأخذ طابعها الأكاديمي فقط، وإنما سيكون لها دوراً تاريخياً فعالاً في تكوين الفكرة عن الآخر والتعامل معه، لأن نتائج أبحاث المستعربين سوف تخرج إلى الشارع الروسي وتكون في متناول جميع القراء من خلال الكتب والصحف والمجلات.

وهنا يبرز الدور الإنساني للعمل في المخطوطات خصوصاً، والبحث الاستعرابي عموماً في تعامله الموضوعي في تقديم الآخر لأبناء بلده والإنسانية. وبالتالي، فإن العمل في هذه المخطوطات سيمارس دوراً مهماً في التعامل الإنساني بين الشعوب، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن نتائج العمل مع المخطوطات العربية ليست آنية التأثير، وإنما سوف تورث للأجيال وسوف تكون جزءاً من الأدب الفكري الإنساني.

إن المستعرب هنا لا يستطيع تجنب مسؤولية علمية ملقاة على عاتقه في الكشف عن التراث الحضاري الإنساني، أيّاً كان هذا التراث شرقياً، أو غربياً، إسلامياً أو مسيحياً.

لقد أعطى كراتشكوفسكي لعمله بالمخطوطات العربية بعداً معرفياً إنسانياً، وهو يساوي بين العمل في المخطوطات في المكتبات، وبين العمل في المختبرات العلمية، فكلاهما إبداع إنساني يصب في منفعة الإنسانية جمعاء، فيقول «إن عملية الإبداع العلمي عزيزة وحبيبة إلى نفس كل عالم سواء في ذلك من يقف في المختبر، أو من يدقق النظر

(1) ص 59، مع المخطوطات العربية.

في المخطوطات الملقاة على تلك المنضدة... فهنا في المكتبة صمت وهدوء كما في أي مختبر جيد»⁽¹⁾. وعندما كانت المخطوطات تواجهه أحياناً بعنادها، ويشعر بالعجز إزاءها في بعض المرات، فإنه يستنطقها، فتقوم بتحميله المسؤولية التاريخية في استمرار العمل عليها ومعها، متجاوزاً الصعوبات، فيقول على لسان مخطوطاته «ومن ذا الذي سيتحدث بعدك عن هذا؟ أترى أعطيناك الحق في أن تطوي هذا بانطوائك، إنها أوامر العلم الخالد على مدى القرون، أوامر جدية ولسوف تنحني لها إرادتك في آخر الأمر»⁽²⁾.

لقد عقد كراتشكوفسكي صداقات أبدية مع شخصيات مخطوطاته، من العلماء والأدباء العرب الذين أبدعوا تلك الآثار الفكرية الحضارية «أولئك الأصدقاء الذين لا يستطيع أحد أن ينتزعهم منك، حتى الموت نفسه لا يملك سلطاناً عليهم، إن فصولاً بأكملها من التاريخ كانت مجهولة ثم انفتحت لك، وإن كثيراً من الشخصيات قد خرجت من صفحاتها وكأنها حية وتجسدت أمامك فرأيتها رؤية العين»⁽³⁾.

لقد انتقل اهتمام كراتشكوفسكي بالمخطوطات العربية، إلى أجيال من العلماء والباحثين الذين يعتبرون أنفسهم ورثته في الاهتمام بالأدب العربي ومخطوطاته، وكان أحد أهدافهم إعادة هذه المخطوطات إلى الدول العربية بتحقيقها وإصدارها كتباً مطبوعة، وكذلك إتاحة الفرصة للباحثين العرب للاطلاع على تراثهم المخطوط من خلال معاينته، وتم التعامل مع طالبي دراسة هذه المخطوطات من العرب بكل سهولة ويسر، وأتيحت لهم لتصويرها ودراستها ومن ثم تحقيقها.

(1) ص 18، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 213، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 27، مع المخطوطات العربية.

ويرى المستعرب الكبير أنس خاليدوف⁽¹⁾ «أن الدور الأكبر في الاستعراب الروسي كان للأكاديمي كراتشكوفسكي الذي أرسى أسسه في الجامعات»⁽²⁾.

ويقول فلاديمير بالتوسين المستعرب والباحث في قسم اللغة العربية بمعهد الاستشراق في بطرسبورغ «لكن نحن كمستعربين، غالب المستعربين في مدينتنا نعتقد أننا نتبع طريقة كراتشكوفسكي، أي الاستشراق الكلاسيكي»⁽³⁾.

أما المستعربة أولغا باريسونفا فرالوفا والتي كانت رئيسة قسم اللغة العربية بكلية الدراسات الشرقية بجامعة بطرسبورغ فتعتبر نفسها من تلامذة كراتشكوفسكي، وهي التي وضعت الفهرس الجديد للمخطوطات العربية بمكتبة الجامعة بالتعاون مع مركز الماجد للثقافة والتراث بدبي عام 1995م⁽⁴⁾ وهذا الفهرس مبني على فهرس المخطوطات العربية بالجامعة الذي وضعه فيكتور روزن.

ثانياً - وصف بعض مكبات المخطوطات:

أ- المكتبات العربية

في رحلته إلى الشرق العربي عام 1908 م، كان كراتشكوفسكي زائراً دؤوباً لمكتباتها الكبيرة، شغوفاً بخزائن مخطوطاتها، متواصلاً مع رجالها والقائمين عليها،

(1) أنس خاليدوف (1929 - 2001 م) رئيس قسم اللغة العربية بمعهد الاستشراق في بطرسبورغ وعضو مجمع اللغة العربية بالهند. ومن أهم إنجازاته عمل فهرس المخطوطات العربية بمعهد الاستشراق والتي بلغ عددها أكثر من 12000 مخطوط.

(2) لقائي مع المستعرب أنس خاليدوف بقسم اللغة العربية بمعهد الاستشراق صيف عام 1998م، مدينة سانت بطرسبورغ، روسيا.

(3) لقائي مع المستعرب فلاديمير بالتوسين في قسم اللغة العربية بمعهد الاستشراق صيف عام 1998م، مدينة سانت بطرسبورغ، روسيا.

(4) كنت جزءاً من هذا التعاون وحاضرة فيه صيف عام 1995م في جامعة بطرسبورغ ومعهد الاستشراق بمدينة بطرسبورغ بالتنسيق مع أستاذتي أولغا باريسونفا فرالوفا رئيسة قسم اللغة العربية بكلية الدراسات الشرقية بجامعة بطرسبورغ آنذاك.

واصفاً لها من حيث نظام عملها، وترتيب مخطوطاتها، وطريقة فهرستها، وكيفية الاستعارة منها، مطلعاً على مخطوطاتها، وناسخاً لما تيسر له منها وأسعفه الجهد في عمله.

فقد زار في مصر مكتبة الأزهر، والمكتبة الخديوية، ومكتبة الإسكندرية.

وفي سوريا زار المكتبة الظاهرية بدمشق، كما زار المكتبة المتروبولية المارونية بحلب، وفي لبنان زار المكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف في بيروت، وفي فلسطين زار المكتبة الخالدية في القدس (وكل مكتبة سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، غنية أم متواضعة، كان لها طابعها الخاص، إلا أنها جميعاً كانت تقابل بترحيب زوارها الجدد وتكشف لهم كنوزها بسعادة وطيب خاطر)⁽¹⁾.

ويكتسب حديث كراتشكوفسكي ووصفه لهذه المكتبات وخزائن المخطوطات أهمية في أنه كان شاهداً على كل ذلك قبل قيام الحرب العالمية الأولى، وفي وقت لم تكن النهضة العلمية والتقنية قد دخلت إلى البلاد العربية.

1- المكتبة الشرقية:

كانت المكتبة الشرقية أول مكتبة زارها كراتشكوفسكي في الشرق العربي، وهي مكتبة جامعة القديس يوسف في بيروت، التي أنشأها الأب لويس شيخو (1859 - 1927م)، وكان كراتشكوفسكي على صلة مباشرة معه، وهو من فتح له أبواب المكتبة وأدخله إليها. تقع هذه المكتبة الهادئة المعتمدة في الطابق الثاني من مبنى جامعة القديس يوسف، ويبدو أن الأب لويس شيخو هو من كان يقوم بشراء مخطوطات هذه المكتبة، وهو من قام بترتيبها ووضعها في أماكنها من رفوف المكتبة. يقول كراتشكوفسكي عن

(1) ص 38، مع المخطوطات العربية.

لويس شيخو والمخطوطات «وكان يعرف كل كتاب فيها، وهو الذي رتب هذه الكتب المخطوطة في أماكنها على رفوفها»⁽¹⁾.

يصف لنا كراتشكوفسكي طريقة شيخو في الحفاظ على هذه المخطوطات من التلف ومن الحشرات والديدان، وهي طريقة لم نسمع بها من قبل، إذ كان يضع بعناية «جلد حية جاف بين أوراق كل مخطوطة محافظة عليها من الديدان والحشرات التي تتلف الكتب»⁽²⁾.

ويبدو أن شيخو، ضناً منه بهذه المخطوطات، لم يقيم بعمل فهارس لها، وإنما حفظها في ذاكرته. إضافة إلى كتابة أسماء بعضها على أوراق صغيرة مرمزة لا يفهمها أحد سواه. ولكن هذه المخطوطات بدأت تظهر إلى النور بعد الحرب العالمية الأولى، بعد وفاة شيخو بزمان، وقد فُقدَ جزءٌ من هذه المخطوطات في هذه الحرب، يقول كراتشكوفسكي «وكان يحزنني أن أقرأ بعد وصف بعض هذه المخطوطات التي أعرفها جيداً عبارة مختصرة *dispara durant la guerre* (فقدت زمن الحرب) إن البربرية الحديثة لم ترحم هذه المجموعة أيضاً، التي كانت في سوريا⁽³⁾ أحسن ما وجد منها من حيث ترتيبها»⁽⁴⁾. أما عن نظام الاستعارة بهذه المكتبة والعادات المتبعة فيها فهي أنظمة وعادات بطيركية، فقد كان هناك سجل للاستعارة يسجل فيه الباحث اسم المخطوط الذي استعاره، وكان هذا السجل مفتوحاً ومتاحاً وملقى على إحدى المناضد.

(1) ص 33، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 33، مع المخطوطات العربية.

(3) كانت بلاد الشام بما فيها لبنان حالياً وفلسطين والأردن وسوريا في ذلك الوقت كلها تسمى «سوريا» حيث لم تكن اتفاقية سايكس بيكو موجودة بعد، وهي الاتفاقية سيئة الصيت التي قسمت بلاد الشام «سوريا» إلى عدة دول.

(4) ص 34، مع المخطوطات العربية.

قد أمضى كراتشكوفسكي شتاءين في هذه المكتبة ينهل من معين كنوزها وذخائرها. وفيها عثر على ضالته من المصادر المتعددة التي استفاد منها في بحثه عن الشاعر أبي الفرج الوأواء الدمشقي، الذي كان موضوع رسالته لنيل درجة الماجستير. ولكنه لم يجد فيها مخطوطة أشعار الوأواء، ومن أجل تتبعها شد الرحال إلى القاهرة حيث المكتبة الخديوية في القاهرة.

2- المكتبة الخديوية بمصر:

وهي المكتبة الحكومية الرسمية آنذاك، وتقع في الطابق الثاني من بناء كبير، يشغل الطابق الأول فيه المتحف العربي، وكانت تحتوي على قاعة كبيرة للقراءة تقوم فيها مناوذة طويلة، ويرتادها زوار كثيرون، يتوزعون بين طلبة العلم والنسّاح المحترفين الذين كانوا يعملون على نسخ المخطوطات، وكلهم من العرب.

ويبدو أنه من التقاليد القديمة للمكتبة أن يكون مديرها ألمانياً، وفي فترة زيارة كراتشكوفسكي لها كان مديرها المستشرق الألماني برنارد موريتس (1859 - 1939م) يقول كراتشكوفسكي «وظلّ هذا التقليد قائماً منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الأولى»⁽¹⁾.

ويشيد كراتشكوفسكي بحسن نظامها، وأن فهرسها كانت مطبوعة بطريقة بسيطة ومزودة بإرشادات الاستعارة المكتوبة في هذه الفهارس. ونتيجة لطباعة هذه الفهارس، فإنها كانت متاحة للمكتبات الأوروبية، مع أن المخطوطات جميعها لم تكن تمت فهرستها بعد. وأما نظام الاستعارة فيها فكان صعباً، ويقتصر على استعارة مخطوط واحد في المرة الواحدة لكل شخص، وغير مسموح بفتح أي مخطوط لم يكن مفهرساً،

(1) ص 34، مع المخطوطات العربية.

كما لم يكن مسموحاً بتناول ما كان على الرفوف أو في الأماكن التي خزن فيها المخطوطات مباشرة.

وعن مدى صرامة النظام وصعوبته في هذه المكتبة، يقول «حتى مجرد النظر إلى المخطوطات التي لم تسجل في الفهرس كان أمراً ممنوعاً»⁽¹⁾. وأما عدد الموظفين في هذه المكتبة فقد كان كبيراً، يقول كراتشكوفسكي «وكان مستخدمو المكتبة كثيرون ويقومون بأعمالهم بصورة دقيقة»⁽²⁾.

وفي هذه المكتبة عثر كراتشكوفسكي على مخطوط لأشعار أبي الفرج الوأواء الدمشقي، فطلبه «وأعطيت لي منضدة شخصية دائمة ينبغي وضع المخطوط عليها مفتوحاً مع تغطية صفحاته بزجاج ثقيل. وقد غرقت لرأسي في مقارنة هذه المخطوطات بالنسخ التي أحضرتها معي من بطرسبورغ»⁽³⁾.

3- مكتبة الأزهر:

يقول كراتشكوفسكي «والأزهر هذا هو أكبر مدرسة إسلامية أسست في القرن العاشر للميلاد... وشكل مكتبة الأزهر من الناحية المعمارية الطابع لا يتناسب مع ما تحويه من دوايب الكتب الأوروبية العادية. وفي داخلها تجد الأرائك الشرقية إلى جانب الحيطان، وتقوم هنا وهناك كراس خشبية أوروبية عادية»⁽⁴⁾. وأما عدد المخطوطات في المكتبة فإنه لا يقل عما في المكتبة الخديوية. كما كانت في نظام خزنها للمخطوطات، وفهارسها، ونظام تسجيل المخطوطات كنظام المكتبة الخديوية تماماً. إلا أن فهارس مكتبة الأزهر كانت موجزة، ولم تكن مطبوعة، وإنما مكتوبة بخط اليد

(1) ص 36، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 36، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 35، مع المخطوطات العربية.

(4) ص 37، مع المخطوطات العربية.

وبنسخة وحيدة، وهذا ما جعلها معروفة فقط داخل حدود مكتبة الأزهر، أما أبعد من هذه الحدود فكانت مجهولة وغير معروفة، فلم تكن متاحة للمكتبات الأجنبية شأنها شأن فهارس المكتبة الخديوية. وعن مخطوطاتها يقول كراتشكوفسكي «ويمكنك هناك أن تجد في كل سطر الدرر والجواهر التي لا يعرفها الناس والتي لم يرها أحد مطلقاً»⁽¹⁾.

وهذه المخطوطات كانت مخزونة «في مكان قديم تحت قبة، حيث يوجد مكتب يذهب إليه الشيوخ الأساتذة في فترات الاستراحة من العمل»⁽²⁾. ويبدو أن صورة الحياة في مكتبة الأزهر كانت تختلف تماماً عن المكتبة الخديوية، لجهة سهولة التعامل مع روادها والراغبين بالاستفادة من مخطوطاتها، فقد كان نظام الاستعارة أيسر وأكثر سهولة، وكان الشيخ أحمد بن عمر المحمصاني أحد خزنة المكتبة والمسؤول عن مخطوطاتها.

وفي أثناء غياب القائمين على خزن المخطوطات، كانت توضع مفاتيح الأبواب والدواليب في المكتب المشار إليه سابقاً. وهذا ما جعل هذه المخطوطات والانتفاع بها متاحاً لطلاب العلم والراغبين بالاطلاع عليها.

وعن تجربته في استعارة المخطوطات من هذه المكتبة، يقول كراتشكوفسكي «وكانت الدواليب تفتح لي دائماً وتبيح لي أن أمعن النظر فيها، وكنت في أثنائها مشغولاً بصورة رئيسية بالنظرة العامة في المخطوطات... وفي المساء ذهبت إلى الشيخ وأخذت منه بلا صعوبات كثيرة بعض المخطوطات إلى منزلي»⁽³⁾.

(1) ص 37، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 37، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 37، مع المخطوطات العربية، ويقصد «الشيخ المحمصاني».

4- مكتبة الإسكندرية:

تقع هذه المكتبة حسب وصف كراتشكوفسكي في بناء جديد ذي طابع أوروبي هو مقر المجلس البلدي لمدينة الاسكندرية، وتشغل الشعبة الشرقية صالة كبيرة من هذا المبنى، في وسطها منضدة طويلة، وتصطف عند جدرانها خزن الكتب، وكان يدير الشعبة الشرقية شيخ شاب من خريجي الأزهر، يتقن اللغة الفرنسية.

أما عن ترتيبها، فيصفه كراتشكوفسكي قائلاً «كانت المخطوطات في نظام وترتيب، بل كان لها فهرس موجز على نمط فهرس مكتبة الأزهر»⁽¹⁾، ويبدو أن هذا الفهرس كان خلط بين المخطوطات والكتب المطبوعة. وفي مكتبة الاسكندرية وجد مخطوطتين وصفهما بأنهما درتين فريدتين «أما الأول فكان يحتوي على أشعار أحد الشعراء الأصاغر المعاصرين لأبي الفداء، مؤرخ سوريا الشهير... وقمت على مهل بنقل بعض الاقتباسات من هذا المخطوط، وبعد عدة أعوام قمت بطبع هذه الاقتباسات. إلا أن المخطوط ذاته ظل حتى هذا الوقت فريداً»⁽²⁾. وتحتوي مكتبة الاسكندرية على جزء من مكتبة الخديوي إبراهيم باشا بن محمد علي مؤسس العائلة الخديوية.

ب- الخزائن الروسية:

1- المكتبة القيصريّة في بطرسبورغ:

تقع هذه المكتبة في القصر الشتوي للقيصر، وهو اليوم متحف «الأرميتاج»، وفي هذه المكتبة تم خزن المخطوطات القيصريّة. وكان من العسير على كراتشكوفسكي أن يصل إلى هذه المكتبة لولا جهود أكاديمية العلوم ومساندتهم له، ليتمكن من دخولها

(1) ص 47، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 47، مع المخطوطات العربية.

آخر الأمر، رغم العقبات التي وضعت أمامه من قبل وزارة البلاط والشرطة وحرس القصر، وكانت زيارته لها متاحة فقط عندما يكون القيصر وعائلته خارج بطرسبورغ. كان كراتشكوفسكي خلال وجوده في المكتبة يخضع لمراقبة ومتابعة شديدة من الحرس الخاص، وهاهو يصف لنا هذه المكتبة في دخوله الأول إليها، فيقول «وخلال ممرات الأقبية الملتوية، وبمصاحبة حرس خاص دخلت قاعات المكتبة حيث كان مستخدموها يراقبونني ويتطلعون علي. وكان رئيس المكتبة سيداً من رجال البلاط القيصري لا يأتي إلى المكتبة كل يوم. وكان نائبه كولونيالاً وكان الغرض من وجود بالمكتبة غير واضح تماماً لكل منهما. ولعل هذا السبب في أن أحد المستخدمين كان يجلس أمامي على المنضدة ومعه رواية فرنسية، وكان ينظر إلي باهتمام متبعاً ماذا أفعل»⁽¹⁾.

لم تكن شروط العمل والبحث مريحة في هذه المكتبة، حيث لم يكن يسمح له بأكثر من مخطوط واحد، والمخطوط الذي يطلع عليه لم يكن يسمح له بأخذه مرة أخرى. أما عن الفهرسة وترتيب المخطوطات فيها، فيقول كراتشكوفسكي «وكانت أوراق المخطوطات بدون أرقام طبعا، وهو أمر كان يصعب الاقتباسات العلمية إلى أقصى حد»⁽²⁾. ولم يسمح له بقياس أبعاد صفحات المخطوطات، ولم يكن هناك كتاب يتضمن هذه المعلومات يكون عوناً له في توثيق أبعاد صفحات المخطوطات من طول وعرض. وكان القائمون على المكتبة وحراسها يأخذون منه الملاحظات والاقتباسات التي يكتبها، ولا تعاد إليه إلا بعد فترة من الزمن. وقد تبين له أن السبب في ذلك هو «الرية» من أن تكون هذه الاقتباسات والملاحظات المكتوبة باللغة العربية نوعاً من الشيفرة السرية، فكانوا يقومون بفحصها بداعي الأمان.

(1) ص 56، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 57، السابق.

المخطوطات العربية في المكتبة القيصريّة في بطرسبورغ:

من ضمن هذه المخطوطات مجموعة أحضرها البطريرك غريغوريوس الحداد بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس⁽¹⁾ عام 1913م من الشام، وأهداها في عام 1913 لقيصر روسيا نيقولا الثاني، بمناسبة احتفال عائلة رومانوف بثلاثمائة عام على اعتلائهم العرش القيصري بروسيا، وكان البطريرك مدعواً إلى هذا الاحتفال فجلب معه هذه المخطوطات من دمشق. وهي مجموعة كاملة، تتكون من 40 مخطوطاً من المخطوطات العربية، وغالبيتها مخطوطات فريدة لا توجد نسخ أخرى مماثلة لها، وهي تصور نماذج من الأدب المسيحي. وهذه المجموعة «من آثار الأدب العربي المسيحي لا تقل من حيث النوعية عن المجموعات القديمة والحديثة المحفوظة في باريس أو الفاتيكان أو بيروت»⁽²⁾. وكان ما يقرب من نصفها مؤلفات وتصانيف لمكاروريوس الأنطاكي⁽³⁾ أو لابنه بولص الحلبي، وهي مكتوبة بخط الأخير الذي كان خطاطاً عظيماً.

ومن ضمن هذه المخطوطات مخطوط «رحلة مكاروريوس الحلبي إلى روسيا» وهو يعود إلى عام 1700 م، ويقع في أكثر من 555 صفحة، وكان يعتقد أن هذا

(1) غريغوريوس الرابع حداد، ثاني بطريرك عربي يعتلي سدة الكرسي البطريركي الأنطاكي عام 1906م بعد تعريبه (1859 – 1928 م) وهو غنطوس بن جرجس الحداد، وقد اشتهر بموقفه من المجاعة التي ضربت بلاد الشام خلال الحرب العالمية الأولى ففتح أبواب البطريركية في دمشق أمام المحتاجين من كل الطوائف، بايع الملك فيصل بن الحسين ملكاً على سورية عام 1920، وطالب بالاستقلال ورفض الانتداب الفرنسي على سورية.

(2) ص 58، مع المخطوطات العربية.

(3) مكاروريوس الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس بين (1647 – 1672 م)، ولد بحلب وتوفي بدمشق عام 1672م.

المخطوط أحرق، وكانت أول ترجمة له من العربية إلى الروسية على يد مرقص الدمشقي، وبُذِيَ بنشرها عام 1896م⁽¹⁾.

وتضم مخطوطات هذه المجموعة كتاب التوراة العربي في ثلاثة مجلدات، يقول كراتشكوفسكي «وكان وجودها لدينا مبعث غيرة من الفاتيكان، وتولد عنها كتب كثيرة خاصة بها، وتولد عنها أيضاً جدل ونقاش كثير يتعلق بمقارنة أهمية مخطوطنا بنسخة روما»⁽²⁾. كما تتضمن المجموعة نسخة لمجموعة أبحاث للأطباء العرب عن طب العيون «وهي نسخة نادرة جداً أثارت ضجة كبيرة بين المتخصصين في تاريخ العلم»⁽³⁾. حُفِظَت المجموعة في المكتبة الخاصة للقيصر، ولكنها آلت في نهاية الأمر إلى مكتبة المتحف الآسيوي المعروف اليوم بمعهد الاستشراق في بطرسبورغ، وذلك بناء على طلب أكاديمية العلوم بإحالة هذه المجموعة إلى المتحف الآسيوي.

وهذه المجموعة من المخطوطات كان كراتشكوفسكي يريد الاطلاع عليها عند زيارته إلى البطريك الحداد في دمشق ولكن البطريك لم يمكنه من ذلك.

2- المتحف الآسيوي:

لم يكن المتحف الآسيوي متحفاً بالمعنى الكامل «فقد كان لا يخزن إلا الكتب والمخطوطات الشرقية»⁽⁴⁾، وقد أسس هذا المتحف عام 1818م على يد المستعرب الكبير كريستيان فرين (1782 – 1851م)، وبعده كان برنار دورن (1805 – 1881م) مديراً لهذا المتحف، وفي عام 1903م أصبح مديره الألماني الأكاديمي زاليمان (1849

(1) ص 114، المجلد الخامس، مقتطفات من الأعمال الكاملة لكراتشكوفسكي.

(2) ص 59، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 59، مع المخطوطات العربية. النسخة الأخرى لهذا المخطوط موجودة كما ذكر كراتشكوفسكي في

مكتبة أحمد تيمور باشا في مصر.

(4) ص 84، مع المخطوطات العربية.

- 1916م)، وبعد وفاته تولى المستشرق أولدنبورغ إدارة المتحف الآسيوي عام 1916م. وفي العام نفسه كلف أولدنبورغ كراتشكوفسكي القيام بأمر المخطوطات التي كانت تتوالى على المتحف، والتي أنقذت أثناء الحرب من الجبهة القوقازية، وكانت أكثرها مخطوطات عربية، وكانت كل المخطوطات العربية تمر بين يديه، وكان يتولى بنفسه وصف مخطوطات الشرق الأدنى الواردة حديثاً إلى المتحف⁽¹⁾.

وفي الفترة من 1916 - 1921م كانت تنهال المخطوطات إلى المتحف بمجموعات كاملة، وكان كراتشكوفسكي يتولى أمر وضع بطاقتها وتوصيفها. وفي هذا المتحف توجد مجموعة المخطوطات المعروفة باسم «مجموعة بخارى» وهي مجموعة ضخمة تحتوي على 1157 عنواناً، جمعها فلاديمير ألكسيفيتش إيفانوف (1886 - 1970 م) المستشرق في الفارسية من آسيا الوسطى عام 1915م⁽²⁾ وفي هذه المجموعة عثر كراتشكوفسكي على مخطوط أشعار ذي الرمة، . كما توجد في المتحف الآسيوي مجموعة المخطوطات المعروفة باسم «مجموعة القوقاز» وكانت تزيد على ألف مخطوط. يقول كراتشكوفسكي «وكان علي قبل كل شيء أن أقوم بترتيب أكثر من ألف مخطوط تعرف باسم مجموعة القوقاز كانت قد أحضرت من جبهة الحرب هناك، وفي كل أسبوع كان يسلم إلي في المتحف طرد منها»⁽³⁾.

بعد انتهاء عمله على هذه المجموعة قام كراتشكوفسكي بتصنيف المخطوطات التي أرسلت من الجامعة إلى المتحف الآسيوي، وبقيت بعد وفاة أستاذه روزن (1849 - 1908م) عميد كلية الاستشراق، ومنظم الاستشراق الروسي⁽⁴⁾.

(1) ص 89، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 91، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 93، مع المخطوطات العربية.

(4) ص 94، مع المخطوطات العربية.

كما توجد في المتحف الآسيوي مجموعة المخطوطات المعروفة باسم «مخطوطات البطريك غريغوريوس» والتي كانت من ضمن مخطوطات المكتبة القيصرية ولكنها آلت في زمن كراتشكوفسكي إلى مكتبة المتحف الآسيوي. كما توجد بهذا المتحف مجموعة كبيرة من مخطوطات القسم التعليمي السابق لوزارة الخارجية الروسية آنذاك. وبمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المتحف، قام رؤساء الأقسام بكتابة مختصرات تصف أقسامه عام 1918م، وكان كراتشكوفسكي مسؤولاً عن المخطوطات الشرقية.

في عام 1925 م وبمناسبة مرور مائتي عام على تأسيس أكاديمية العلوم انتقل المتحف الآسيوي إلى بناء جديد فوق مكتبته، ثم اتحدت المنظمات الاستشرافية المرتبطة بالأكاديمية وتحولت إلى ما يعرف اليوم بمعهد الاستشراق في بطرسبورغ، والذي يزيد عدد مخطوطاته في الفهرس الذي أعده المستعرب أنس خاليدوف على 12000 ألف مخطوط عربي.

ثالثاً - وصف المخطوطات:

وصف كراتشكوفسكي كثيراً من المخطوطات التي اطلع عليها، منها ما قام هو بتحقيقه ونشره فيما بعد، ومنها ما حققه ونشره علماء آخرون، ومنها ما زال ينتظر.

1- مخطوط «رسالة الملائكة» لأبي العلاء المعري

كان مخطوط «رسالة الملائكة» لأبي العلاء المعري من المخطوطات التي عثر عليها في مكتبة الأزهر عام 1909م وقام بوصفها، ومن ثم تحقيقها وطبعها.

يقول «في بداية شهر كانون الثاني (يناير) 1910م التقيت برسالة (في الإعراب) مجهولة للفيلسوف والشاعر الأعمى أبي العلاء، وقد طربت لهذه الرسالة، لا لذاتها

فحسب بل لأن صاحبها معروف لدي جيداً. وكان قد سبق لي أن جمعت كل ما يتعلق به دونما غرض خاص، وكنت قد ورثت هذا الاهتمام الشديد بأبي العلاء عن معلمي روزن. على أي لم أو مل، بالطبع، أن أجد في تلك الرسالة النحوية شيئاً جديداً عما أعرفه عن أبي العلاء. لكن الشيء الذي لم أستطع فهمه من أمر هذه الرسالة هو السبب في أنها لا تُذكر إلا نادراً؟ ولماذا كانت نُسخُ مخطوطاتها الأخرى مجهولة تماماً؟⁽¹⁾. ولم يكن شكل الرسالة الخارجي يوحي بأن لها أهمية أو قيمة كبيرة «فهي نسخة عادية قام بنسخها أحد النساخ المحترفين في القرن التاسع عشر طبقاً لنسخة أصلية»⁽²⁾.

يصف كراتشكوفسكي هذا المخطوط فيقول «فلو كان عند العرب فهرساً للكتب الممنوعة والمحرمة لاحتلت فيه هذه الرسالة مكاناً مرموقاً، والواقع أنها كما يبدو من شكلها، تتحدث عن موضوعات نحوية وتتناول أيضاً نقطة جديرة لها اهتمام كبير من الناحية الدينية، هي مسألة الصور الإعرابية لأسماء الملائكة مصحوبة باقتباس من القرآن والشعر. وكما هي العادة، تذكر أسماء مشهورة في الأدب، مع تلميحات أدبية لا تحصى. إلا أن هذا ليس سوى غطاء الرسالة والشكل الخارجي لها. أما ما تحت هذا الغطاء وما يخفيه تحته هذا الشكل الخارجي فهي سخرية دقيقة يصعب فهمها على من لا يعرف آفاق أبي العلاء الأدبية، ومن لا يفهم أسلوبه في بناء مؤلفاته.... أما في الحقيقة فإن الرسالة التي تبدو من الخارج رسالة نحوية تقليدية، تخفي وراءها هجاء لاذعاً وسخرية فكرية شديدة، من فهم بعض المسلمين لحقيقة الملائكة. وهذه الطريقة الساخرة لأبي العلاء هي نفسها طريقته في رسالته المشهورة (رسالة الغفران) حيث نجده بسخريته اللاذعة نفسها يتهمكم بالوصف التقليدي القديم للحياة بعد الموت»⁽³⁾.

(1) ص 40، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 41، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 41، مع المخطوطات العربية.

أراد كراتشكوفسكي تحقيق هذه الرسالة، فأرسل إلى القاهرة يطلب نسخة منها، وفي عام 1914م كان على وشك الانتهاء من بحث علمي حول هذه الرسالة. وبينما كان في ليدن بهولندا أتاحت له قراءة مخطوطة ثانية من «رسالة الملائكة» وهي نسخة مماثلة لنسخة القاهرة إلا أنها أقدم منها، فهي تعود إلى القرن السادس عشر، وهي مكتوبة بخط مؤرخ دمشقي. وبسبب نشوب الحرب العالمية الأولى عاد إلى روسيا تاركاً وراءه في ليدن كل ما جمعه لإنجاز بحثه عن هذه الرسالة، ولم يتمكن من استعادة هذه الأوراق إلا بعد عشر سنوات⁽¹⁾. وقد تبين له فيما بعد وجود مخطوط آخر من

«رسالة الملائكة» محفوظاً في مكتبة الأديب المصري أحمد تيمور باشا بالقاهرة، فبدأت المراسلات العلمية بينهما حول هذه الرسالة. وفي عام 1932م صدرت

«رسالة الملائكة» مطبوعة بتحقيق كراتشكوفسكي، وذلك بعد 22 عاماً من زيارته لمكتبة الأزهر واكتشافه لمخطوطها. يقول عن هذا الإنجاز «وهكذا انتهى تاريخ كشف صغير وجدته تحت قبة جامع الأزهر، ذلك الكشف الذي سجلته وأثبتته مطبعة أكاديمية العلوم بجزيرة فاسيليفسكي في لينينغراد»⁽²⁾.

وقد ظهرت «رسالة الملائكة» في دمشق عام 1944م بطبعة أخرى اعتماداً على مخطوط جديد اكتشف في ذلك الوقت، ولم يكن كراتشكوفسكي يعلم عنه شيئاً من قبل. ومخطوط دمشق كان ضمن مخطوطات مكتبة السيد محمد المنير من أعيان دمشق التي أهديت إلى المكتبة الظاهرية بعد وفاته، فبادر المجمع العلمي بدمشق إلى طبع الرسالة بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي، وبلغ عدد صفحاتها مع فهرسها 300 صفحة.

(1) ص 43، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 44، مع المخطوطات العربية.

2- مخطوط كتاب (المنازل والديار) للأمير أسامة بن منقذ

كتب الأمير السوري أسامة بن منقذ (المنازل والديار) بخط يده إبان الحروب الصليبية⁽¹⁾، وأكمّله وهو بحصن كيفا سنة 568 هـ / 1172م. وكان المستعرب فرين اكتشفه حوالي عام 1821 م ضمن مجموعة روسو الفرنسي التي آلت إلى المتحف الآسيوي في بطرسبورغ، وأدرجه فرين في فهرس غير مطبوع «وكانت إشارته الأخرى في مقالة صحفية اختفت، وقد ظل الاستعراب الأوربي مائة عام لا يعرف شيئاً عن هذا الاكتشاف»⁽²⁾. وظلّ المخطوط مجهولاً حتى للمستشرق الفرنسي ديرانبور الذي أمضى نصف حياته تقريباً في دراسة الأمير أسامة بن منقذ وآثاره⁽³⁾، حتى أخرجه كراتشكوفسكي إلى النور وكان له الفضل في تحقيقه.

يصف كراتشكوفسكي ردة فعله عندما عثر على مخطوط «المنازل والديار» في المتحف الآسيوي عام 1921 م، كما يصف المخطوط فيقول «لعلني سأرى حقاً داخل هذا المجلد سطوراً كتبت في حياة صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد بيد معاصريهما الشريف، صديق الأول وعدو الثاني، إلا أن أول انطباع عن هذا المجلد كان مخيباً للآمل فجلده الأسود غير جميل وعديم الذوق، وربما لا يرجع قدمه إلى أكثر من

(1) أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناي الكلي فارسي وأديب وشاعر، ولد بمدينة حماة بسوريا عام 1095 م، خاض حروباً كثيرة ضد الصليبيين وقاد بعضها بنفسه، عاصر صلاح الدين الأيوبي وقاتل الصليبيين معه، وشهد معركة حطين وفتح المسلمين مدينة القدس عام 1187م، وكان يعين صلاح الدين بمشورته عندما كبرت به السن ولم يعد يستطيع القتال. من مؤلفاته كتاب «الاعتبار» وهو مذكراته التي كتبها، ويعد من أهم مصادر التاريخ للحقبة التي عاشها أثناء الحروب الصليبية، و«البديع في نقد الشعر». و«الباب الآداب»، و«المنازل والديار» وله ديوان شعر، وغير ذلك من الكتب الموجودة منها والمفقود. توفي بمدينة دمشق عام 1188 م ودفن فيها.

(2) ص 109، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 104، مع المخطوطات العربية. ترجم ديرانبور ديوان النابغة الذبياني إلى اللغة الفرنسية، انظر ص 284، المجلد السابع، الجزء الرابع، مجلة (لغة العرب).

صاحبه الأخير الذي كان لديه قبل أن يصل إلى المتحف الآسيوي، وأعني به الفرنسي روسو الذي عاش في بداية القرن التاسع عشر... وقد ظهر أن المخطوط ناقص في بدايته ونهايته ذلك أن نهايته كانت غير موجودة وبدايته معاد كتابتها بفترة متأخرة جداً عن كتابة الجزء الأساسي، وهي مكتوبة بخط آخر وعلى أوراق جديدة»⁽¹⁾. وفي الصفحة الأولى من المخطوط أنه كان من تملكات أديب دمشقي مشهور عاش في نهاية القرن السادس عشر - لم يذكر كراتشكوفسكي من هو - ولكن اتضح له أن المخطوط كتب بيد أسامة وأنه فرغ من كتابته في حصن كيفا في جمادى الأول 568 هـ الموافق شهر كانون الأول (ديسمبر) من عام 1172م، عندما كان ضيفاً على أحد الأمراء في حصن كيفا على ضفاف نهر دجلة. وفي السطور الأولى للمخطوط المعاد كتابتها «قال أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني غفر الله له...»⁽²⁾.

يقول كراتشكوفسكي «غير أن خيبة أمني قد اعترأها الضعف والشحوب وأخذت أتصفحه... ذلك أني وجدت أن أوراقه وكتابته حسب الشكل الخارجي، يمكن أن ترجع إلى القرن الثاني عشر. وأحسست بثقة في يد ذلك الإنسان الذي يبدو أنه تعود كثرة الكتابة، وصار واضحاً من نظام حركات الإعراب وربط بعض الحروف ببعضها أن هذا الكاتب ليس خطاطاً مهنيّاً بل أديباً عالمّاً»⁽³⁾.

كتب أسامة بخطه الباعث على تأليفه الكتاب، فقال «فإني دعاني إلى جمع هذا الكتاب ما نال بلادي وأوطاني من الخراب، فإن الزمان جرّ عليها ذيله، وصرف إلى تعفيتها حوله وحيله... قد دثر عمرانها، وهلك سكانها، فعادت مغانيها رسوماً، والمسرات بها حسرات وهموماً، ولقد وقفت عليها من بعد ما أصابها من الزلازل... فما

(1) ص 105، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 105، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 105، مع المخطوطات العربية.

عرفت داري، ولا دور والدي، وإخوتي، ولا دور أعمامي وبني عمي وأسرتي فبهت متحيراً مستعيذاً بالله من عظيم بلائه وانتزع ما خوله من نعمائه... وما اقتصرت حوادث الزمان على خراب الديار دون هلاك السكان، بل كان هلاكهم أجمع، كارتداد الطرف بل أسرع. ثم استمرت النكبات تترى من ذلك الحين وهلم جرا فاسترحت إلى جمع هذا الكتاب فجعلته بكاء للدار والأحباب وذلك لا يفيد ولا يجدي ولكنه مبلغ جهدي، وإلى الله عز وجل أشكو ما لقيت من زمني، وانفرادي من أهلي وإخواني، واغترابي عن بلادي وأوطاني»⁽¹⁾. ومن كلمة «الزلازل» يستنتج كراتشكوفسكي التاريخ الذي كتب به أسامة مؤلفه.

ذلك أن في شهر آب (أغسطس) من عام 1157م ضربت شمال سوريا زلازل دمرت ثلاثين مدينة كبيرة، كان من بينها مدينة شيزر مسقط رأس أسامة بن منقذ ومقر إقامتهم، وهلك أهله جميعاً في هذا الزلزال، فيكون تاريخ تأليف الكتاب يعود إلى عام 1157م، وعمر أسامة آنئذ 62 عاماً وهي ليست عمراً كبيراً لمن عاش 93 عاماً.

أما عن كيفية وصول المخطوط إلى المتحف الآسيوي، فيقول كراتشكوفسكي «وهذا المخطوط حمله أسامة فيما حمل من مكتبته عند عودته إلى دمشق، فاستقر مخطوط «المنازل والديار» بها. وفي القرن الثامن عشر انتقل المخطوط إلى مدينة حلب وذلك وفق حاشية كتبها المالك الثاني للمخطوط كتبها عام 1810م، يقول عنه كراتشكوفسكي «هو شاعر حلبي، وشخصية اجتماعية، كان صديقاً لروسو الفرنسي المعروف لنا، وربما كان هذا الشاعر قد أهدى المخطوط نفسه إلى روسو، ثم وجد المخطوط لنفسه طريقاً إلى المتحف الآسيوي ضمن المجموعة الثانية لروسو عام 1825م»⁽²⁾.

(1) ص 107، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 108، مع المخطوطات العربية.

والكتاب من ضمن ما ذكره بروكلمان في فهرسه، وأنه طبع عام 1925م بتحقيق كراتشكوفسكي، وموجود في مكتبة بطرسبورغ⁽¹⁾.

3- مخطوط رسالة موجهة من أبي العلاء المعري إلى وزير السلطان بمصر

هذه الرسالة موجهة من أبي العلاء المعري إلى الوزير أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحى وزير الخليفة الفاطمى الثامن المستنصر بالله بمصر⁽²⁾، الذى أراد أن يستقدم أبا العلاء إلى قصره بمصر ليكرمه، ولكن المعري اعتذر بهذه الرسالة بأسلوب ساخر لطيف عن الحضور كونه «رهين المحبسين» العمى والوحدة.

عثر كراتشكوفسكى على هذه الرسالة بمكتبة جامعة بطرسبورغ، فى نهاية كتاب ضمّ مجموعة مخطوطات، ومن بينها مجموعة مقتطفات استخلصت من مقالات ورسائل التبريزى النحوية، وفى نهاية مجموع رسائل التبريزى، الذى كان تلميذاً لأبى العلاء.

يصف لنا كراتشكوفسكى هذا المجموع، فيقول «هذا المخطوط كان متأخراً لا يرجع إلا إلى بداية القرن 16 إلا أنه كان جميلاً فى الحقيقة، فقد كان عبارة عن كتاب صغير الحجم، مستطيل ولكنه ليس عريضاً، وهو يشبه مجلداً للصور، صدقة بن يوسف الفلاحى كان يهودياً ثم أسلم وانتسب إلى المذهب الفاطمى، وكان بارعاً فى ضروب الكتابة والبلاغة، قتل عام 440 هـ.

وكان منسوخاً فى مصر، وبشكل جميل وخط واضح نظيف. ويبدو أن ناسخ هذا المخطوط كان يعرف علم اللغة، وقد قمت بقراءة هذه المقالات... وعندما كنت أنظر فى الرسالة الأخيرة من تلك المجموعة شعرت أن طريقة الكاتب لا تشبه الطريقة

(1) ص 25، ج 6، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان.

(2) ص 470، موسوعة المستشرقين. وص 9، الجزء 8، الموسوعة التاريخية للفاطميين.

المدرسية الجافة للتبريزي. وشعرت وأنا أقرأها بأنها تحمل سخرية وتهكماً من رجل عظيم كتبت من أجله، لكنها سخرية مبطنة بكلمات بلاغية، ومغلقة بعبارات الاستصغار الذاتي الخارجي وعندما دقت النظر والاهتمام بالرسالة وجدت فيها بعض الدلائل الكافية لأن أؤمن بأن ما أمامي ليست نبذة من رسالة التبريزي كما يقول دورن بل رسالة لأعمى مشهور من المعرة بالذات، تلك الرسالة التي عني بحفظها تلميذه التبريزي⁽¹⁾.

1- مخطوط شعر سلامة بن جندل

يرجع تاريخ هذا المخطوط إلى القرن السادس الهجري، وقد عثر عليه كراتشكوفسكي في مكتبة الاسكندرية، وكان خط كتابته وفق الطريقة الفنية للخطاط المعروف «ابن البواب»، وصفحاته صغيرة «تحتوي كل منها على ثلاثة أو أربعة أبيات من الشعر منسوخة بطريقة فنية جميلة وبحروف ضخمة مضبوطة الشكل وبكل الحركات وعلامات القراءة. وبذلك الطريقة الفنية الخاصة بمدرسة

«ابن البواب» كتب كل بيت من الشعر. لكن الصفحة كانت لا تتسع لكل بيت، وعندئذ كان يُمالُ بالسطر إلى أعلى ليكتب باقي البيت بحروف صغيرة. ومع أن هذه الطريقة غير متناسبة فنياً إلا أنها تعطي حياة لكل الشكل الفني. وقد كان اللون الأساسي لهذا الأشكال الفنية هو اللون الأخضر الذي انطفأ بمرور الزمن، والعين ترتاح لرؤيته⁽²⁾.

يقول كراتشكوفسكي عندما شاهد المخطوط «مرت أمام عيني أبيات لشاعر موهوب من الشعراء العرب القدماء، لاشك في أنه من العصر الجاهلي، وكانت الأبيات غنية بصور الحياة البدوية وتعكس بصدق تفصيلات كاملة لحياة أولئك البدو. وكانت

(1) ص 24، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 48، مع المخطوطات العربية.

هذه الأشعار منظومة بنفس طريقة القصائد الجاهلية وتسير على نهجها، وفي بعض الأحيان كانت الصور الشعرية تتسم بنغمة فلسفية، وقد بدأت بعض القصائد بهذا البيت:

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب لو كان يدركه ركض اليعاقب

وقد علق بذهني هذا البيت على الفور.

والشاعر كما يُسمّى في المخطوط هو سلامة ابن جندل، وبالنسبة لي فإنني لا أعرف جيداً هذا الاسم. فهو طبعاً ليس واحداً من أصحاب المعلقات والدواوين الشعرية الست المشهورة، ولم يكن في المكتبة دليل أو فهرس أوروبي لأسماء الشعراء القدماء⁽¹⁾. أدرك كراتشكوفسكي أن هذا المخطوط نسخة فريدة، فأجل رحلته التي كانت مقررة في اليوم التالي لاكتشافه المخطوط إلى رحلة أخرى، وبدأ بسرعة محمومة، كما يقول، بنسخ هذا المخطوط كاملاً وأتم النسخ في يومين مع كل تفصيلات مخطوط مكتبة الاسكندرية⁽²⁾. في طريق عودته إلى روسيا قرر أن يلغي موضوع رسالته للماجستير عن الشاعر الوأواء الدمشقي، والذي أصبح نصفه منتهياً تقريباً، وأن يجعل بحثه على أشعار سلامة بن جندل، هذا المخطوط الفريد الذي اكتشفه في مكتبة الاسكندرية. ولكنه فوجئ في بيروت بأن الأب لويس شيخو يعمل على طباعة شعر سلامة بن جندل على أساس مخطوطة كانت موجودة في استانبول، وقد تبين له ولشيخو بمقارنة نسخ المخطوطتين أنهما «نظيران، من مدرسة واحدة، وأن تاريخهما متقارب»⁽³⁾.

(1) ص 48، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 49، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 50، مع المخطوطات العربية.

يقول كراتشكوفسكي «وكان المستشرق الفرنسي المشهور «هميور»⁽¹⁾ قد نشر في «Journal Asiatique» (المجلة الآسيوية) هذه الأشعار نفسها لسلامة بن جندل من مخطوط استانبول نفسه⁽²⁾. ولكن يبدو أن مانشره كليمان هوار لم يحقق نجاحاً كافياً، فقرر لويس شيخو إصدار طبعة منقحة لهذا المخطوط على أساس نسخة عن مخطوط استانبول، وقد صدرت هذه الطبعة عام 1910م في بيروت.

5- مخطوط ديوان (إصابة الأغراض في ذكر الأعراض) لابن قزمان الأندلسي

أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان (1078 - 1160م) مبتكر فن الزجل الأندلسي، ولد في قرطبة وتوفي فيها، ونال ديوانه (إصابة الأغراض في ذكر الأعراض) اهتمام المستعربين والعرب على حد سواء.

يقول كراتشكوفسكي عن ابن قزمان «في القرن الثاني عشر، كان يعيش في قرطبة شاعر عربي قليل الشهرة في أوساط رجال القصور عند أمراء إسبانيا الكثيرين من ملوك الطوائف الذين تقاسموا الخلافة القرطبية فيما بينهم. إلا أن الناس في الأسواق وفي كل مكان يجتمع فيه الشعب البسيط، كانوا يقابلون شاعرنا هذا كضيف محبوب لا في قرطبة فحسب بل في المدن الأندلسية الأخرى كإشبيلية وغرناطة، وكانت لغة شاعرنا القومية هي العربية. أما شكله بعينه الزرقاوين ولحيته الذهبية المائلة إلى الحمرة فيشير إلى أن بين أجداده من كان دمه من سلالة أوروبية. وحتى اسمه نفسه «ابن قزمان» كان مستعملاً بين العرب والإسبان على السواء. وهو في أشعاره لم يقتف النماذج العربية القديمة للمدح التمجيد بالغة الفصحى الكلاسيكية»⁽³⁾.

(1) ص 50، مع المخطوطات العربية، هكذا في الترجمة العربية، والصواب أنه المستشرق الفرنسي كليمان هوار (Clement Huart) 1854 - 1927م، رئيس المجمع العلمي الفرنسي من عام 1927م، وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العلمي الفرنسي، والجمعية الآسيوية.

(2) ص 50، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 97، مع المخطوطات العربية.

كان ابن قزمان يفضل استخدام لهجة التخاطب الشعبية المستخدمة آنذاك، والتي كانت تحتوي على مفردات إسبانية بفعل الاختلاط المجتمعي، فأصبحت اللغة المحكية في الأندلس خليطاً من العامية العربية، وتداخلت معها المفردات الأندلسية، وهذه اللهجة المحكية كانت تعكس التنوع العرقي للمجتمع الأندلسي من عرب وإسبان وبربر شمال إفريقية الذين كانوا من المسلمين وساهموا في الفتح العربي الإسلامي للأندلس.

حظيت أزجال ابن قزمان بإعجاب البسطاء من الشعب في الأندلس، ولم يلبث هذا النموذج الشعري الجديد أن شق طريقه إلى المشرق العربي. وقد قام عربي فلسطيني من صفد بعد مائة عام بنسخ أزجال ابن قزمان، وهذه المخطوطة لديوان ابن قزمان وصلت في نهاية القرن السابع عشر إلى شخص من آل روسو «وهو ممثل لعائلة جان جاك روسو التي صارت لامعة فيما بعد، وعشية الثورة الفرنسية كان ابنه قنصلاً لحكومته في حلب وبغداد»⁽¹⁾. وكان حفيده قد ترعرع في الشرق وأتقن اللغة العربية والفارسية، وأقام فترة طويلة في حلب. «وإقامته في هذه المدينة، التي كانت آنذاك مركزاً ثقافياً أصيلاً للمنطقة، وقد طورت فيه ذوقاً نحو الأدب وجمع المخطوطات، وتجمعت لديه بالتدريج مجموعة كبيرة اختيرت بمهارة ولم يكن ديوان ابن قزمان المخطوط الوحيد الفريد في هذه المجموعة»⁽²⁾. وبعد حلب انتقل روسو الحفيد إلى طرابلس الغرب حيث ساءت أحواله المادية، واضطر في عام 1815م إلى التفكير ببيع مجموعة مخطوطاته.

(1) ص 98، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 98، مع المخطوطات العربية.

وصلت أخبار هذه المجموعة إلى وزير المعارف بروسيا، وكان يتم التحضير لإنشاء المتحف العلمي الآسيوي، فقامت روسيا بشرائها على دفعتين في عام 1815م وعام 1825م، وهكذا استقرت مخطوطة «ديوان ابن قزمان» على رفوف مكتبة المتحف الآسيوي في بطرسبورغ لمدة ستين عاماً قبل أن تشق طريقها إلى الأوساط العلمية. يقول كراتشكوفسكي «وبدأت الحياة العلمية لمخطوط ابن قزمان بفضل الفهرس الذي قام روزن بإعداده، والذي كتب وصفاً مختصراً للشاعر، وأورد بعض أشعاره التي طبعت في بطرسبورغ.

وفي العقد التاسع من القرن التاسع عشر قام هذا المخطوط برحلة خاصة إلى غرناطة حيث كان يدرس الأستاذ الجامعي الإسباني فرانثيسكو خافيير سيمونيت (1829 - 1897م)⁽¹⁾ فقام بتعريف أبناء وطنه بالشاعر القرطبي في مقالة خاصة كتبها⁽²⁾ ثم قام بارون دافيد غينتسبورغ «الذي كان تلميذاً لروزن، وجامعاً مشهوراً للمخطوطات ومحباً للكتب بنشر نسخة فوتوغرافية من مخطوط ابن قزمان، في برلين، وبأمواله الخاصة»⁽³⁾. وبذلك أصبح ديوان ابن قزمان بمتناول جميع الراغبين والمهتمين.

1 - مخطوط ديوان الوأواء الدمشقي

كان هذا المخطوط موضوع رسالة الماجستير لكراتشكوفسكي، وهو أحد أسباب ارتحاله إلى الشرق العربي لتتبع نسخه لمقابلتها مع نسختي بطرسبورغ.

(1) فرانثيسكو خافيير سيمونيت، مستعرب إسباني، شغل كرسي اللغة العربية بجامعة غرناطة عام 1860م، وكان على صلة وثيقة بالمستعرب دوزي.

(2) ص 100، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 101، مع المخطوطات العربية. طبع الديوان وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون بمصر عام 1995، محققاً على يد المستعرب الإسباني فيديريكو كوريتي.

والؤاواء الدمشقي هو أبو الفرج محمد بن أحمد العناني الغساني الدمشقي، ولد وتوفي بدمشق حوالي عام 980 م، عاصر سيف الدولة الحمداني ومدحه.

يوجد مخطوطان لديوان الؤاواء الدمشقي في مكتبة المتحف الآسيوي، ويصف كراتشكوفسكي هذين المخطوطين «أن المخطوطين ليسا في حالة حسنة، وأنهما من فترة متأخرة، ومكتوبان بحروف غير واضحة، بل أن أحدهما يحوي أخطاء كثيرة»⁽¹⁾. وهذا الأمر دفعه إلى تتبع مخطوطات شعر الؤاواء في مكتبات الشرق العربي لينهي عمله الأكاديمي، فسافر إلى مصر، وفيها عثر على ثلاث مخطوطات لديوان الؤاواء، اثنتان في المكتبة الخديوية، وواحدة في مكتبة الأزهر، وصورة شمسية لنسخة مخطوط للديوان أرسلت إليه من مدريد، وطبع الديوان عام 1913 م في ليدن بهولندا، معتمداً في تحقيقه على النسخ الست للمخطوط، وقد سافر كراتشكوفسكي إلى هولندا وأشرف على تصحيح الطبع بنفسه⁽²⁾. وفي عام 1950 م صدرت طبعة أخرى لديوان الؤاواء عن المجمع العلمي بدمشق بتحقيق الدكتور سامي الدهان، وقد استفاد الدهان من الطبعة الروسية للديوان، وتواصل مع كراتشكوفسكي لأجل ذلك وكانت أحد مراجعه في تحقيقه⁽³⁾.

1- مخطوط كتاب «الأخبار الطوال»

«الأخبار الطوال» لأبي حنيفة أحمد بن داوود الدينوري (828 – 895 م) وهو الكتاب الوحيد الذي عثر عليه كاملاً من كتب أبي حنيفة، وهو في تاريخ القرن التاسع

(1) ص 87، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 346، المجلد السادس والعشرون والجزء الثالث، مجلة المجمع العربي بدمشق 1370هـ/ 1951م.

(3) ص 54، مقدمة ديوان الؤاواء الذي حققه سامي الدهان عام 1950، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، موقع المجمع على الشابكة.

الميلادي⁽¹⁾. كان هذا المخطوط من مجموعة القسم التعليمي بوزارة الخارجية الروسية، ضمن مجموعة إيتالينسكي السفير السابق لروسيا في استانبول وروما⁽²⁾. ولكنه آل فيما بعد مع المجموعة كلها إلى مكتبة معهد الاستشراق في بطرسبورغ. وكان المستعرب روزن أول من قدر الأهمية الرائعة لهذا الأثر، وهو الذي اكتشفه أثناء إعدادة لفهرسه.

قام المستعرب فلاديمير فيدوروفيتش كركاس (1835-1887 م) من قسم اللغة العربية بجامعة بطرسبورغ بتحقيق هذا المخطوط، مقابلاً إياه مع صورة له موجودة في مكتبة ليدن بخط ابن العديم الحلبي. وقد صدرت الطبعة الأولى لكتاب «الأخبار الطوال» عام 1888 م عن دار «بريل» في ليدن بتحقيق كركاس⁽³⁾ دون فهرس أو مقدمة، إذ توفي قبل أن يقوم بعمل المقدمة والفهارس للكتاب. وكان الكتاب يُدرّس لطلبة جامعة بطرسبورغ في الكلية الشرقية، ومنهم كراتشكوفسكي، الذي يقول «وكنت دائماً أنظر إلى العبارة الفرنسية على جلد النص العربي لهذا الكتاب كما لو كانت لغزاً وهذه العبارة تقول «la preface et les index paraîtront plus tard» ستنشر المقدمة والفهارس فيما بعد»⁽⁴⁾.

قام كراتشكوفسكي بإنجاز فهرس عمل كركاس عام 1908 م، أثناء وجوده بطرابلس في رحلته إلى الشرق العربي، وقد شغلت هذه الفهارس أكثر من ألفي بطاقة حملها معه عندما عاد إلى روسيا، وقابلها مع فهرس أرسلتها له دار بريل كان تلاميذ

(1) ص 206، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 207، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 207، مع المخطوطات العربية.

(4) فلاديمير فيدوروفيتش غرغاس 1835 - 1888 م، وله كتاب في الأمثال الشعبية يتضمن حوالي 500 مثل شعبي عربي.

معلمه روزن قاموا بإعدادها. كما قام بكتابة المقدمة ومختصراً عن حياة الدينوري، واستعراضاً لمؤلفاته، وقد ظهرت الفهارس والمقدمة عام 1912 م في ليدن قبل مرور 25 عاماً على ذكرى وفاة كركاس ناشر الطبعة الأولى لمخطوط «الأخبار الطوال».

2- مخطوط «تذكرة أولي الألباب في مناقب الشعراني سيدي عبد الوهاب»

عبد الوهاب الشعراني عالم صوفي مصري من رجال القرن السادس عشر، والمخطوط من مجموعة الشيخ محمد عياد الطنطاوي التي آلت إلى مكتبة جامعة بطرسبورغ بعد وفاته، وهو في فهرس مكتبة جامعة سانت بطرسبورغ، وأيضاً في فهرس المكتبة العامة بصوفيا، وليس مدرجاً في فهرس بروكلمان. كُتِبَ المخطوط عام 1723 م «من قبل شخص يسمى بـ«المليجي» الذي كان متولياً على مسجد الشعراني بالقاهرة عام 1700»⁽¹⁾، «ويكشف المخطوط عن ترجمة فريدة لحياة هذا الصوفي، ويحتوي على فهرس كامل لمؤلفاته، وعلى تفصيلات ممتعة على وجه العموم عن تاريخ القرنين السادس عشر والسابع عشر»⁽²⁾.

3- مخطوط كمال الدين:

يعود الفضل إلى كراتشكوفسكي في الحديث عن نماذج مخطوطة لخطاط اسمه كمال الدين، هذه النماذج ونسبتها دفعت بروكلمان للاعتقاد بأنها مخطوط لكمال الدين ابن العديم مؤرخ حلب المشهور، وقد ذكر ذلك في فهرسه⁽³⁾. وبتدقيق كراتشكوفسكي بالمخطوط الذي عثر عليه، والموجود في مكتبة جامعة بطرسبورغ، والذي ظنه

(1) ص 138، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 138، مع المخطوطات العربية.

(3) انظر ص 77، ج 6، تاريخ بروكلمان. وذكر بروكلمان أن مخطوط «زبدة الحلب في تاريخ حلب» موجود في بطرسبورغ وهو مختصر لكتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» على حروف المعجم بلغ حتى سنة 641هـ / 1243م، وقد أعجله الموت قبل أن يبيض مسودته.

بروكلمان لكمال الدين ابن العديم، كشف كراتشكوفسكي الخطأ الذي وقع به بروكلمان، وأن الموجود باسم كمال الدين هي أوراق لخطاط اسمه كمال الدين، ويبدو أنه من رجال القرن الخامس عشر أو السادس عشر، بينما كمال الدين ابن العديم مؤرخ حلب الشهير من رجال القرن الثالث عشر⁽¹⁾.

4- مجموعة الشيخ محمد عياد الطنطاوي

هي مجموعة من المخطوطات بلغت 150 مخطوطاً موجودة في مكتبة جامعة سانت بطرسبورغ⁽²⁾. وهذه المخطوطات اشتراها الشيخ الطنطاوي في مصر عندما كان طالباً ثم معلماً في الأزهر. وتضم هذه المجموعة مخطوطات للطنطاوي نفسه، ومنها مخطوط عنوانه «تحفة أولي الألباب في أخبار بلاد روسيا محمد عياد الطنطاوي كتبه بخطه سنة 1266هـ / 1850م وأهداه إلى السلطان عبد المجيد» وهو من المخطوطات الموجودة مع الآثار القديمة في جامع رضا باشا (برويلي حصار)⁽³⁾، وهناك نسخة أخرى للمخطوط موجودة في مكتبة جامعة بطرسبورغ. وقد ألف كراتشكوفسكي كتاباً عن الشيخ محمد عياد الطنطاوي عام 1930م، ويعتبره أحد أفضل أربعة كتب في مجال بحثه العلمي.

ومن المخطوطات التي ذكرها كراتشكوفسكي مخطوط «الآثار الباقية عن القرون الخالية» للبيروني الخوارزمي، ويعود هذا المخطوط إلى القرن الثاني عشر ويصفه بأنه

(1) هو كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي جرادة المعروف بابن العديم العقيلي الحلبي ولد سنة 588هـ / 1193م كان قاضياً في حلب، ثم وزيراً لكثير من الأمراء، وعندما غزا التتار حلب وخربوها عام 658هـ / 1260م، فرَّ مع الملك الناصر إلى مصر، ثم عاد إلى الشام بعد أن عينه هولاكو قاضياً عليها، توفي بالقاهرة سنة 660هـ / 1262م.

(2) ص 145، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 147، مع المخطوطات العربية.

«نسخة رائعة... وكانت هذه النسخة قد اشترت حوالى ذلك الوقت في إيران»⁽¹⁾ وفي هذا المخطوط ذكر أماكن لم ترد في نسخة طبعة زهاو المشهورة.

كما وصف عثوره على أحد مجلدات تاريخ ابن مسكويه وهو مجلد مخطوط كتب بخط جميل في آسيا الوسطى في وقت ليس متأخراً عن القرن الثاني عشر.

وهو نفس المجلد الذي قرأه ياقوت الجغرافي المشهور في ذلك الوقت هناك في مدينة مرو على أغلب الظن. وقد اتضح هذا الأمر مع مرور الوقت عندما عُثِرَ في مدينة قازان على مجلد آخر لنفس هذه النسخة وعليها بعض كلمات بخط ياقوت نفسه، وبعد ذلك اكتشفت في آسيا الوسطى المجلدات الثلاثة الباقية كلها»⁽²⁾.

كما عثر كراتشكوفسكي على مجلد المؤرخ الصولي في مكتبة الأزهر، وكان روزن هو الذي وجد مؤلفاته في المكتبة العامة في بطرسبورغ⁽³⁾. وفي الأزهر وجد أيضاً قصة عن الحلاج الملحد الذي كان روزن ألقى محاضرة عنه في سالف الزمن. كما اكتشف ديوان ذي الرمة» في مجموع متلف من مجموعة حديثة آتية من بخارى⁽⁴⁾.

من قصص التعاون العلمي بين المستعربين الروس والعلماء العرب:

كراتشكوفسكي وأحمد تيمور باشا

بدأت بوادر هذا التعاون عندما كتب أحمد تيمور مقالة نشرت في مجلة المجمع العربي بدمشق عن الشيخ محمد عياد الطنطاوي، فبادر كراتشكوفسكي بعد اطلاعه

(1) ص 89، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 90، مع المخطوطات العربية.

(3) في عام 1998 صدر قسم من كتاب «الأوراق» لأبي بكر الصولي محققاً من قبل المستعرب الكبير أنس خاليدوف، رئيس قسم اللغة العربية بمعهد الاستشراق في بطرسبورغ.

(4) ص 90، مع المخطوطات العربية.

عليها إلى إرسال رسالة لأحمد تيمور فيها إضافات لما ذكره عن الشيخ الطنطاوي، وصورة مأخوذة عن لوحة للشيخ الطنطاوي وصورة لقبره الموجود في مقبرة المسلمين في فولكوفو بضواحي بطرسبورغ. فبدأت المراسلات بينهما، وأثمرت عن تعاون علمي بشأن المخطوطات العربية وغيره من شؤون الأدب العربي القديم والحديث.

ومن صور هذا التعاون ما كان بينهما بخصوص مخطوط «رسالة الملائكة» لأبي العلاء المعري، يقول كراتشكوفسكي «وعندما تجددت الروابط العلمية الدولية بصعوبة وإصرار، وجدت على غير انتظار زميلاً في العمل متحمساً ومحباً لأبي العلاء تحمس روزن وتلميذه الأصغر. هذا الزميل هو أحمد تيمور باشا، المصري صاحب أحسن مجموعة خاصة من المخطوطات في القاهرة، كان قد جمعها بحب كبير وسعة معرفة كان هذا العالم كريماً لدرجة عجيبة فقد كشف كنوزه لمختلف العلماء من مختلف البلاد، وكان متواضعاً نادر الوجود فقد كان يجعل من نفسه

زميلاً في العمل لمن يرسله من العلماء إذا أحس بأن لدى هذا المراسل تذوقاً للأدب العربي» وكانت مجموعة هذا العالم تحتوي مخطوطاً آخر عن (رسالة الملائكة) فبدأت بين القاهرة ولينينغراد مراسلات حية، وشارت مناقشة حول مختلف الأشكال وتبيان الإشارات والافتراضات المتعلقة بها.

وكان أحمد تيمور يرسل ملاحظاته وآراءه على قصاصات، يصفها كراتشكوفسكي بـ«النظيفة المستطيلة التي كتبت بخط شيخ عجوز لكن بحروف جميلة واضحة». كان أحمد تيمور باشا من أسبوع لأسبوع يرسل إلي بأفكاره واقتباساته في رده على أسئلتي، أو يرسل إلي ما يخطر بذهنه هو نفسه، وفي كل مرة بنشوة مضطربة كنت أفتح خطاب تيمور باشا الذي كنت أجد فيه مراراً الجديد من الاكتشافات، بل كنت أجد أحياناً وبدون توقع شعراً وأمثالاً وأقوالاً، كنت في ذلك الوقت أشد ما أكون حاجة إليها

لتوضح تلميحات أبي العلاء التي تعبنا أعواماً عديدة في محاولة كشفها وتبينها⁽¹⁾. ولم ينقطع هذا التعاون بينهما إلا بوفاة أحمد تيمور عام 1930م، ولكن هذا التعاون استمر من خلال ابنه الأديب محمود أحمد تيمور.

وقد كانت لخزانة أحمد تيمور شهرة واسعة، فلا عجب أن يحرص كراتشكوفسكي على زيارتها، ويظهر بالغ الأسف لعدم تمكنه من زيارتها إبان رحلته إلى الشرق العربي عام 1908م، فقد وصفها الأب أنستاس الكرمللي (1866 – 1947 م) بقوله «والذي يشكر لصديقنا أنه جمع لنفسه خزانة من أفخر خزائن الكتب وذلك أنه خزن فيها جميع التصانيف التي تبحث عن العراق وتاريخه وبلدانه ورجاله من مطبوعة ومخطوطة من حديثة وقديمة من أي لسان كان. فإنك ترى فيها مؤلفات بالعربية والفارسية والتركية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية واللاتينية والانجليزية والألمانية والفلمنكية إلى غيرها مما تجهله، ولا جرم أن بين مخطوطاته مؤلفات لا نظير لها في خزائن أوروبة وديار الناطقين بالضاد»⁽²⁾.

كراتشكوفسكي وأنطون صالحاني

أثناء وجود كراتشكوفسكي عام 1908 م في جامعة القديس يوسف في بيروت، كان أنطون صالحاني⁽³⁾ يعمل على إنجاز الجزء الخامس من أشعار الأخطل، فساعده في قراءة تجارب طبع هذا الجزء، كما ساعده في عمل الفهارس، فيقول «وكان من الممتع لي تتبع كل نظام العمل الذي كان على درجة من الدقة. وساعدت الصالحاني في قراءة

(1) ص 43، مع المخطوطات العربية، وص 86، إضاءات على الاستشراق الروسي.

(2) ص 317، المجلد السابع، الجزء الرابع، مجلة (لغة العرب) التي يصدرها الأب أنستاس الكرمللي.

(3) الأب أنطون صالحاني (1847 – 1941 م)، باحث ومحقق وناقد وأستاذ في جامعة القديس يوسف في

بيروت.

تجارب الطبع بارتياح كبير وما يعود علي بالنفع الكبير. وقد صدر القسم الأول من الجزء الخامس في حزيران (يونيو) 1909. وبدأ العمل

على الفهارس الذي اشتركت فيه أيضاً. وعندما فارقت الصالحاني في صيف 1910 لم أكن أظن أن خروج هذا القسم الثاني سيؤجل إلى أعوام طويلة⁽¹⁾.

وفيما بعد كتب كراتشكوفسكي مقالاً عن «انعكاس ألحان الخمر في أشعار الأخطل من الناحية الثقافية والتاريخية والأسلوبية» عندما تلقى دعوة للمشاركة لكتابة مقالة لمجموعة المقالات الدولية تذكراً لجورج يعقوب⁽²⁾، وذكر في هذه المقالة اكتشاف مخطوط آخر للأخطل موجود في طهران⁽³⁾. وعندما صدرت هذه المقالات عام 1932 م أرسل أول نسخة من مقالته هذه إلى أنطون صالحاني، ورد عليه الصالحاني برسالة يطلب منه أن يرسل إليه بعض التفصيلات عن مخطوط طهران. وما لبثت جامعة القديس يوسف أن قامت بعمل المفاوضات مع مالك المخطوط في طهران لشرائه، فكان أن ارتحل المخطوط من طهران ليستقر في جامعة القديس يوسف في بيروت عام 1937 م، لينكب أنطون صالحاني، وقد بلغ من العمر تسعين عاماً، على دراسة هذا المخطوط دراسة تفصيلية⁽⁴⁾.

ويثمن كراتشكوفسكي مخطوط طهران بقوله «وقد ظهر أن مخطوط طهران هو أقدم المخطوطات المعروفة عن أشعار الأخطل وهو مؤرخ بالضبط في عام 1105 م، وهو بالمقارنة بباقي المخطوطات أكمل منها، وقد حوِّظ عليه بطريقة أحسن

(1) ص 217، مع المخطوطات العربية.

(2) جورج يعقوب (ياكوب) 1862 – 1937 م، مستشرق ألماني له كتب ودراسات في الأدب العربي الجاهلي.

(3) ص 218، مع المخطوطات العربية.

(4) ص 219، مع المخطوطات العربية.

منها»⁽¹⁾. كما أشار إلى وجود مخطوط في بغداد، وآخر في اليمن، ووصفهما بقوله «وكلاهما في الحقيقة ناقص ومعيب ويتألف من أوراق غير كاملة في تسلسلها لكنهما حملا كثيراً من التفسيرات والتوضيحات الجديدة»⁽²⁾.

كما أشار إلى وجود مخطوط لنقائض جرير والأخطل في استانبول⁽³⁾.

فيكتور روزن وأنطون صالحاني

روى لنا كراتشكوفسكي قصة التعاون بين العالم الروسي فيكتور روزن والعربي أنطون صالحاني⁽⁴⁾ لإخراج مخطوط ديوان الأخطل الأموي إلى النور، والذي طبع في بيروت في القرن التاسع عشر، والعمل المشترك بينهما على المخطوط الموجود في بطرسبورغ، ومقارنته مع نسخة المخطوط الموجودة في بيروت، وكيف تم إرسال صور شمسية من مخطوط بطرسبورغ إلى بيروت، في وقت لم تكن هذه الصور شائعة الاستخدام حينها. يقول كراتشكوفسكي «وهنا اقترح روزن حلاً للخروج من هذه المسألة، وبناء على ذلك أعدَّ الصالحاني طبعة المخطوط حسب نسخة حسون وأرسل مسودة الطبع إلى بطرسبورغ، حيث قام روزن بمقارنتها مقارنة كاملة مع أصل المخطوط، وأضاف إليها جميع الملاحظات والتعليقات التكميلية، وخرجت الطبعة بسرعة في بيروت وكان قد بدئ بطبعها عام 1891م، وبعد عام انتهى طبع أربعة أجزاء تضمنت كل مخطوطنا مع تعليقات تفصيلية دقيقة وبدأ العمل في إعداد الفهارس وتصحيح النص الإضافي وقد نشرهما الصالحاني كليهما في عام 1905 و1907م

(1) ص 219، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 216، مع المخطوطات العربية.

(3) ص 216، السابق، وقد طبعت نقائض جرير والأخطل بتحقيق أنطون صالحاني في بيروت عام 1922م.

(4) ص 220، مع المخطوطات العربية.

مستفيداً من خدمات الطباعة الفوتوغرافية... علماً أن روزن كان قد أمضى 25 عاماً في العمل على تحقيق مخطوط الأخطل الأموي»⁽¹⁾. ويتحدث عن جهود الصالحاني في تحقيق المخطوط، فيقول «في ذلك الوقت كان الصالحاني يُعَدُّ الجزء الخامس من طبعته للأخطل مع جميع الإضافات والتعليقات الخاصة بنقد النص بصفة رئيسية. وكبر حجم هذا الجزء إلى درجة أن رُئيَ تقسيمه إلى قسمين يخصص ثانيهما للفهارس. ويتحدث عن الجهود المضنية التي قام بها صالحاني في تتبع أشعار الأخطل والحصول على مخطوطاتها لطباعتها، فيقول» وفي عام 1914م سافر هذا الناشر الجدير إلى استانبول خصيصاً من أجل الدراسة المباشرة لديوان أشعار هجائية موجود هناك للأخطل ولمعاصره جرير... واستطاع الصالحاني في عام 1922م أن يخرج طبعة عن مجموعة ديوان استانبول»⁽²⁾.

كما كان لصلات كراتشكوفسكي مع رجال الفكر المهتمين بالمخطوطات والأدب العربي من العرب دوراً في إخراج بعض المخطوطات العربية إلى النور، ومن ذلك صلاته مع جورج زيدان (1861 – 1914م)، ودوره في تسهيل وصول كراتشكوفسكي إلى مكتبة الاسكندرية، والكشف عن جانب مما تحتويه هذه المكتبة، يقول كراتشكوفسكي «وكان زيدان القصاص والعالم الأديب قد أخبرني في القاهرة، بأن في مكتبة الاسكندرية جزءاً من مكتبة الخديوي إبراهيم باشا ابن محمد علي مؤسس العائلة الخديوية. وقد كان في رسالة زيدان إلى مكتبة الاسكندرية عوناً لي على أن تفتح لي أبوابها على مصرعيها»⁽³⁾.

(1) ص 216، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 217، مع المخطوطات العربية. ويقصد «نقائض جرير والأخطل».

(3) ص 46، مع المخطوطات العربية، وجورجي زيدان هو صاحب مجلة «الهلal» المعروفة وفيها نشر كتبه، ومن مؤلفاته «العرب قبل الإسلام»، «تاريخ التمدن الإسلامي»، «تاريخ مصر الحديث» وغيرها.

وتواصل مع حبيب الزيات (1872 – 1954م) الذي كان ينشر أبحاثه في مجلة «المشرق» التي كان يصدرها لويس شيخو في بيروت، وقد جمعت هذه الأبحاث التاريخية في كتابه «الخزانة الشرقية» وصدر عام 1937م. يقول «فقد أردت أن أعرف على حبيب الزيات الذي كان يعمل بتجارة الفواكه المجففة وتصديرها إلى جميع أنحاء العالم. ولكنه كان ينتهز كل دقيقة من أوقات فراغه لبحث في المخطوطات. وقد كان عالماً دقيقاً ذواقاً. وبكل هذه الموهبة التي أوتيها كان يختلس من المخطوطات القديمة صوراً منسية من الحياة تتصل بالثقافة العربية ثم يعمل على إحياها في مقالاته المتعددة التي طبعت فيما بعد»⁽¹⁾.

كما تواصل مع أمين الريحاني الذي كتب إلى كراتشكوفسكي بعد استلامه نسخة من طبعة كتاب (البديع) لابن المعتز، الذي حققه كراتشكوفسكي... وقد وصل الكتاب من لندن، ذلك الكتاب البديع بطبعه وشرحه وفهارسه ومقدمته الانجليزية (كتاب البديع) لابن المعتز. فحق لمؤلف الكتاب وإن كان في أعلى الفراديس، أن يعتز بما أغدقتم عليه من عملكم وحبكم وغيرتكم. أدامكم الله للعلم مصباحاً منيراً، وللعرب صديقاً نصيراً»⁽²⁾.

أما ميخائيل نعيمة «فيقول عن كراتشكوفسكي» وأما مؤلفاته، فكانت تحدثني عن طول باعه، وطول أناته، وإخلاصه لنفسه ولموضوعه، وعظيم محبته للغة العربية وآدابها. ولكم سألت نفسي عن العوامل الخفية التي تدفعنا إلى هذا العمل أو ذاك فتجعل رجلاً كالأستاذ كراتشكوفسكي يخرج عن نطاق بلاده بكل ما فيها من ميادين

(1) ص 46، السابق. من كتب حبيب الزيات المطبوعة «الوراقة والوراقون في الإسلام»، «الديارات النصرانية في الإسلام»، «المرأة في الجاهلية» وغيرها.

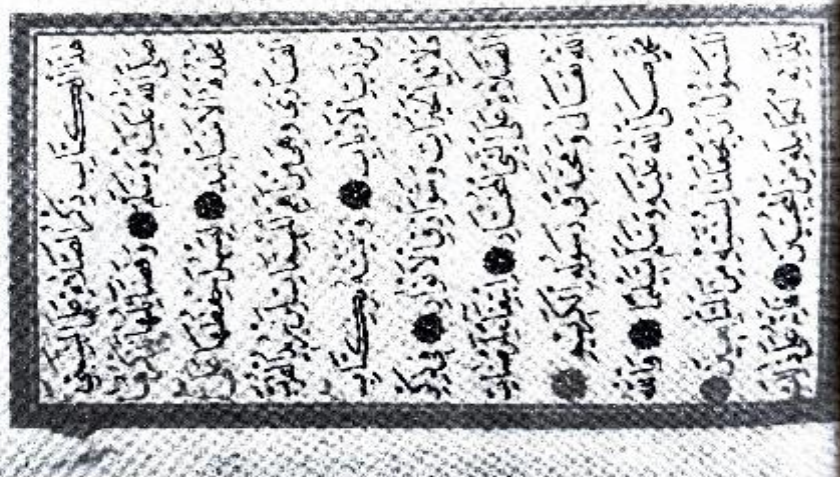
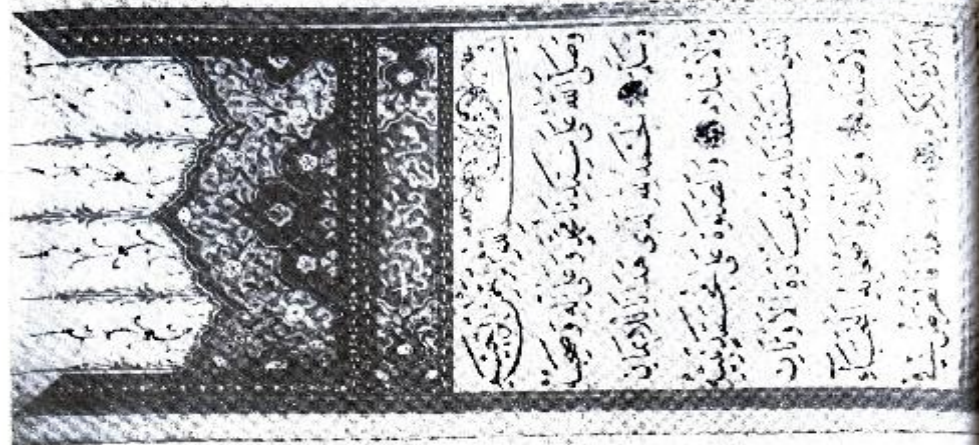
(2) ص 66، مع المخطوطات العربية.

واسعة للبحث والعمل وتحمله على درس لغة لا علاقة في الظاهر بينها وبين لغته، ثم تدفعه على تكريس حياته لتلك اللغة وآدابها وهو بعيد عن مواطنها. وقد كان بإمكان - لو هو شاء - وكان أقرب تناول عليه، أن يكرس حياته للغة بلاده وآدابها، لكنه لم يشأ ولم يفعل، وفي ذلك وحده درس وعبرة»⁽¹⁾.

وأخيراً، لا أجد أفضل من مقولة الأديب العربي المصري محمود تيمور التي عبر فيها عن شعوره تجاه المستعرب كراتشكوفسكي «وغمرني شعور لطيف فيه شيء من الزهو لوجود مثل هذا الصديق لنا معشر العرب في بلاد نائية قد وقف حياته على خدمة آدابنا وإعلاء كلمتنا فإن رجلاً قصر حياته على نشر ثقافتنا العربية في العالم الغربي وأوسع لنا الطريق لتتبوأ مكانتنا بين آداب الأمم العالمية لجدير بأن يحتل في قلوبنا أكبر مكانة»⁽²⁾.

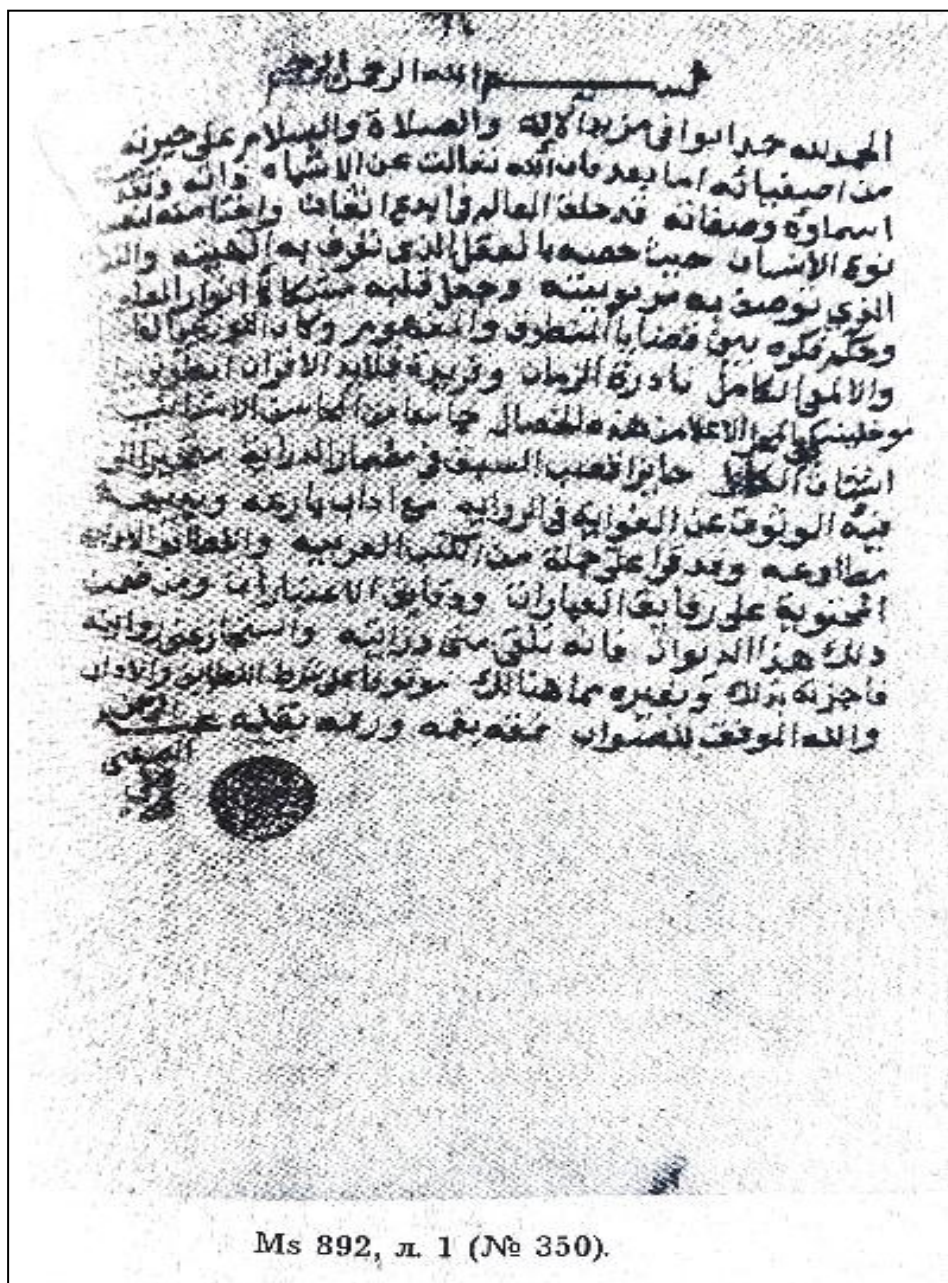
(1) ص 81، مع المخطوطات العربية.

(2) ص 74، مع المخطوطات العربية.



Ms 28, л. 75^v—76 (№ 338).

الصفحة الأولى من مخطوط «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار
في ذكر الصلاة على النبي المختار» لأبي عبد الله بن أبي بكر الجزولي



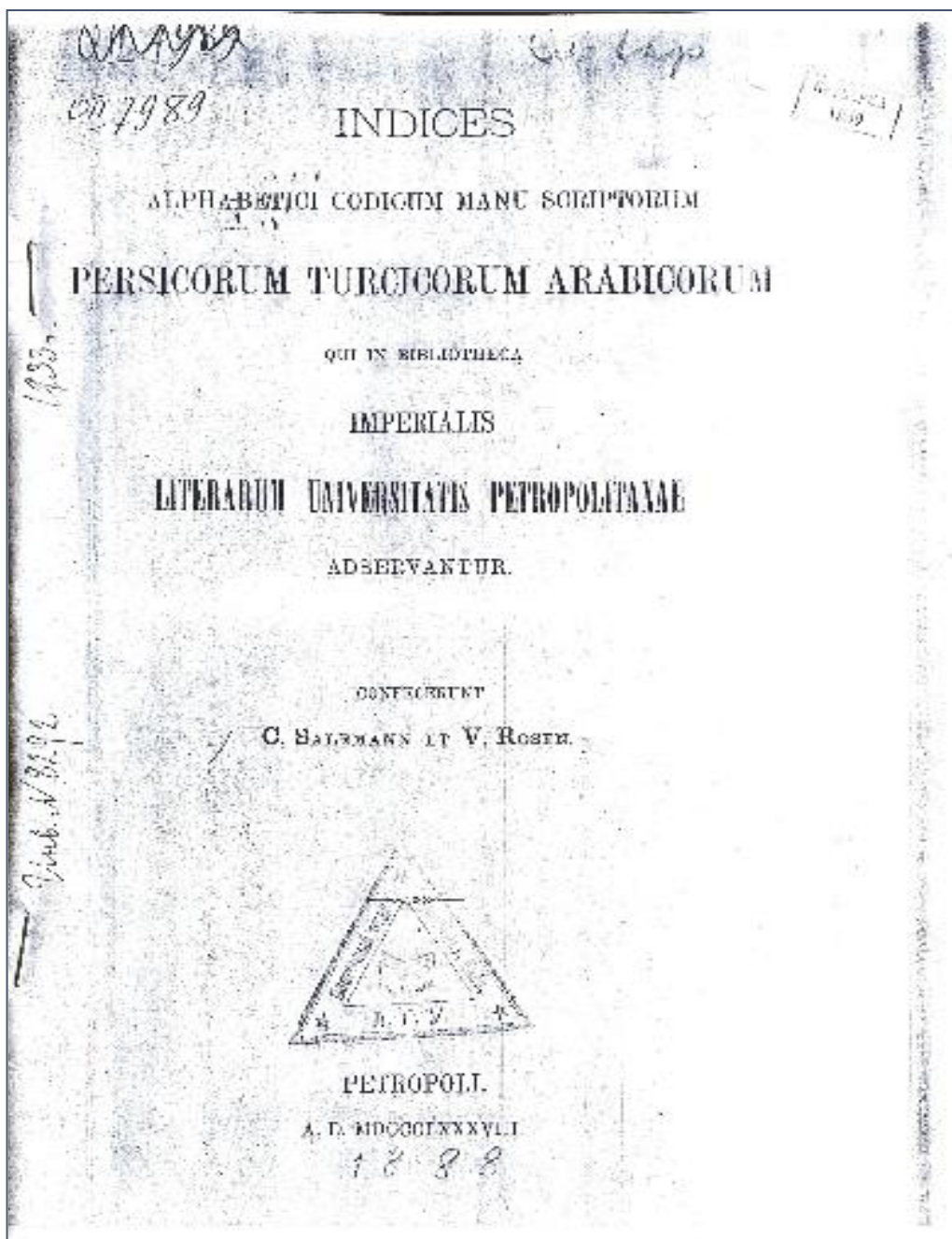
مقدمة مخطوط ديوان عبد الرحمن الصفتي
المحفوظ في خزانة مخطوطات جامعة سانت بطرسبورغ

بذا قضى الله للوقلام مذبرت ان السيوف لها ما ارهفت خيم
 وسميتها الاعتبار في الاسفار غير انها الى الان لم يبرز من صد
 الذهن درها ولم يجر على ذوق العقول حلوها حتى تتشرف منكم
 بكتاب او سؤال يسفر عن معجبه جمال او جلال
 فان رسول الله خاطب نملة وان اله العرش اوحى الى النمل
 وان تفضلتم بتبليغ السلام على من يلوذ بكم فخر اكرم على ركم
 تم هذا الديوان من خط مؤلفه في ١٢
 في اثنى عشر حلت من شهر رمضان سنة
 الف ومائتين وخمسين بعد الهجرة
 النبوية على صاحبها افضل
 الصلاة والسلام

٤٢

Ms 892, л. 71^v (№ 350).

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوط ديوان عبد الرحمن الصفطي
 المحفوظ بمكتبة جامعة بطرسبورغ



صورة غلاف فهرس المخطوطات العربية بجامعة بطرسبورغ
الذي قام المستعرب روزن بإعداده عام 1888م

المصادر والمراجع

- 1- إضاءات على الاستشراق الروسي، فاطمة العبدالفتاح، 2000م، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
- 2- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، الجزء السادس، ترجمة عبد الحلیم نجار ورمضان عبد التواب، طبعة دار المعارف، القاهرة، 1977 م، نسخة على الشبكة موقع المكتبة الوقفية.
- 3- لقاءات مباشرة مع عدد من المستعربين الروس في مدينة سانت بطرسبورغ بروسيا صيف عام 1998م.
- 4- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد السابع، الجزء الثالث، المجمع العربي، دمشق، 1345 هـ/ 1927 م.
- 5- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الثامن والخمسون، الجزء الثالث
- 6- مجلة (لغة العرب)، المجلد السابع، الجزء الرابع، 1929 م، موقع المكتبة الشاملة على الشبكة العنكبوتية.
- 7- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد السابع، الجزء الثالث، المجمع العربي، دمشق، 1345 هـ/ 1927 م.
- 8- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الثامن والخمسون، الجزء الثالث.
- 9- مجلة «مقدمة في الأدب العربي والاستشراق الروسي». جامعة النجاح الوطنية، نابلس، الطبعة الأولى 2015م. الشبكة العنكبوتية.

- 10- مع المخطوطات العربية، أغناطيوس كراتشكوفسكي، ترجمة د. محمد منير مرسى، طبعة عام 1969، دار النهضة العربية، مصر. صدرت الطبعة الأولى للكتاب باللغة الروسية عام 1943 م.
- 11- منتخبات من الأعمال الكاملة، كراتشكوفسكي، طبع في لينينغراد في ستة أجزاء بين عامي 1955 – 1960 م.
- 12- الموسوعة التاريخية للفاطمين، الجزء 8، الشبكة العنكبوتية.
- 13- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، نسخة على الشبكة العنكبوتية.

سعيد المقرري

عالمٌ تلمسان ومُفتيها وخطيبُ جامعها

عبد الحليم بن ثابت

باحث في التراث المغاربي الأندلسي وأستاذ الحديث وعلومه
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة الجزائر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنّه لا يخفى على كل لبيب وحصيف مكانة العلماء في نهضة الأمم والشعوب
والمجتمعات وقيام الأسر والدول والحضارات، فهم سادة الناس وقادتهم الأجلاء،
ومنارات الأرض، وورثة الأنبياء والرسل، وهم سبيل الهدى والخير والرشاد، فبهم
تزدهر وترقى الدول وتزهو الشعوب، وهم العمود الفقري في عملية التنشئة والتربية
والتكوين، وهم الأب الروحي للتلاميذ، والقُدوة المؤثرة فيهم، وهم الحياة الجديدة
التي ملؤها البحث والتفتيش والتنقيب والتطوير والحق بمصاف الشعوب الراقية

والأمم المتحضرة، فبهم تُضيء المصابيح الخافتة، وتُثرى الدواوين والمؤسسات العلمية والحواضر التعليمية والمدارس الجامعية والكتاتيب والزوايا القرآنية، وهم الذين يصلون بالطلاب والمتعلمين للتخرج والتفوق من طين الغباء والجهل إلى أعلى مراكز المعرفة والتقدم والرقى، والله در القائل حين قال:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَثَالِ أَكْفَاءُ	أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرْوَاحٌ مُشَاكِلَةٌ	وَأَعْظَمُ خُلِقَتْ فِيهَا وَأَعْضَاءُ
وَأِنَّمَا أُمَّهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ	مُسْتَوْدَعَاتٌ وَلِلْأَحْسَابِ آبَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ شَرَفٌ	يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ	عَلَى الْهُدَى لَمِنْ إِسْتَهْدَى أَدِلَاءُ

في هذه الإطلالة نود أن ننفض الغبار، لنشرق الأنوار، فنزف الأزهار، ونقطف الثمار اليانعة، بترجمة وتعريفٍ بعالمٍ مَقْرِي تلمساني مالكي مغاربي، لم ينل العناية الكافية والشفافية ولم تخطه الأقلام الراقية ولم يحظ بالتعريف والبيان من أفئدة الباحثين الرَّابية وكتابات المعاصرين وتجليات المؤرخين السابقة والتالية، اللهم إلا النزر اليسير والقدر المختصر القليل؛

إنَّ العلامة، الإمام، النظار، الموسوعي، المحدث، المُسند، مُفتي الأنام، وشيخ الإسلام، والخطيب، واللغوي النحرير، وعالم المنقولات، والمعقولات، أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرري، إمام تلمسان، ومُفتيها، وخطيب جامعها لعقود من الزمن.

ورجاؤنا من هذه الورقة إبرازُه، والتعريف به، والتَّعرف عليه، وإظهار مكانته العلمية والعملية، وذكر نزرٍ من جهوده، وبيان حاله؛ من ولادته لنشأته لمؤلفاته ومروياته ووظائفه إلى وفاته.

وقد بدأته بتمهيد لطيف ثم ذكرتُ تعريفًا به بعيون تاريخية وأنهيته بذكر مولده إلى وفاته، ثم اختتمتُ هذه الورقة الاستكتابية بذكر المصادر والمراجع التي رجعتُ إليها.

تمهيد:

اشتهر البيت المَقْرِي وعُرف في أواخر القرن السادس الهجري حين استقرت الأسرة بتلمسان وانتقلت إليها بعدما اتخذها الأسلاف قرارًا وقبلها كانت لهم مزارًا، فرحل إليها أول ما رحل عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرّي هو وصاحبه الشيخ أبو مدين شعيب⁽¹⁾، فيها ولد مُترجمنا سعيد المقرّي مُلحق الأحفاد بالأجداد⁽²⁾، وفيها درج ونشأ وبها حفظ القرآن الكريم وتأدب وأخذ علمه عن مشايخها المشهورين ثم سافر إلى فاس وغيرها من البلاد المغاربية فأخذ علوم اللغة، والشعر، والأدب، والحكم، والأمثال، والتاريخ، وأخبار الناس، ومذاهبهم، وأيام العرب، وسيرهم، وحرورهم، والتصوف، ومذاهبه، ناهيك عن الفقه، والأصول، والحديث وعلومه، والإجازات، والأسانيد العالية، والعقائد، والتوحيد، وغيرها من العلوم والفهوم، بل تعداها إلى التضلع والتمكن من العلوم العقلية كلّها، حسابًا، ومنطقًا، وفرائض، وهندسة، وطبًا، وتشريحًا، وتنجيماً، وفلاحةً، وفي أمور البناء، وكثيرًا من العلوم القديمة والحديثة، فكان جماعاً للعلوم بين المنقول منها والمعقول، وبين علمي الحقيقة والشرعية، فهذا ما صدره وجعله الرجل العلمي الأول في زمانه ومكانه؛ في حاضرة تلمسان وما حواليتها من البلدان، وهو ما أهله للإفتاء بها والخطابة بجامعها والتدريس بها وبالبلاد المجاورة لها.

(1) ينظر: «نفح الطيب» (5/ 203-204).

(2) ينظر: «نفح الطيب» (2/ 574)، و«تاج العروس» (14/ 147).

أولاً: سعيد المقرئ بعيون تاريخية.

قال المؤرخ أبو القاسم سعد الله: «كان سعيد المقرئ مُدرِّساً بالجامع الكبير بتلمسان التي قُلْنَا إِنَّهَا فَقَدَتْ خِلالَ العَهْدِ العُثماني نشاطها السياسي والثقافي الذي كان لها خِلالَ العَهْدِ الزياني. فكانت على عَهْدِ سعيد المقرئ مدينةً مهزومةً سياسياً وضحلة ثقافياً، ولذلك هاجر عددٌ من علمائها إلى المشرق والمغرب، وظلت هي تهزُّها الفتن الداخلية، ولا سيما صراع الحضر فيها ضد سلطة الدولة العثمانية. فإذا وجدنا عالماً من أسرة تلمسانية عريقة، مثل أسرة المقرئ، يظل مُفتياً ومُدرِّساً في تلمسان على ذلك العهد أكثر من خمسة وأربعين سنة، فإنَّ العالم يُعتبر بحقٍّ من النوادر... وُلِدَ عشية سقوط الحكم الزياني وبداية الحكم العثماني في تلمسان، وقد فتح عينيه فوجد المدينة التاريخية قد نضِبَ مَعِينُهَا العلمي ورحل مُعْظَمُ عُلَمَائِهَا إلى فاس وغيرها»⁽¹⁾.

ثم قال: «...تولى الفتوى في تلمسان حوالي سنة 966هـ... ولا شك أنَّ تعيين المقرئ في وظيفة الفتوى والتدريس يُعتبر في حدِّ ذاته انتصاراً للحُكم العثماني في الجزائر. فالرجل كان من أسرةٍ عليمَةٍ معروفةٍ وكان قد عاد من بلدٍ مُجاوِرٍ لم يكن حُكَّامُهُ بالضرورة أصدقاءً للحُكام العثمانيين. وكانت قيمة سعيد المقرئ العلمية والاجتماعية هي التي رشحته لتولي هذه الوظيفة الخطيرة»⁽²⁾.

ثم ختم ترجمته بقوله: «...وهكذا أخرج سعيد المقرئ خِلالَ الفترة الطويلة التي بقيها في التدريس مجموعة من التلاميذ الذين أصبحوا بدورهم أساتذة ومُؤلفين

(1) ينظر: «تاريخ الجزائر الثقافي» (1/ 376 رقم: 3).

(2) ينظر: «تاريخ الجزائر الثقافي» (1/ 377 رقم: 3).

وَمُتَصَرِّفِينَ وَمُؤَظَّفِينَ، وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى فَقَرِ الْجَزَائِرِ الثَّقَافِيِّ خِلَالِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ نَتِيجَةُ هِجْرَةِ الْعُلَمَاءِ مِنْهَا وَغَارَاتِ الْأَجَانِبِ عَلَيْهَا وَعَدَمِ الْإِسْتِقْرَارِ السِّيَاسِيِّ فِيهَا، فَإِنَّ وُجُودَ أَمْثَالِ سَعِيدِ الْمُقَرِّي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُعْتَبَرُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ ظَاهِرَةً إِيْجَابِيَّةً⁽¹⁾.

ثَانِيَا: اسْمُهُ وَنَسَبُهُ وَكُنْيَتُهُ.

أَجْمَعَ كُلُّ مَنْ تَرَجَّمَ لِلْإِمَامِ الْمُقَرِّي أَنَّ اسْمَهُ سَعِيدٌ⁽²⁾:

-
- (1) ينظر: «تاريخ الجزائر الثقافي» (1/ 379 رقم: 3).
- (2) ينظر في ترجمته إلى: «البيستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان»، لابن مريم المديوني، (217-219)، و«درة الحجال في غرة أسماء الرجال»، (3/ 300-301 رقم: 1384)، و«جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس»، (531 رقم: 600)، كلاهما لابن القاضي المكناسي، و«كتاب التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر»، لمحمد بن الطيب القادري، (35 رقم: 44)، و«نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني»، للقادري، (1/ 82)؛ نقل ترجمته هذا الأخير من ابن القاضي في كتابه «جذوة الاقتباس»، و«صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر»، للصغير الإفرائي، (101-102 رقم: 32)، و«طبقات الحُصَيكي»، لمحمد بن أحمد الحُصَيكي، (2/ 571-572 رقم: 743)، و«تاج العروس»، للزبيدي، (14/ 147)، و«اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب أهل المدينة»، لمحمد البشير ظافر الأزهرى، (161)، نقل الأخير ترجمته من الصغير الإفرائي في كتابه «الصفوة»، ومحمد بن أبي شنب في *De la transmission du Recueil des traditions de Bokhary aux habitants d'Alger*; (99 N° 9) و«شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»، لمحمد مخلوف، (1/ 427 رقم: 1155)، و«تعريف الخلف برجال السلف»، لمحمد الحفناوي، (2/ 157-171 رقم: 174) وفيه خلط عجيب بين المترجم له وجد صاحب كتاب «نفع الطيب» محمد بن محمد بن أحمد المقرئ، و«باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، للحاج محمد بن رمضان شاوش»، (519-521)، و«معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض، (485)، و«أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة»، ليحيى بوعزيز، (2/ 165-166)، ومحقق كتاب «التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية» (71 رقم: 8)، و«تاريخ الجزائر الثقافي»، لأبي القاسم سعد الله، (1/ 376-379 رقم: 3)، و«عقد الألباس في بيوتات علماء تلمسان في فاس»، لمحمد بن عزوز، (434-439).

وهو: سعيد بن أحمد⁽¹⁾ بن أبي يحيى⁽²⁾ بن عبد الرحمن بن بلعش⁽³⁾ المقرئ، فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها، وخطيبها بالجامع الأعظم خمسا وأربعين سنة، وهو حفيد حفيدة⁽⁴⁾ سيدي محمد ابن مرزوق أبو لحيتين⁽⁵⁾.

هكذا سمّاه تلميذه ابن مريم المديوني في «البستان»، وكذا تلميذه ابن القاضي المكناسي في «درة الحجال» وزاد الأخير في نسبته؛ القرشي، وتبعهم معظم المترجمين له. إلا أنه وقع خلْفٌ في تسمية والده فمنهم من ضبطه بأحمد وهم: تلميذه ابن مريم في «البستان»⁽⁶⁾، وتلميذه ابن القاضي المكناسي في «درة الحجال»⁽⁷⁾، وابن أخيه

(1) زاد الزبيدي بعد أحمد: بن محمد، وذكره بهذا الاسم أيضا -أبو عثمان سعيد بن أحمد بن محمد بن يحيى التلمساني المقرئ- في ترجمة شيخه أبي العباس أحمد بن حجي الوهراني (386/14)، وأظنه وهم منه، والله أعلم.

(2) ضبطها صاحب «اليواقيت الثمينة» في ترجمة ابن أخيه أبي العباس المقرئ (29) بقوله: بن يحيى، وتبعه معظم المترجمين لأبي العباس.

(3) ضبطها صاحب «اليواقيت الثمينة» (29) في ترجمة ابن أخيه أبي العباس أحمد بن محمد المقرئ بقوله: بن أبي العيش، -وزاد بعدها: بن محمد-، وتبعه في ذلك معظم المترجمين لأبي العباس.

(4) قال أبو العباس المقرئ «نفع الطيب» بعد ترجمته للجد ابن مرزوق (419/5): (...): قلت: كان مُرادِي أن أعرف بجمعهم، ولكنني خشيت الطول، فلنلم بذكر الحفيد عالم الدنيا، وابنه العلامة المشهور بالكيف، لأنّه -أعني الكيف- والد أمّ جدي أحمد، لأنّي أحمد بن محمد بن أحمد، فوالدة الجد أحمد بنت الكيف المذكور، وقال أيضا في «أزهار الرياض» (4/341-342): (وبنو مرزوق هؤلاء لهم رئاسة في العلم بتلمسان، توارثوها، ولولا الخروج إلى الطول المفرط لذكرتُ بعض مآثرهم، على أنّها أشهر من نارٍ على علم، ولهم على جدنا أحمد ولادة، فإنّ أمّ جدي أحمد المذكور، بنتُ الفقيه العلامة، سيدي محمد بن مرزوق، المعروف بالكيف).

(5) ابن مرزوق الحفيد هو محمد بن أحمد، أبو لحيتين وأبو عبد الله وأبو الفضل؛ وهو أشهر من نار على علم ولد بتلمسان سنة 766هـ وتوفي بها سنة 842هـ، ينظر في ترجمته مقدمة تحقيقنا لكتابه «نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين» (15-54).

(6) (217).

(7) (300/3 رقم: 1384)، وكذا في «روضة الآس» (267) في رسالة له يستدعيه بالإجازة.

وتلميذه أحمد بن محمد المقرئ⁽¹⁾، والصغير الإفرائي⁽²⁾، والحضيكى⁽³⁾، والزبيدي⁽⁴⁾،
ومحمد البشير ظافر الأزهرى⁽⁵⁾، ومحمد بن أبي شنب⁽⁶⁾، ومحمد مخلوف⁽⁷⁾،
والحنفاوي⁽⁸⁾، والحاج محمد بن رمضان شاوش⁽⁹⁾، وعادل نويهض⁽¹⁰⁾، ويحيى
بوعزيز⁽¹¹⁾، ومحمد بن عبد الكريم⁽¹²⁾، وغيرهم.

ومنهم مَنْ ضبطه بمحمد وهم: تلميذه ابن القاضي المكناسي في «جذوة
الاعتباس»⁽¹³⁾، وتبعه في ذلك القادري في كتابيه «التقاط الدرر»⁽¹⁴⁾، و«نشر المثنائي»⁽¹⁵⁾.

والقول الأول هو الأصح والأرجح والصحيح لنصّ ظفرتُ به في كتاب «مطلب
الفوز والفلاح» في ردِّ صاحب الترجمة على رسالة وصلته من تلميذه أحمد بن ونيس
قال فيها: «... وكتب مُحَبِّكُم طَالِبُ صَالِحِ دَعَائِكُم عُبَيْدُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ

(1) في مواضع من «نفح الطيب» من ذلك مثلاً: (2/ 574 و 701) و (5/ 275) و (7/ 335)، وفي «روضة
الأس»، (266)، وفي «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض»، (2/ 309) و (3/ 308).

(2) صفوة من انتشار، (101 رقم: 32).

(3) طبقات الحضيكى، (2/ 571 رقم: 743).

(4) (14/ 147).

(5) «اليواقيت الثمينة»، (161).

De la transmission du Recueil des traditions de Bokhary aux habitants
d'Alger; (99 N° 9).

(7) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، (1/ 427 رقم: 1155).

(8) تعريف الخلف برجال السلف، (2/ 157 رقم: 174).

(9) باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، (519).

(10) معجم أعلام الجزائر، (485).

(11) أعلام الفكر والثقافة، (2/ 165).

(12) في مقدمة تحقيقه لكتاب «التحفة المرضية في الدولة البكداشية» (71 رقم: 8).

(13) جذوة المقتبس (531 رقم: 600)، وعنه نقلها القادري في «نشر المثنائي» (1/ 82).

(14) (35 رقم: 44).

(15) (1/ 82).

أحمد المقرئ، تاب الله عليه»⁽¹⁾، ولقول ابن أخيه أبي العباس المقرئ عن نفسه أنَّ جده اسمه أحمد⁽²⁾، وكذا لقول تلميذه ابن مريم: «... سمعت هذا من فم سيدي سعيد»⁽³⁾، والعجب من ابن القاضي المكناسي كيف يضبطه في كتابه «درة الحجال» بـ: أحمد وفي كتابه الآخر «جذوة الاقتباس»⁽⁴⁾ بـ: محمد، ولعل هذا من عمل النساخ أو المحققين؛ بل يتأكد ضبطه بتسميته: «محمد» لنقل القادري في كتابه «نشر المثاني» بالنقل عن «الجذوة»، والله أعلم.

وأجمعوا على تكنيته بأبي عثمان، المقرئ أو المقرئ نسبة إلى مقرة⁽⁵⁾،

(1) (132).

(2) قال في «نفع الطيب» (419/5): (... لأنني أحمد بن محمد بن أحمد، فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف المذكور).

(3) (218).

(4) رجعت لطبعة أخرى من «الجذوة» صدرت عن دار المنصور بالرباط (2/519 رقم: 602) فوجدتها بنفس الاسم: سعيد بن محمد المقرئ.

ويزداد عجبي تسميته له في رسالة يستدعيه بالإجازة ذكرها أحمد بن محمد المقرئ في «روضة الآس» (267) بقوله: (... السيد الكامل أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرئ القرشي).

(5) ومقرة هي: (مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بني حماد، بينها وبين طُبْنَة ثمانية فراسخ، وكان بها مسلحة للسلطان ضابطة للطريق، يُنسب إليها عبد الله بن محمد بن الحسن المقرئ، ذكره السلفي في تعاليقه)؛ وبه قال الحموي في «معجم البلدان» (5/175)، وقال ابن القاضي في «درة الحجال» (3/301): (مدينة بين الزَّاب والقيروان)، والزَّاب: (سلسلة جبال في الجزائر بالأطلس بين جبال أولاد نايل والأوراس، وبها واحات خصبة، من مُدنها المسيلة ونقاوس وطُبْنَة ويسكرة وتهودة وغيرها، وأقرب ما لقلعة حماد من بلاد الزَّاب المسيلة، وبين الزَّاب والقيروان عشر مراحل). ينظر «الروض المعطار» للحميري (281).

ومقرة الآن تقع جنوب الجزائر العاصمة وتبعد عنها بحوالي 300 كلم، وهي بلدية تابعة للإقليم الإداري لولاية المسيلة.

وقد وقع خلاف في ضبط نسبه «المقرئ»: فرجح ابن القاضي في «درة الحجال» (3/301) وفي «جذوة المقتبس» (531) بأنَّها: بفتح الميم وتشديد القاف، مَقْرَة، وبه قال قبله الثعالبي في كتابه «العلوم الفاخرة» وأبو العباس الونشريسي في بعض «فوائده» وبعدهم الحُضَيْكِي في «طبقاته» والزركلي وإسماعيل البغدادي وغيرهم، بينما ذهب الحموي في «معجم البلدان» وابن الأحمر في «فهرسته» وابن مرزوق =

= الحفيد وزروق البرنسي الفاسي وغيرهم إلى ضبطها: بفتح الميم وسكون القاف؛ مَقْرَة. ينظر في ذلك: «البيستان» (296 و 297)، و«نيل الابتهاج» (420)، و«نفح الطيب» (280 / 5)، و«شذرات الذهب» (333 / 8)، و«خلاصة الأثر» (311 / 1)، و«سلافة العصر» (599)، و«تاج العروس» (14 / 146-147)، و«الأعلام» (237 / 1) و(37 / 7)، و«هدية العارفين» (157 / 1)، وغيرها.
يُعطينا أبو العباس المَقْرِي في «نفح الطيب» (204-205 / 5) خلاصة القول في هذه المسألة فيقول: (...وقد أَلَّفَ عالمُ الدنيا ابن مرزوق تأليفًا استوفى فيه التعريف بمولاي الجد سَمَاءَ «النور البدري في التعريف بالفقيه المَقْرِي» وهذا بناءٌ منه على مذهبه أَنَّهُ -بفتح الميم وسكون القاف- كما صرح بذلك في «شرح الألفية» عند قوله:

ووضعوا البعض الأجناس علم

وضبطه غيرهم وهم الأكثرون -بفتح الميم وتشديد القاف-، وعلى ذلك عَوَّلَ أكثر المتأخرين، وهما لُغَتَانِ في البلدة التي نُسِبَ إليها، وهي مقرة مِن قُرَى زاب إفريقية، وانتقل منها جده إلى تلمسان صُحبة شيخه ولي الله سيدي أبي مدين رضي الله عنه).

(1) وقد نسبته إلى قُرَيْش ابن القاضي المكناسي عند استدعائه بالإجازة لشيخه كما في «روضة الآس» (267) و(269)، وفي كتابيه «درة الحجال»، (300 / 3 رقم: 1384)، و«جذوة الاقتباس»، (531 رقم: 600)، وتبعه القَادِرِي في كتابه «نشر المثنائي» (82 / 1)، والرُّودَانِي في «فهرسته الصغرى» مطبوع ضمن كتاب: «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثة» (59)، والزبيدي في «تاج العروس» (14 / 147)، وغيرهم.
ذكر هذه المسألة أبو العباس المَقْرِي في ترجمة الجد المَقْرِي محمد بن محمد بن أحمد وبينها أحسن بيان فقال في «نفح الطيب» (204 / 5): (هل المَقْرِي الجد قُرْشِي؟
وكتب بعض المغاربة على هامش هذا المحل مِن «الإحاطة» ما صورته: الْقُرْشِي وَهَمْ؛ انتهى.
فكتب تحته الشيخ الإمام أبو الفضل ابن الإمام التلمساني رحمه الله تعالى على ما نصه: بل صحيح، نطقت به الألسن والمكاتبات والإجازات وأعربت عنه الخلال الكريمة، إلا أَنَّ البلدية يا سيدي أبا عبد الله والمنافسة تجعل الْقُرْشِيَّة في إمام المغرب أبي عبد الله المَقْرِي وهماً، والحمد لله؛ انتهى.
قلت: وممن صرح بالْقُرْشِيَّة في حَقِّ الجد المذكور ابن خلدون في «تاريخه» وابن الأحمر في «نثير الجمان» وفي «شرح البردة» عند قوله:

لَعَلَّ رحمة ربي حين ينشرها

والشيخ ابن غازي، والولي الصالح سيدي أحمد زروق، والشيخ علامة زمانه سيدي أحمد الونشريسي، وغير واحد، وكفى بلسان الدِّين شاهداً مُزَكِّي، وينظر أيضاً: «نشر المثنائي» (292 / 1).

(2) تلمسان: قاعدة المغرب الأوسط، وحدُّ المغرب الأوسط مِن وادٍ يُسمى مجمع، وهو في نصف الطريق من مدينة ملبانية إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، وبلاد المغرب في الطول والعرض مِن البحر الذي على ساحله مدينة وهران ومليلة وغيرهما إلى مدينة سول، وهي مدينة في أوَّل الصحراء، وهي =

ثالثاً: مولده ونشأته وأسرته.

لم تذكر المصادر التي بين أيدينا متى ولد مُترجمنا بالضبط، وإنما ذكرت أقوالاً نجملها فيما يلي:

الأول: على ما ذكره تلميذه ابن مريم في «بستانه» الذي قال: (...سمعت هذا من فم سيدي سعيد، ومنه سمعت أنه ولد في حدود ثمانية وعشرين وتسعمائة)⁽¹⁾، أي تقريباً حوالي سنة 928هـ (1522م)، وتبعه سعد الله في «تاريخ الجزائر الثقافي»، وزاد: (أي: عشية سقوط الحكم الزياني وبداية الحكم العثماني في تلمسان)⁽²⁾.

الثاني: وذهب الصغير الإفرائي إلى أن مولده قبل ثلاثين وتسعمائة (قبل 930هـ)⁽³⁾، والحُصَيكي⁽⁴⁾، ومحمد مخلوف⁽⁵⁾، والحفناوي⁽⁶⁾، ومحمد بن عبد الكريم⁽⁷⁾.

= على الطريق إلى سجلماسة وواركلان وغيرهما من بلاد الصحراء. وهي مدينة عظيمة قديمة، فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأُمم سالفه، وبينها وبين وهران مرحلتان. وكانت دار مملكة زناتة في هذه العُصُور القريبة، وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر. وهي كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم، ولها فُرى كثيرة وعمائر مُتصلة ومُدن كثيرة ترجع إلى نظرها. ولها خمسة أبواب. ولها سور مُتقن الوثاقفة، وهي مدينتان في واحدة. وهي أول بلاد المغرب على طريق الداخل والخارج منه ولا بُد من الاجتياز عليها على كل حال. ولم تزل تلمسان داراً للعلماء والمحدثين وأهل الرأي على مذهب مالك... ينظر: «الروض المعطار» للحميري (135-136)، وللاستزادة في الموضوع يرجع إلى «نفح الطيب» وتعريفه بها في (7/ 133-136).

(1) (218).

(2) (1/ 376 رقم: 1)، وجزم بهذا التاريخ يحيى بوعزيز في «أعلام الفكر والثقافة» (2/ 165).

(3) في «صفوة من انتشار»، (102 رقم: 32)، ومثله في «اليواقيت الثمينة»، لمحمد البشير الأزهرى، (161).

(4) في «الطبقات»، (2/ 572 رقم: 743).

(5) في «شجرة النور الزكية»، (1/ 427 رقم: 1155).

(6) في «تعريف الخلف»، (2/ 158 رقم: 174).

(7) في مقدمة تحقيقه لكتاب «التحفة المرضية في الدولة البكداشية» (71 رقم: 8).

الثالث: بينما ذهب تلميذه ابن القاضي المكناسي إلا أن مولده بعد الثلاثين والتسعمائة (بعد 930هـ)⁽¹⁾.

وهذه الأقوال ليست مُتفاوتة إلا أن الأول والثاني منها هما الأقرب في ولادته، وأما مكان ولادته فبتلمسان على ما ذكره ابن أخيه وتلميذه أبو العباس المقرئ فقال: «...وبها ولدت أنا، وأبي، وجدي، وجد جدي»⁽²⁾.

وأما عن نشأته وإن كانت غامضةً جداً بسبب قلة مُترجميه وقلة المعرفين بأحواله وحياته التفصيلية إلا أن الأمر المؤكد في ذلك أنه نشأ وترعرع في بيئة علمية ورث العلم أباً عن جدٍّ وكابراً عن صاغِرٍ، فقد ذكر عن نفسه أن أمّه حملته وأخذته للسمع والتلقين والضيافة عن شيخه أحمد حجّي الوهراني وهو في صباه في تلمسان بموضع يُقال له أجادير: «...وكنْتُ إذ ذاك صغيراً، فحملتني أمي إليه ومَعها حَبّة مِن تمرٍ وإناء مِن ماءٍ لِيُطَيِّقَنِي عليها، فأَصَافَنِي وَلَقَّنَنِي ما ذُكِرَ، وكانت الأمّهاتُ حينئذٍ راغباتٌ في الخير وأهله»⁽³⁾.

وأما عن أسرته فبما أسلفت ذكره في مُقدمة هذه الورقات وفي نشأته فمصادر ترجمة سعيد المقرئ شحيحة وشحيحة جداً ولم تعطنا نشأته وحياته بالتفصيل ومنها رحلاته وبداية طلبه للعلم وسنة وفاته ومكانها وكذا حياته الاجتماعية وغيرها، إلا أننا من خلال ما ذُكر في ترجمته، ومن خلال ترجمة ابن أخيه أبي العباس المقرئ، وغيرهما يُمكن أن نستشف أموراً:

-
- (1) في «درة الحجال»، (3/ 301 رقم: 1384)، و«جدوة الاقتباس»، (531 رقم: 600).
(2) ينظر: «نفح الطيب»، (7/ 136)، و«معجم أعلام الجزائر»، (485)، وينظر أيضاً: «أعلام الفكر والثقافة»، (2/ 165)، و«تاريخ الجزائر الثقافي» (1/ 376 رقم: 3).
(3) ينظر: «فهرسة الرُوداني الصغرى» مطبوع ضمن كتاب: «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية» (60).

1- جده الأكبر: أو المقرئ الجد: محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقرئ التلمساني: يُكنى أبا عبد الله، قاضي الجماعة بفاس، الإمام، العلامة، المحقق، القدوة، الفهامة، الفقيه، الأصولي، الحجة، النظار، المتحلي بالوقار، أحد محققي المذهب الثقات وأكابر فحول الأثبات، العُمد، المتفنن في العلوم، الحامل لواء المنشور والمنظوم. حجّ ولقي أعلاماً وأخذ عنهم، كأبي عبد الله البلوي، وابني الإمام، وعمران المشدالي، وأبو محمد المجاصي، والقاضي الشريف السبتي، وخلق. وعنه جماعة منهم: الإمام الشاطبي، ولسان الدين ابن الخطيب، وابن خلدون، وابن عباد، وابن علاق، وابن زَمْرَك، وابن جُزَي، وغيرهم. له عدة تأليف منها: «القواعد»، و«حاشية» على مختصر ابن الحاجب الفرعي، و«عمل مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ»، و«الحقائق والرقائق» في التصوف، و«الطُّرف والتُّحف»، و«المحاضرات» وغير ذلك.

توفي بفاس وحُمل ودفن بتلمسان سنة 759هـ [1359م]، وقيل غيرها⁽¹⁾.

2- والده: أحمد بن أبي يحيى المقرئ: وهو الذي والدته ابنة الكفيف ابن مرزوق⁽²⁾، ومن هنا تلتقي أسرة المرازقة مع أسرة المقارّة بالنسب والقرابة⁽³⁾.

(1) «نفع الطيب» (5/ 203-350)، و«البستان» (295-311)، و«شجرة النور الزكية» (1/ 334 رقم: 860)، و«معجم أعلام الجزائر» (485-486).

(2) قال في «نفع الطيب» (5/ 419): (... لَأَنِّي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ، فَوَالِدَةُ الْجَدِّ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْكَفِيفِ الْمَذْكُورِ)، وقد ذكره في شيوخه عادل نويهض في «معجم أعلام الجزائر» (485).

(3) وإن كان الخطيب ابن مرزوق ذكر في كتابه «المناقب المرزوقية» (301) ما يُفيد غير ما أثبتته، قال: (وكانت الرّحلة الأولى سنة أربع وعشرين في شهر ربيع الأول في ركب... ومن أهل تلمسان... وابنُ يحيى أبو بكر بن عبد الواحد المقرئ، صهري)، وإن كنتُ أستبعد أن يكون المقرئ فلعله المقرئ، لأنني لم أعثر في عائلة المقرئ واحداً من الأجداد اسمه عبد الواحد، والله أعلم.

3- ابنه: «محمد» أو «محمد العربي»؛ بن سعيد المقرّي المدعو بالفقيه: ورد نص ذكره محمد بن سليمان الصائم الجازولي في «كعبة الطائفين» ومن خلاله عرفنا أنّ سعيدا المقرّي قد تزوج وخلف من بعده ذرية، وهو: «...الفقيه، والمحدث، الوجه، سيدي محمد المدعو «الفقيه»، صافحني، وشابكني، وناولني الشُّبحة، ولقّني بالذكر، كما صافحه، وشابكه، وناوله والده الشيخ المعهود للذكرى، أبو الفرج⁽¹⁾ سيدي سعيد بن أحمد المقرّي. ووصف المؤلف والده هذا بأنّه: شيخ الشيوخ، وحُجة الإسلام: ومُفتي الأنام، ونقل أيضا من خط يده⁽²⁾، وورد ما يؤكد هذا في «تحفة الجدار» وهو: «...فهذا قبر الفقيه، السيد، العالم، العلامة، المحدث، السيد محمد العربي نجل الولي، الصالح، البركة، شيخ الإسلام، ومُفتي الأنام، العالم، العلامة، الحسيب، الأصيل، النحوي، الفرضي، المدرس، فريد عصره، المرحوم بكرم الله عز وجل سيدي سعيد المقرّي أفاض الله علينا من بركاته، وكان يوم وفاته رحمه الله أوائل شوال مُنسلخ عام أربعة وتسعين وألف»⁽³⁾.

4- ابنه الآخر: أبو العباس أحمد بن سعيد المقرّي: من خلال نصّ ورد في إجازة ذكرها الرُّوداني في «فهرسته الصغرى» حيث قال: «...أبي عثمان سيدي سعيد بن أحمد المقرّي القرشي... وبحضرة ابنه الفقيه النّجيب أبي العباس سيدي أحمد «أحمد الله عاقبته، وأدام عافيته»»⁽⁴⁾.

5- أخوه: محمد بن أحمد المقرّي: والد صاحب «نفح الطيب».

(1) هذه الكنية لسعيد المقرّي لم يذكرها إلا الصائم الجازولي ولا أدري ما صحتها وما نسبها.

(2) (28).

(3) (125).

(4) مطبوع ضمن كتاب «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية» (59).

6- وابن أخيه: أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ صاحب كتاب «نفتح الطيب»⁽¹⁾.

رابعاً: طلبه للعلم ورحلاته.

بما أنَّ مصادر ترجمته شحيحة فهي لم تذكر لنا متى بدأ طلب العلم ومتى بدأ في الرحلة إلا أنَّ الأمر المؤكد أنَّه بدأ في طلبه للعلم منذ نعومة أظافره ونُبوغه فيه ورحلته في مُقْتَبَل عمره للبلاد المجاورة خاصةً منها فاس وما جاورها وقد يكون تعدادها لغيرها ولا أدلَّ على ذلك من تمكنه من العلوم النقلية والعقلية، قال أبو القاسم سعد الله: (...وقد فتح عينيه فوجد المدينة التاريخية قد نَضَبَ مَعِينُهَا العلمي ورحل مُعْظَم علمائها إلى فاس وغيرها فلم يقنع هو أيضاً ببقايا العلم هناك واتجه إلى فاس ليكرع من منهلها كما فعل بعضُ أجداده ومُعاصريه، ولا ندري كم طالت مُدَّتُهُ في المغرب، فإنَّ بعض العلماء كانوا لا يُعْودون حتى يُصْبِحُوا هم أنفسهم مُدرسين، ولذلك لا نستغربُ أن يقول ابن القاضي أنَّه قد أخذ العلم على المقرئ كثير من تلمسان وفاس)⁽²⁾.

خامساً: شيوخه:

حاولتُ أن أجمع جميع شيوخه وتلاميذه الذين ذكروا في ترجمته أو الذين عثرتُ عليهم في غيرها سواء في إجازاته ومروياته أو أثناء قراءتي ومطالعتي، وأرتبهم على حسب الوفيات وهم كالآتي:

1- حاجي الوهراني: لم أعثر على ترجمته، وقد ذكره في شيوخه ابنُ مريم فقال: «حفظ القرآن على سيدي حاجي الوهراني، وأخذ عنه لباس الخرق الصوفية»⁽³⁾.

(1) ستأتي ترجمته ضمن تلاميذه.

(2) ينظر: «تاريخ الجزائر الثقافي» (1/ 376 رقم: 3).

(3) في «البستان» (218).

وأظنه هو: أبو العباس أحمد حَجِّي أو ابن حَجِّي؛ الوهراني⁽¹⁾؛ بدليل ما ذكره الرُّوداني في «فهرسته الصغرى» نقلاً عن سعيد المقرئ نفسه فقال: «ثم فتح الله وأطال عُمَرَ الشيخ المذكور وهو سيدي أحمد حَجِّي حتى كَبُرْتُ وعَقَلْتُ، فجوَّدْتُ عليه القرآن، وجدَّدْتُ عليه الأخذ في ذلك، وفي طريقة التَّصَوُّف»⁽²⁾، وهو الذي ترجم له الزبيدي بقوله: «الإمام أبو العباس أحمد بن حَجِّي الوهراني، حدَّث عن: أبي سالم إبراهيم بن محمد بن علي التازي نزيل وهران، وعنه: أبو عثمان سعيد بن أحمد بن محمد بن يحيى التلمساني المقرئ»⁽³⁾.

2- عمر الراشدي: لم أعثر على ترجمته، وقد ذكره في شيوخه ابن مريم، وذكر أنَّه أخذ عنه علوم العربية⁽⁴⁾.

3- محمد بن يحيى أبو السادات المديوني: الفقيه العالم، الولي الصالح، ذو المآثر السنية والأحوال المرضية. أخذ عن والده يحيى، وعن الإمام محمد بن موسى الوجدجي مُفتي تلمسان وعالمها، صاحب الكرامات. وكان يدرس «الرسالة» ويُدرِّس ما يناسبها من ابن الحاجب الفرعي. تخرَّج عليه جماعة منهم: ولده محمد أبو السادات الصغير، وقرأ عليه سعيد المقرئ، وعليّ العطافي، وجماعة كثيرة لا تُحصى.

(1) وقد عثرتُ على عدة أسانيد يروي فيها على شيخه بهذا الاسم من ذلك ما وجدته في: «صلة الخلف» (31 و470 و472 و473 و474 و475)، و«الفهرسة الصغرى» مطبوع ضمن كتاب «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثة» (59 و60)، و«العروس المجلية» (24)، و«فهرس الفهارس» (1/ 90 و270).

(2) مطبوع ضمن كتاب «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثة» (60).

(3) تاج العروس، (14/ 386)، وأظنه هو المترجم له في «شجرة النور الزكية» (1/ 402 رقم: 1070) باسم: أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن حيدة أو جيدة أو حرة الوهراني.

(4) في «البستان» (218).

توفي بعد الخمسين وتسعمائة (بعد 950هـ)، ودفن عند ضريح محمد بن يوسف السنوسي⁽¹⁾.

4- أبو الحسن علي بن موسى بن هارون المطغري: ومطغرة من تلمسان. المفتي، الخطيب. أخذ عن ابن غازي ولازمه وأجازه وختم عليه عشرين ختمة بالسبع، والبخاري نحو عشر ختمات، و«الموطأ» و«المدونة» و«المختصر» ختمتين، وأخذ أيضا عن أبي العباس الونشريسي، والقاضي المكناسي، وغيرهم. وعنه: أبو راشد اليدري، وأحمد المنجور، وعبد الوهاب الرقاق، وسعيد المقرّي، وغيرهم.

توفي في ذي القعدة من سنة 951هـ (1544م)، حضر جنازته السلطان فمّن دونه⁽²⁾.

5- أبو مالك عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي الفاسي: قاضيها سبعة عشر عامًا ثم مُفّتيها بعد ابن هارون. ولد سنة 880هـ. أخذ عن: أبي زكريا الشّوسي، وابن غازي، وعن والده أبي العباس، وغيرهم. وعنه: يعقوب اليدري، وأبو زيد السلواني، وأبو زكريا السراج، وسعيد المقرّي، وغيرهم.

من تأليفه: «شرحه» على ابن الحاجب، وله على البخاري «تعليق» لم يكمل، وله على «الرسالة» شرح مُطوّل، و«نظم قواعد» أبيه في الفقه، وغير ذلك.

توفي قتيلا في ذي الحجة من سنة 955هـ (1548م) قتله بعض اللصوص، وكان على كرسي يتكلم على «صحيح» البخاري⁽³⁾.

(1) ينظر: «البستان» (449).

(2) ينظر: «نبيل الابتهاج» (345 رقم: 448)، و«شجرة النور» (1/ 403 رقم: 1071).

(3) ينظر: «درة الحجال» (3/ 139 رقم: 1094)، و«شجرة النور» (1/ 408-409 رقم: 1092).

6- عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري ثم الفاسي السفياي العاصمي، عرف بسقين، أبو زيد وأبو محمد: الفقيه، الخطيب، المحدث، الراوية، الرحلة، له مشاركة في الأدب، والتصوف، والطب، قال عنه تلميذه أحمد المنجور: ومنهم الشيخ، الفقيه، الأستاذ، المحدث، المسند، المحقق، الرحلة، الحاج، الرّحال.

رحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج، ولقي بمصر جماعة وأخذ عنهم، منهم: برهان الدين القلقشندي، وزكريا الأنصاري القاضي، وابن فهد بمكة، والسخاوي، كلهم عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، وأخذ عنه جماعة بفاس، منهم: أحمد المنجور، ويحيى اليدري، وأبو النعيم رضوان الجنوي.

روى عنه: اليسيتي، وعبد الوهاب الزقاق، وسعيد المقرّي، وغيرهم، وانقطع الحديث بموته، لازم في حياته إقراء «العمدة» و«الموطأ» مع رواية الكتب الستة والتفسير، قيّد بخطه كثيرًا من فوائد الحديث والأدب مع ضبط وشكل.

توفي بفاس في فاتح سنة ست وخمسين 956هـ (1549م) عن نحو ست وثمانين سنة⁽¹⁾.

7- أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن علي التّجّيسي الزّقاق الفاسي: قاضي الجماعة بها. العلامة المتفنن في فنون من العلم، كان آية في الحفظ والفهم. ولد سنة 905هـ. لازم عمّه أبا العباس وانتفع به. وأخذ عن: أبي العباس الحباك، وسقين، وابن هارون، وعبد الواحد الونشريسي، وأكثر عنهما. وعنه: أحمد المنجور، وأبو الحسن يوسف الفاسي، وسعيد المقرّي. وجماعة. وأجاز له الخطيب، المحدث، الحاج، أبو

(1) ينظر: «فهرس أحمد المنجور» (59)، و«جذوة الاقتباس» (425 رقم: 436)، و«درة الحجال» (3/ 96-97 رقم: 1022)، و«نبيل الابتهاج» (264-265 رقم: 313)، و«شجرة النور الزكية» (1/ 403 رقم: 1072)، و«فهرس الفهارس» (2/ 987-988 رقم: 561).

عبد الله محمد بن أحمد حفيد الحفيد الفقيه، المحدث، الخطيب ابن مرزوق حين قدم على فاس. كان يُقَرَّر «خليلاً» و«جمع الجوامع» و«ألفية» ابن مالك و«تفسير» ابن عطية وغيره، و«البخاري» بابن حجر، فصيح العبارة، غزير الحفظ، و«الرسالة» ينزل عليها فردع «خليل» وكان أعرف الناس به، مُشاركاً في الأدب، والأصلين، والطب.

توفي قتيلاً ضرباً بالسياط في ذي القعدة من سنة 961هـ (1553م)⁽¹⁾.

8- محمد بن أبي الفضل خروف التونسي: نزيل فاس، وشيخ الجماعة فيها، كان عالماً بأصول الفقه، والكلام، والبيان، والمنطق. أخذ بتونس عن المفتي الخطيب حسن الزنديوي، ومحمد ماغوش، والفقيه البياني القاضي أحمد سليطن، والفقيه الشريف بن علي، وغيرهم. رحل إلى المشرق، وأخذ عن جماعة ككمال الدين الطويل، وابن فهد، وبمصر عن الطبلاوي، والشمس والناصر اللقانيين، ولقي بفاس علي بن هارون، وعبد الواحد الونشريسي، ومحمد الستيني، والزقاق، وغيره. وأخذ عنه أعلام من أهل تونس وفاس وغيرهما من البلدان، منهم: الحميدي، وسعيد المقرئ، وأبو المحاسن يوسف الفاسي، والقاضي الوطاسي، وأحمد المنجور، وغيرهم. وله «رحلة» و«فهرسة».

توفي بفاس في شهر صفر أو ربيع الأول من عام 966هـ (1558م)⁽²⁾.

9- علي بن يحيى السلكسيني الجاديري: إمام أجادير، الفقيه، الخطيب، العالم، العلامة، المحقق، المتفنن، الولي، الصالح، الصوفي، آية من آيات الله. كان مُحققاً في العلوم، وأكثرها التحقيق في الحساب، والفرائض، ومختصراً ابن الحاجب الفرعي،

(1) ينظر: «جدوة الاقتباس» (453-454 رقم: 477)، و«نيل الابتهاج» (277-278 رقم: 333)، و«شجرة النور» (1/ 410 رقم: 1096).

(2) «فهرس أحمد المنجور» (69-71)، و«جدوة الاقتباس» (340-342 رقم: 325)، و«شجرة النور الزكية» (1/ 407 رقم: 1085)، و«تراجم المؤلفين التونسيين» (2/ 193-195).

والرسالة، ومختصر خليل، وعقائد السنوسي، وأحكام القرآن في الحذف والثبت والإعراب، وكان يظلُّ نهاره صائمًا، يدرس العلم طول نهاره. أخذ عن: أحمد بن ملوكة الندرومي، وشقرون ابن أبي جمعة، ومحمد بن موسى الوجديجي، وغيرهم. تخرج عليه جماعة: ولده عاشور، ومحمد الأدغم، وعليّ العطافي، وسعيد المقرئ، وغيرهم. توفي في شهر رجب من عام 972هـ (1564)⁽¹⁾.

10- محمد بن عبد الرحمن بن جلال الوغزاني التلمساني: نزيل فاس ومفتيها، ولد سنة (908هـ). قال عنه أحمد المنجور: كان فقيها علامة، مشاركاً في كل فن، مؤحداً، مفتياً، خطيباً، استفدت منه في العقائد، والفقه، والحديث، والأدب، وغيرها. أدرك فضلاء تلمسان، وأخذ عنهم كالفقيه أبي عثمان سعيد المنوي، وأبي العباس أحمد بن أطاع الله، وحضر عند أبي مروان عبد الملك البرجي. أخذ عنه: سعيد المقرئ الفقه والأصول والمنطق⁽²⁾. وكان ذا أدب وسكون وهمة وسخاء. توطن فاس، وبها توفي في ثامن رمضان من سنة 981هـ (1574م)⁽³⁾.

11- محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التلمساني: نزيل فاس ومفتي مراكش، ولد سنة (908هـ). عرف بمالك الصغير في وقته. قال أحمد المنجور: كان فقيهاً، علامة، مشاركاً، تربّ الفقيه ابن جلال ومشاركه في شيوخه، نافذاً في الفروع، منطبعا معها، مشاركاً في الفرائض والحساب والبيان والمنطق. وله شرح على التلمسانية. أخذ عنه: سعيد المقرئ، ومحمد بن أحمد الهواري، ومحمد بن عبد الله بن قونزع التلمسانيين، وغيرهم.

(1) ينظر: «البستان» (281-283).

(2) في «البستان» (218).

(3) ينظر: «البستان» (447-448)، و«نيل الابتهاج» (599 رقم: 733).

توفي آخر سنة 983هـ (1574م)، عن خمس وسبعين سنة⁽¹⁾.

سادسا: تلاميذه.

قال تلميذه ابن مريم المديوني: (وتخرج عليه جماعة منهم: ... وخلق كثير لا يُحصى عددهم)⁽²⁾.

وهؤلاء الجماعة الذين ذكر منهم:

1- محمد العشوي الندرومي⁽³⁾.

2- ومحمد الشمور.

3- وأحمد بن أبي عبد الله اليزناسني.

4- وأحمد بن أبي مدين.

5- وأحمد بن رقية المديوني.

6- ومحمد بن قاسم الحويل.

7- والحاج بن مالك العبادي، ويضاف لهم ابن أخيه أحمد بن محمد المقرئ⁽⁴⁾.

8- أبو العباس أحمد بن محمد بن المرابط، العربي النسب، الصحراوي الأصل،

التلمساني الدار، المكنى بالحلافي، المعروف بابن ونيس: قال عنه البطوئي: «المشارك،

(1) ينظر: «البستان» (448)، و«نيل الابتهاج» (599 رقم: 735)، و«شجرة النور الزكية» (1/ 413 رقم: 1110).

(2) ينظر: «البستان» (218).

(3) في «مطلب الفوز والفلاح» (151): محمد الغشوي، بالغين وأظنه هو هو؛ قال عنه سعيد البطوئي: (وكذا شيخنا سيدي محمد الغشوي رضي الله عنه، كنا نختم عليه «مختصر خليل» و«الرسالة» الألفية كل شتوة مع مداومة عقائد السنوسي، يجلس للإقراء من الصبح إلى الزوال رضي الله عنه وأعانه على بره).

(4) ذكرهم في «البستان» (218)، ولم نعث على تراجم لهم إلا لابن أخيه.

الأنيس... المبارك، القدور، الأوحد، العابد، الناسك... ما رأت عيناى خَلْقًا، وُخْلَقًا، وإنصافًا للحق، وحرصًا على اكتساب الخير، ورغبةً في العلم، ودوام العبادة، والاجتهاد في إصلاح ذات بين المسلمين، ومواظبةً على ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله ﷺ، لا يزال لسانه رطباً من ذكر الله، وكان أشد الناس تواضعًا، وخشيةً، ومروءةً، وصبراً، واحتمالاً، وحياءً، وصدق لهجةً، وسخاءً، وإيثاراً، ومحبة في الله تعالى وفي رسول الله ﷺ وفي أهل الدين والخير، قريب الخشية، كثير البكاء، مواظباً على قيام الليل، لم يأت عليه قط آخر الليل إلا وهو في الصلاة والدعاء والاستغفار، وكان صاحب كرامات ومكاشفات ورؤى، كرؤياه للرسول ﷺ في المنام... أَخَذَ ولازم أبا زيان بن أحمد المعروف بالجرائي التلمساني صاحب المناقب المشهورة...» (1).

9- محمد بن محمد بن عيسى البَطَوِيّ نسبا، التلمساني دارًا: الفقيه المحدث، المتصوف، الواعظ. كان عارفًا بالبخاري، يقرأه للناس في الجامع الأعظم، وله مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية، وتقييد ونظر. كان كثير العبادة، قائمًا بالليل، صائمًا بالنهار، كثير الأوراد. أخذ عن: ابن خالته سعيد المقرّي، ومحمد الوجديجي، والعقيدة والتوحيد عن: محمد بن يحيى أبي السادات، وعن محمد بن زايد القبلي الجاديري.

توفي في المدينة المنورة ودفن بالبقيع (2).

10- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن أبي مريم: الشريف المليتي نسبًا، المديوني نجارًا أصلاً ونسبًا، التلمساني منشأ ومولداً ودارًا، الفقيه، العالم، الشيخ، الصالح، المؤرخ، الأديب، الكامل. أخذ عن: سعيد المقرّي، وعلي بن يحيى

(1) لم أعثر على ترجمته إلا في «مطلب الفوز والفلاح» (129-135)، وله ذكر عابر في «تاريخ الجزائر

الثقافي» (2/ 121) عند التعريف بكتاب البَطَوِيّ هذا.

(2) «البستان»، (462-465).

السلكسيني، وعبد الرحمن تاغريب، ومحمد بن محمد بن الشرقي، وعيسى بن سلامة المستغانمي، وغيرهم. أخذ عنه: محمد بن يوسف الشرقي، ومحمد الندرومي، ومحمد البطحي، وسعيد البوخلفي، ومحمد الولهاصي، وغيرهم. ألف «البستان في علماء تلمسان» وفرغ منه سنة 1014هـ⁽¹⁾ وذكر فيه مشايخه والتأليف التي ألفها وهي أحد عشر تأليفاً منها: «غنية المريد شرح لمسائل أبي الوليد»، و«تحفة الأبرار في الوظائف والأذكار»، و«كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد»، و«التعليقة السنينة على الأرجوزة القرطبية»، و«شرح المرادية للتازي» وغيرها. توفي في حدود سنة 1025هـ أو بعدها بقليل⁽²⁾.

11- أحمد ابن القاضي المكناسي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية: الشهير بابن القاضي، الإمام، العالم، الجليل، المفضل، الفقيه، المتفنن، المؤرخ، الرحال، مُسند فاس. ولد في سنة 960هـ، وأخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب منهم: والده، وسعيد المقرري، وأحمد بابا، وأحمد المنجور، والسراج، وابن جلال، والقصار، ويحيى الخطاب، وابن مجبر، والبدر القرافي، وسالم السنهوري. وعنه جماعة منهم: ابن عاشر، وميارة، والشهاب المقرري. ألف ثمانية عشر تأليفاً منها: «درة الحجال في أسماء الرجال»، و«غنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض»، و«جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام بفاس»، و«نيل الأمل فيما به بين المالكية جرى العمل»، و«فهرسة»، و«لقطة الفرائد والفوائد» ذيل به تاريخ أبي العباس بن قنفذ القسنطيني.

(1) بينما ذكر سعد الله في كتابه «تاريخ الجزائر الثقافي» (377/1) أنّه قد انتهى من تأليفه سنة 1011هـ.
(2) «مطلب الفوز والفلاح» (121-128)، و«تعريف الخلف» (640-652 رقم: 36)، و«شجرة النور» (428/1 رقم: 1161)، وينظر أيضاً: مقدمة محقق كتابه «البستان» (4-19).

توفي في شهر شعبان من سنة 1025هـ (1616م)⁽¹⁾.

12- عيسى بن محمد بن يحيى الراسي البطيوي أو البطوئي: باحث، له اشتغال بالتاريخ، متصوف وزاهد، من فقهاء المالكية، نسبته إلى بطيوة (آرزيو)، ولد تقريباً في نهاية القرن العاشر. رحل إلى فاس وتلمسان والجزائر وغيرها وأخذ عن كثير من الشيوخ. قرأ القرآن على أحمد بن أبي بكر السوسي، وأيضاً على ابن عمته وارث العساسي أو الغساني. وأخذ عن أحمد بن إبراهيم الراسي البطيوي، وسعيد المقرئ، وابن مريم، وأحمد الولهاسي، وغيرهم. من آثاره: «مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح»، و«شرح كتاب في التصوف»، كلاهما في التصوف. عاش إلى النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري⁽²⁾.

13- أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد، أبو العباس، المقرئ التلمساني: مؤرخ، أديب، حافظ، جاحظ البيان، لم ير نظيره في جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة، وكان آية باهرة في علم الكلام، والتفسير، والحديث. ولد بتلمسان سنة 986هـ (1578م)، وبها نشأ. أخذ عن عمه سعيد المقرئ، وانتقل إلى فاس سنة 1009هـ (1600م) وحضر مجلس علي بن عمران السلاسي في جامع القرويين، وناقشه في بعض مسائل الفقه، فاعترف له السلاسي بالتفوق عليه وأقر له بقوة الحججة والنباهة. له المؤلفات الشائعة منها: «نفح الطيب» و«أزهار الرياض»، و«روضة الآس»، و«فتح المتعال»، و«الدر الثمين»، و«إضاءة الدجنة»، وغيرها.

(1) «روضة الآس» (239-300)، و«اليواقيت الثمينة» (24)، و«تعريف الخلف» (1/ 688-689 رقم: 49)، و«شجرة النور الزكية» (1/ 431-430 رقم: 1172)، و«فهرس الفهارس» (1/ 114-115 رقم: 5).

(2) «معجم أعلام الجزائر» (70-71)، و«تاريخ الجزائر الثقافي» (2/ 121-122). ومن أراد ترجمة موسعة له فعليه ببحث لم أطلع عليه عنوانه: «من أعلام الريف الشرقي: عيسى بن محمد الراسي البطوئي» لحسن الفكيكي، مجلة دعوة الحق، الأعداد: 250 و251 و252 و253 من سنة 1985م والعدد 256 من سنة 1987م.

توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة من سنة 1041هـ (1631م)⁽¹⁾.

14- سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بقدّورة، أبو عثمان الجزائري: مُسند المغرب، ومُفتي مدينة الجزائر، وفقهها، وعالمها، وصالحها. وكان عارفاً، حُجة، متصوفاً، بارعاً. تونسي الأصل، جزائري المولد والنشأة. روى بتلمسان عن المسند المُعَمَّر أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرّي التلمساني، وغيره. وأخذ عنه ولده محمد وأحمد، وأبو مهدي عيسى الثعالبي، ومحمد بن إسماعيل مُفتي الجزائر، ومحمد بن إبراهيم الهشتوكي، ويحيى الشاوي، وغيرهم. من آثاره: «شرح الصغرى» للسنوسي، و«شرح السلم المروّنتق» في المنطق للأخضري، و«شرح على جوهره التوحيد» للقاني، في العقائد، و«نوازل تلمسانية»، وغيرها.

توفي في شوال من سنة 1066هـ (1656م)⁽²⁾.

سابعاً: وظائفه.

أجمع من ترجم لسعيد المقرّي أنّه كان خطيباً لجامع تلمسان الأعظم لمدة خمس وأربعين (45) سنة⁽³⁾، وكذا توليته بها منصب الإفتاء لمدة ستين (60) سنة⁽⁴⁾.

(1) «خلاصة الأثر» (1/ 302-311)، و«نشر المثنائي» (1/ 291-305)، و«تاج العروس» (13/ 382-383)، و«اليواقيت الثمينة» (29-30)، و«تعريف الخلف» (1/ 540-553 رقم: 12)، و«شجرة النور» (1/ 434-436 رقم: 1183)، و«فهرس الفهارس» (2/ 574-576 رقم: 331)، و«الأعلام» (1/ 237)، ومقدمة محقق «نفح الطيب» (1/ 5-14).

(2) «طبقات الحُصيّكي» (2/ 571 رقم: 742)، و«تعريف الخلف» (1/ 558 رقم: 15)، و«معجم أعلام الجزائر» (405)، و«تاريخ الجزائر الثقافي» (1/ 370-357 رقم: 1).

(3) ينظر: «البستان» (217)، و«شجرة النور الزكية» (1/ 427 رقم: 1155)، و«باقة السوسان» (519)، و«معجم أعلام الجزائر» (485)، ومحمد بن عبد الكريم في مقدمة تحقيقه لكتاب «التحفة المرضية» (71 رقم: 8).

(4) ينظر: «صلة الخلف بموصول السلف» (21) و(453)، و«خلاصة الأثر» (1/ 303)، و«صفوة من انتشر» (101 رقم: 32)، و«العروس المجلية» (24)، و«تاج العروس» (14/ 147)، و«قطف الثمر في =

إلا أنَّ هذه المصادر لم تذكر متى بدأ هذه المهام التي أوكلت إليه ومتى توقف منها وهل استمرت معه إلى وفاته أو تخللتها توقفات وغيرها، وفي هذا المضممار يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: «... وإذا نحن اتبعنا ابن مريم فيما ذهب إليه من تاريخ ميلاد المقرّي (أي سنة 928هـ) ومدة بقاءه في الفتوى والتدريس (45 سنة) فإنَّ المقرّي يكون قد تولى الفتوى في تلمسان حوالي سنة 966هـ... وكانت قيمة سعيد المقرّي العلمية والاجتماعية هي التي رشحته لتولي هذه الوظيفة الخطيرة، فقد أصبح بالإضافة إلى التدريس مُفتي تلمسان وخطيب جامعها الكبير، ولا ندرى إن كانت قد وُكلت إليه أيضًا وكالة أوقاف الجامع المذكور، وهو ما جرت به العادة، وكان المقرّي قد تدرب على هذه الوظائف في المغرب، ولا سيما التدريس»⁽¹⁾.

ثامنا: إجازاته ومروياته.

سبق وأن ذكرنا عن سعيد المقرّي أنَّه كان جماعَةً للعلوم النقلية والعقلية، فهو موسوعي باصطلاحنا المعاصر، فَمَعَ تمكنه من العلوم الأخرى فقد برز بشكل خاص في الرواية والإسناد فالناظر مثلاً في الأسانيد المتأخرة - من القرنين العاشر والحادي عشر - إلى يوم الناس هذا لا يكاد يخلو إسناد ولا تخلو حلقة من حلقاته بالمغرب الإسلامي وإلا ومذكور فيها سعيد المقرّي، فإذا نظرت مثلاً للكتاب الأم في هذا المجال «فهرس الفهارس»⁽²⁾ أو أي ثبت من الأثبات⁽³⁾ أو أي فهرس من الفهارس⁽⁴⁾، أو في

= رفع أسانيد المصنفات (227)، و«التاج المكلل» (315-316)، و De la transmission du Recueil des traditions de Bokhary aux habitants d'Alger; (99 N° 9) و«شجرة النور الزكية» (1/ 427 رقم: 1155)، و«باقة السوسان» (519)، و«معجم أعلام الجزائر» (485)، ومحمد بن عبد الكريم في مقدمة تحقيقه لكتاب «التحفة المرضية» (71 رقم: 8).

(1) ينظر: «تاريخ الجزائر الثقافي» (1/ 377 رقم: 3).

(2) وينظر في ذلك مثلاً لا حصراً: (1/ 90)، و(1/ 121) و(1/ 268)، و(2/ 575)، و(2/ 988).

(3) فهرس العياشي «اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر» (122-132-166-172-201).

(4) وينظر في ذلك مثلاً: «صلة الخلف بموصل السلف» للزوداني (21-26-31-181-218).

وصف الأسانيد⁽¹⁾، أو رحلة من الرحلات⁽²⁾، أو الكتب المتداولة بين أيدينا عموماً⁽³⁾، إلا وتجد ما لا يُحصى من أسانيد مذكورٍ فيها هذا العلامة العلم المسند الراوية للحديث والكتب والمصنفات، حتى وضعه ابن أبي شنب في مقالته الموسومة: «الرجال الذين رويوا صحيح البخاري وبلغوه لأهل مدينة الجزائر»⁽⁴⁾، وكذا المهدي البوعبدلي في مقالته التي وسمها بـ: «اهتمام علماء الجزائر بعلم الحديث قديماً وحديثاً»⁽⁵⁾، كيف لا وقد قال فيه تلميذه ابن مريم المديوني: «وله باع في فن حديث البخاري وغيره»⁽⁶⁾.

بكر في أخذ الأسانيد وأعاد ما تلقاه وسمعه من شيخه أحمد حجّي الوهراني عندما كبر في قصة عجيبة أوردتها الرّوداني في «فهرسته الصغرى»: (قال شيخنا أبو عثمان سيدي سعيد المقرّي: وكان سبب أخذي عن السيد أحمد حجّي وتلقّي ذلك منه، أنّ وهران لما أخذها النصارى من أيدي المسلمين «أعادها الله للإسلام»، وكان سيدي أحمد حجّي قاطناً بها، فخرج مع بناته وهو يتلو سورة: ﴿لَا يَلْفُ فُرَيْشٌ﴾ [قريش: 1]، فأعمى الله أبصار الكفار عنه حتى وصل إلى تلمسان، فنزل بموضعٍ منها يُقال له أجادير فأتى الناس إليه يأخذون عنه ما أخذ من الشيخ سيدي إبراهيم التازي من «الضيافة» و«لبس الخرقة» وغيرها ممّا ذكرناه.

-
- (1) وينظر في ذلك مثلاً: «قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات» للفلاحي المالكي (120) و(227)، وكذا: «العروس المجلية في أسانيد الحديث المسلسل بالأولية» (24).
 - (2) وينظر في ذلك مثلاً: «غرائب الاغترار ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب» (147).
 - (3) وينظر في ذلك مثلاً: «نفح الطيب» (2/ 426) و(2/ 438) و(5/ 428)، و«التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول والآخر» (316-317).
 - (4) التي نُشرت ضمن أعمال الملتقى الرابع عشر للمستشرقين الذي أقيم بالجزائر سنة 1905م. وقد استفدت منه في إعداد هذه الوريقات إلا أنه للأسف منشور باللغة الفرنسية هو وبقية أعمال الملتقى.
 - (5) طبع ضمن: «الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي» (3/ 83-114)، وضمن: «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية» (11-46).
 - (6) ينظر: «البستان» (218).

قال⁽¹⁾: وكنتُ إذ ذاك صغيراً، فحملتني أمِّي إليه ومعها حَبَّةٌ مِنْ تمرٍ وإناءٌ مِنْ ماءٍ لِيُطَيِّقَنِي عليها، فأضافني ولَقَّنَنِي ما ذُكِرَ، وكانت الأمَّهاتُ حينئذٍ راغباتٍ في الخير وأهله)، إلى أن قال: «ثم فتح الله وأطال عُمُرَ الشيخ المذكور وهو سيدي أحمد حجِّي حتى كبرتُ وعقلتُ، فجَوَّدْتُ عليه القرآن، وجدَّدْتُ عليه الأخذ في ذلك، وفي طريقة التَّصوف، وأدخلني في سلسلة سيدي إبراهيم التازي نزِيل وهران «أعادها الله دار إيمان»...»⁽²⁾.

وقد أورد قبلها محمد بن محمد بن سليمان الرُّوداني في كتابه المذكور أنفاً إجازةً في مُعْظَم الصحيحين والبخاري وحديث الرَّحمة وغيرها مِنَ العلوم والفهوم عن شيخه أبي عثمان سعيد قدورة وهذا الأخير أخذها قراءةً ومناولةً مع تفهم وبحث عن شيخه أبي عثمان سعيد المقرِّي فقال فيها: «كما أنَّ شيخنا أبا عثمان⁽³⁾ أخذَ كُلَّ ما تقدَّم مِنْ «الضيافة على التمر والماء» و«المصافحة» و«المشابكة» و«لبس الخرقَة الصوفيَّة» و«مناولة السُّبحة» و«تلقين الذكر» و«المواظبة على قراءة السُّور الأربع المذكورة» و«التَّحديث بالحديث المذكور» و«الوصيَّة المذكورة» وخصَّه بجميع ذلك على ما بُيِّنَ وسُطرَّ، عن شيخه العالم العلَّامة، رأس المحدثين، وبقية الأئمة المسندين؛ أبي عثمان سيِّدي سعيد بن أحمد المقرِّي القرشي.

قال شيخنا⁽⁴⁾: أخذتُ ذلك كُلَّه عن شيخني⁽⁵⁾ هذا صبيحة يوم الجمعة أواسط ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وألف [1013هـ]، بداره بمدينة تلمسان «حرسها الله»،

(1) يعني: سعيد المقرِّي.

(2) ينظر: «فهرسة الرُّوداني الصغرى» مطبوع ضمن كتاب «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية» (60).

(3) يعني: سعيد قدورة.

(4) يعني: سعيد قدورة.

(5) يعني: سعيد المقرِّي.

وبحاضرة ابنه الفقيه النّجيب أبي العبّاس سيّد أحمد «أحمد الله عاقبته، وأدام عافيته»⁽¹⁾.

وأخذ عليه أيضاً تلميذه وابن أخيه أبو العبّاس المقرّي أعلى أسانيده حتى قال عبد الحي الكتاني: «...وأعلى أسانيده روايته عامة عن عمّه أبي عثمان سعيد المقرّي مُفتي تلمسان... ومن عوالي المترجم روايته عامة عن عمّه سعيد، عن أبي عبد الله محمد الخروبي الطرابلسي، عن الشيخ زروق ما له من مؤلف ومروي، ويروي أيضاً عن عمّه، عن علي بن هارون وسقين كلاهما، عن ابن غازي ما له من مؤلف ومروي»⁽²⁾، وقال المُحبي في ترجمة ابن أخيه أحمد المقرّي: «...ولد بتلمسان، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وقرأ وحصل بها على عمّه الشيخ الجليل العالم أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرّي مُفتي تلمسان ستين سنة، ومن جُملة ما قرأ عليه: «صحيح» البخاري سبع مرات، وروي عنه الكتب الستة؛ بسنده عن أبي عبد الله [محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الجليل] التّنسي، عن والده حافظ عصره [أبي عبد الله] محمد بن عبد الله [بن عبد الجليل] التّنسي [ثم التلمساني الأموي]، عن [عالم الدنيا] البحر أبي عبد الله بن مرزوق [الحفيد، عن جده الرئيس أبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب]، عن [الأثير] أبي حيان، عن أبي جعفر بن الزبير، عن ابن أبي الربيع، [عن أبي الحسن الغافقي]، عن القاضي عياض بأسانيده المذكورة في كتاب «الشفّا»⁽³⁾.

(1) ينظر: «فهرسة الرّوداني الصغرى» مطبوع ضمن كتاب: «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية» (59).

(2) فهرس الفهارس، (2/ 575).

(3) ينظر: «نفح الطيب» (2/ 574)، و«أزهار الرياض» (4/ 341)، و«خلاصة الأثر» (1/ 303)، و«العروس المجلية» (24)، و«قطف الثمر» (50)، و«التاج المكلل» (315-316)، و«شجرة النور الزكية» (1/ 435)، و«فهرس الفهارس» (2/ 575)، و«تاريخ الجزائر الثقافي» (2/ 28).

وكتب إليه تلميذه ابن القاضي المكناسي يستدعيه بالإجازة كما في «روضة الآس»⁽¹⁾، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

تاسعا: أخلاقه وتواضعه وشمائله.

عَرَّجَ قَلِيلٌ مَنْ تَرَجَّمَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَبَانُوا فِيهَا عَلَى زُهدِهِ وَورَعِهِ وَسُمُو أَخْلَاقِهِ وَقَمَّةِ تَوَاضُعِهِ، حَتَّى شُبِّهَ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ.

قال فيه تلميذه ابن مريم: «وكان ذا عِفَّةٍ وَصِيَانَةٍ وَهَمَّةٍ وَفَرِيحَةٍ... حَسَنَ الْمَجْلِسِ، كَثِيرَ الْحِكَايَاتِ، مَمْتَعٍ الْمُحَضَّرِ، عَذْبَ الْكَلَامِ، فَصِيحَ الْقَلَمِ، كَثِيرَ الْإِنْصَافِ فِي الْبَحْثِ وَالْمَنَازَرَةِ، جَمِيلَ الصِّفَاتِ، شَرِيفَ الْأَخْلَاقِ، كَثِيرَ الْأَدَبِ، كَثِيرَ التَّوَاضُعِ، دَائِمَ الْبُشْرِ، وَافِرَ الْعَقْلِ، شَدِيدَ الْإِقْتِفَاءِ لِأَحْكَامِ الشَّرْعِ، مُعَظِّمًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ، مُكْرِمًا لِأَرْبَابِ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ، مُحِبًّا لِمُرِيدِ الْحَقِّ، مَعَ دَوَامِ الْمَجَاهِدَةِ وَلُزُومِ الْمِرَاقَبَةِ، وَكَانَ لَهُ كَلَامٌ عَالٍ فِي الْمَعَارِفِ، خَبِيرًا بِأَخْبَارِ النَّفْسِ وَتَزَكِّيَّتِهَا وَتَطْهِيرِهَا وَمَحَامِدِ خَلْقِهَا، مَذَلًّا لِمَا صَعِبَ مِنَ الْأُمُورِ... أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِهِ»⁽²⁾.

وقال تلميذه عيسى البَطَوِيُّ: (وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ... حَضَرْتُ عَنْدهُ عَقَائِدَ السَّنُوسِيِّ الْكُبْرَى إِلَى خَتْمِهَا، فَلَمْ نَرِ مِثْلَهُ خَلْقًا، وَخُلُقًا، وَسَمْتًا، وَهَدْيًا، وَحَيَاءً، وَوَقَارًا، وَتَوَاضُعًا)⁽³⁾.

وقال الصَّائِمُ الْجَازُولِيُّ: «... وَحَدَّثَنَا أَيْضًا مَنْ يُوثِقُ بِهِ: أَنَّ الشَّيْخَ سَيِّدِي الْعَبْدَلِيَّ جَلَسَ يَوْمًا بِمَسْجِدِ الْوَزَانِ، حَتَّى مَرَّ بِهِ الشَّيْخُ سَعِيدُ الْمُقْرِيِّ مُجْتَازًا مَعَ الشَّارِعِ، قَالَ: فَقَامَ سَيِّدِي الْعَبْدَلِيُّ إِجْلَالًا وَنَهْضَ لِيُخْرِجَ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ سَيِّدِي سَعِيدُ اسْتَرْجَعَ، فَقِيلَ

(1) (270-266).

(2) ينظر: «البيستان» (217-218).

(3) ينظر: «مطلب الفوز والفلاح» (151).

له في ذلك: فقال: حسبْتُ أنَّه رسول الله ﷺ، فَمَنْ لم يرَ منكم رسول الله ﷺ فليَنظر إلى سيدي سعيد، فإنه أشبه أهل وقته به»⁽¹⁾.

عاشرا: ثناء العلماء عليه.

وُصِفَ بأوصافٍ راقية وعالية تدل على تمكنه من العلوم ومُشاركته في العقلية والنقلية منها وتمكنه منهما، فوصف بأوصافٍ قوية في هذا المجال منها: شيخ الإسلام، الإمام، العلامة، المحدث، المسند، شيخ الشيوخ، مُفتي الأنام، الخطيب، إمام المعقولات والمنقولات، وغيرها، وهذا ما استجده في هذه النقول عن تلاميذه ومُترجميه:

قال فيه تلميذه ابن مريم: «فقيه تلمسان، وعالمها ومُفتيها، وخطيبها بالجامع الأعظم»⁽²⁾، ثم قال: «كان مُشاركًا في كل فن وغالبه التوحيد»، وقال أيضًا: «وله باع في فن حديث البخاري وغيره، وكان علامة في التوحيد والفقه... أتقن كل علم، حافظًا للغة العربية، والشعر، والأمثال، وأخبار الناس، ومذاهبهم، وأيام العرب، وسيرها، وحروبها، ذاكراً لأخبار الصالحين، وسيرهم، وإشارة الصوفي، ومذاهبهم»⁽³⁾، وقال أيضًا: «إمامًا في العلوم العقلية كُلِّها: حسابًا، ومنطقًا، وفرائض، وهندسة، وطبًا وتشريحًا، وتنجيماً، وفلاحًا، وبناءً، وكثيرًا من العلوم القديمة والحديثة»⁽⁴⁾.

وقال تلميذه ابن القاضي المكناسي (ت 1025هـ): «الفقيه، المفتي بتلمسان... فقيه، معقولي، انتهت إليه رئاسة بلده»⁽⁵⁾.

(1) كعبة الطائفين، (117).

(2) ينظر: «البستان» (217).

(3) المصدر نفسه، (218).

(4) المصدر نفسه، (219).

(5) ينظر: «درة الحجال»، (30-300-301 رقم: 1384)، «جدوة الاقتباس»، (531 رقم: 600).

وقال تلميذه وابن أخيه أحمد بن محمد المقرئ (ت 1041هـ): «...عن عمِّي، وليِّ الله، العارف به، شيخ الإسلام، مفتي الأنام، الخطيب، الإمام، مُلِحِقُ الأحفاد بالأجداد، سيدي سعيد بن أحمد المقرئ التلمساني»⁽¹⁾، وقال: «...وحدثني مولاي، العمِّ، الإمام، شيخ الإسلام، سيدي سعيد بن أحمد المقرئ رحمه الله تعالى»⁽²⁾، وقال أيضاً: «...وكنْتُ رأيتُ بتلمسان المحروسة بخط عمِّي ومُفِيدِي وليِّ الله تعالى، العارف، المعروف بشيخ الشيوخ، الإمام، المفتي، الخطيب، سيدي سعيد بن أحمد المقرئ، صَبَّ الله عليه سجال الرضوان»⁽³⁾، وقال: «...وسلام منا أيها الأحبَّ سلاماً رحب الساحة، بتقبيل الأنامل والراحَة، على العمِّ الأرضاء، الفقيه القدوة الأخطاء، المفتي، الخطيب البليغ، سيدي سعيد»⁽⁴⁾، وقال أيضاً: «...وأُنشدته الشيخ مولانا العمِّ، شيخ الإسلام، سيدي سعيد بن أحمد المقرئ رضوان الله عليه»⁽⁵⁾.

وقال فيه تلميذ تلميذه محمد بن محمد بن سليمان الرُّوداني (ت 1094هـ): «العالم العلَّامة، رأس المحدثين، وبقِيَّةُ الأئمة المسندين»⁽⁶⁾، وقال: «قُدْوَةُ الأئمة، وسند الأئمة»⁽⁷⁾، وقال أيضاً: «أخذتُ فقه إمامنا إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه عن أُوحد زمانه علماً وعملاً أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري، وهو أخذَه عن إمام المذهب في عصره أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرئ التلمساني ومُفْتِيها ستين سنة»⁽⁸⁾.

(1) نفع الطيب، (2/ 574).

(2) المصدر نفسه، (2/ 701) و(5/ 275).

(3) المصدر نفسه، (7/ 335).

(4) روضة الآس العاطرة الأنفاس، لأحمد بن محمد بن أحمد المقرئ، (95).

(5) ينظر: «أزهار الرياض» (2/ 309) و(3/ 308).

(6) ينظر: «فهرسة الرُّوداني الصغرى» مطبوع ضمن كتاب: «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية» (59).

(7) ينظر: «صلة الخلف» (21).

(8) المصدر نفسه، (453).

وقال الصغير الإفرائي (ت 1138هـ): «ومنهم الفقيه، الإمام، العلامة، ... كان رحمه الله إمامًا في العلوم، أقام مُفتيًا بتلمسان ستين سنة»⁽¹⁾.

وقال الحُصَيكي (ت 1189هـ): «كان رضي الله عنه إمامًا في العلوم، علامةً، فهامةً، دراكَةً، مُفتيًا، رئيسًا»⁽²⁾.

وقال السيد مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ): «ومنها مُلَحِقُ الأَحْفَادِ بالأَجْدَادِ أَبُو عَثْمَانَ...»⁽³⁾.

وقال محمد مخلوف (ت 1360هـ): «الإمام، الفقيه، الرَّأْيِيَّةُ، العالم، العامل، العُمْدَةُ، القُدْوَةُ، الفاضل»⁽⁴⁾.

الحادي عشر: كراماته.

وَأَمَّا الْحَدِيثُ عَنْ كَرَامَاتِهِ فَأَحْسَنَ الْقَوْلِ فِيهَا تَلْمِيذُهُ عَيْسَى الْبَطَوِيِّ بِقَوْلِهِ: «... وَكَرَامَاتُهُ كَثِيرَةٌ»⁽⁵⁾، وقال الحُصَيكي: «وله رضي الله عنه كرامات وفراسات»⁽⁶⁾.

منها ما أوردها محمد بن سليمان الصائم فقال: «وأما سيدي سعيد مُفتي الأَنَامِ، فحدثنا الفقيه الأَجَلُ سيدي يعقوب بن علي أَنَّهُ حَضَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ بِمَقْصُورَةِ الْجَامِعِ بَعْدَ الْإَصْفَرَارِ، دَخَلَتْ ذَاكِرًا فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: الْمَصَابِيحُ لَمْ تُوقَدْ بَعْدَ، قَالَ: فَخَرَجَتْ بَارِقَةٌ نُورٍ مِنْ فِيهِ وَصَعِدَتْ إِلَى صُبْحِيَّةٍ فَاشْتَعَلَتْ مِنْهَا، فَدَخَلَ الْمُؤَذِّنُ الْوَقَادَ، فَسَأَلَ مَنْ أَوْقَدَ هَذِهِ الصُّبْحِيَّةَ، فَسَكَتْنَا»⁽⁷⁾.

(1) صفوة من انتشار، (101 رقم: 32).

(2) الطبقات، (2/ 571 رقم: 743).

(3) تاج العروس، (14/ 147).

(4) شجرة النور الزكية، (1/ 427 رقم: 1155).

(5) مطلب الفوز والفلاح، (151).

(6) الطبقات، (2/ 571 رقم: 743).

(7) كعبة الطائفين، (117).

ومنها ما أورده الصغير الإفرائي فقال: «وكان يُحدث⁽¹⁾ عن عمِّه⁽²⁾ صاحب الترجمة بكرامات منها: أنَّه لما أراد أن يخرج من تلمسان قال له عمُّه: إنَّك ستلي الفتوى والخطابة بجامع القرويين خمسة أعوام وخمسة أشهر فكان كذلك»⁽³⁾.

الثاني عشر: مؤلفاته وآثاره.

لم تذكر المصادر القديمة لترجمته ولا المصادر الحديثة والمُعاصرة تأليف ومُصنّفات له إلا أنَّ المؤرخ ابن أبي شنب أثبت له ثلاثة كُتب وقد نقلها عنه في هامش ترجمته أبو القاسم سعد الله وهي:

1- شرح صلاة القطب بن مشيش.

2- شرح تائية الشريشي.

3- المباحث الأصلية.

وزاد بقوله: (وحسب المقرّي، فهو مؤلف: دعاء يضم الكلمات الأولى لسور القرآن)⁽⁴⁾.

إلا أنَّ هذه المصادر بالإضافة إلى الذي ذكر باشتغاله بالتدريس والفتوى والخطابة إلا أنَّها لم تُعرض بذلك وقد أجمل القول فيها المؤرخ سعد الله فقال: «ورغم طول مكث سعيد المقرّي في التدريس والفتوى والخطابة فإنَّنا لم نعرف أنَّه قد ترك تأليفا ولو مُختصراً، ومعنى ذلك أنَّ شهرته قد جاءت من أثره في التدريس لا التأليف، ولكننا لا

(1) يعني: أبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقرّي.

(2) يعني: أبا عثمان سعيد بن أحمد المقرّي التلمساني القرشي.

(3) ينظر: «صفوة من انتشر» (101-102 رقم: 32)، و«طبقات الحُصَيكي» (2/ 571 رقم: 743)، و«تعريف الخلف» (2/ 157-158).

(4) De la transmission du Recueil des traditions de Bokhary aux habitants

9d'Alger; (99 N°) وينظر أيضا: «تاريخ الجزائر الثقافي» (1/ 378 رقم: 3).

نكادُ نصدق أنَّه لم يُؤلف ولو تأليفاً مُختصراً أو تعليقاً أو تقييداً كما كان يفعل علماء وقته، وقد ذكر ابن أخيه أحمد المقرئ صاحب «نفح الطيب» خطبةً عارض بها خطبة القاضي عياض وضمَّنها التورية بأسماء سور القرآن الكريم⁽¹⁾... ومهما كان الأمر فإنَّ سعيد المقرئ وإن لم يترك تأليف معروفة لنا اليوم فإنَّه قد ترك مجموعةً من التلاميذ الذين أَلَّفوا الكتب وأصبحوا مثله من المدرسين البارزين⁽²⁾.

الثالث عشر: وفاته.

القول في الوفاة كالقول في الولادة فقد اختلف فيها أيضاً على أقوال نجملها فيما يلي:

الأول: أرَّخها القَادري: سنة 1010 هـ (1602م)⁽³⁾، والصغير الإفرائي⁽⁴⁾، والحضَيْكي⁽⁵⁾، والحفناوي⁽⁶⁾.

الثاني: وأرَّخها تلميذه ابن مريم بقوله: «كان حيّاً سنة إحدى عشرة وألف»⁽⁷⁾، أي كان حيّاً سنة 1011 هـ (1603م)، وبه قال محمد مخلوف⁽⁸⁾، ومحمد بن عبد الكريم⁽⁹⁾، ويحيى بوعزيز⁽¹⁰⁾، وعادل نويهض، وزاد الأخير: «...ومما يؤيد هذا القول أنَّ صاحب

(1) ينظر: «نفح الطيب» (334-337).

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، (1/ 378).

(3) في كتابيه «التقاط الدرر» (35 رقم: 44)، و«نشر المثنائي»، (1/ 82).

(4) صفوة من انتشار، (102 رقم: 32)، ومثله في «اليواقيت الثمينة»، لمحمد البشير الأزهرى، (161).

(5) الطبقات، (2/ 572 رقم: 743)،

(6) تعريف الخلف، (2/ 158 رقم: 174).

(7) (219).

(8) شجرة النور الزكية، (1/ 427 رقم: 1155)، وزاد في النقل عن «اليواقيت الثمينة» سنة 1010 هـ.

(9) في مقدمة تحقيقه لكتاب «التحفة المرضية» (71 رقم: 8).

(10) أعلام الفكر والثقافة، (2/ 166)، وزاد: (ولا ندري بالضبط متى مات، ولكنه سوف يكون في حدود عام

1020 هـ أو قبلها بقليل).

«النفح» تلقى رسالة من محمد الوجدي في سنة 1011هـ بالذات يُسلم فيها على عمّه سعيد⁽¹⁾.

الثالث: كان حيّاً سنة 1013هـ (1605م) على ما ورد في إجازة أجاز بها تلميذه أبا عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري المعروف بقدورة في بيته بتلمسان، أوردها الروداني في «فهرسته الصغرى»⁽²⁾.

الرابع: وقال ابن القاضي المكناسي (ت 1025هـ) في «درة الحجال»: «وهو حي الآن من أهل العصر»⁽³⁾.

الخامس: وابن أبي شنب⁽⁴⁾ وليفي بروفنسال: سنة 1030هـ (1620-1621م)⁽⁵⁾.
السادس: 1041هـ، قاله الزبيدي⁽⁶⁾.

فالقول الأول والثاني والثالث وحتى الرابع غير مُتفاوتة، وأما القولان الخامس والسادس فبعيدان جدا، خاصة السادس وأظنه وقع خلط بينه وبين ابن أخيه أبي العباس أحمد بن محمد المقرئ لأنه هو مَنْ توفي في السنة المذكورة، ومع ذلك فالأقرب في وفاته الأقوال الثاني والثالث والرابع وإن لم يذكروا سنة وفاته لكونهم من تلاميذه، إلى أن المؤكد في ذلك أنه عمّر طويلا وعاش بعدما مضى من عمره ثمانين عامًا.

(1) ينظر: «معجم أعلام الجزائر»، (485).

(2) مطبوع ضمن كتاب: «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية» (59).

(3) (3/ 301 رقم: 1384).

لم يذكر ابن القاضي متى فرغ من تأليف كتابه ولم يذكر المحقق ذلك بل هناك إشارة أوردها المؤلف في مقدمة «درة الحجال» (5/ 1) فقال: (... وذكرْتُ من وفاة ابن خلكان إلى آخر العاشرة وأول الحادية عشرة مما حفظته من الأعيان... وكان أول ابتدائي لهذا التأليف في أوائل رجب عام 999هـ).

De la transmission du Recueil des traditions de Bokhary aux habitants (4)
d'Alger; (99 N° 9).

(5) ينظر: «معجم أعلام الجزائر»، (485).

(6) تاج العروس، (14/ 147).

وأما مكان وفاته فالله أعلم بها، ولعله كولدته بتلمسان لأن داره كانت بها⁽¹⁾، وبما أسلفت من مكان وفاة ابنه محمد العربي أو محمد في عرصت⁽²⁾ القاضي⁽³⁾.

المصادر والمراجع

- 1- إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثة، إجازات حديثة جزائرية، مقالات في شرح صحيح البخاري، ويليهِ: اهتمام علماء الجزائر بعلم الحديث قديماً وحديثاً، ويليهِ: المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية، ويليهِ: المنهل الرّوي الرّائق، ويليهِ: مقدمة موطأ الإمام مالك رضي الله عنه، بعناية: عبد الرحمن دويب، دار التوفيقية، المسيلة-الجزائر، ط1، 2011م.
- 2- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإياري وعبد العظيم شلبي، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب، مطبعة فضالة.
- 3- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، د. يحيى بوغزيز (ت 2007م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1995م.
- 4- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي (ت 1396هـ)، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط15، أيار/ مايو 2002م.
- 5- الأعمال الكاملة للشيخ المهدي بوعدلي (ت 1412هـ)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية-الجزائر، ط1، 2013م.

(1) ينظر: «فهرسة الرّوداني الصغرى» مطبوع ضمن كتاب: «إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثة» (59).

(2) هكذا ضبطت في «تحفة الاعتبار».

(3) ينظر: «تحفة الاعتبار» (125).

- 6- اقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر، فهرس أبي سالم العياشي (11هـ-17م)، تحقيق ودراسة: نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم: 33، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المملكة المغربية، 1996م.
- 7- البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم المليتي المديوني التلمساني (كان حيا سنة 1025هـ)، تحقيق: أ.د عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1435هـ-2014م.
- 8- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش (ت 1991م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
- 9- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق: د. حسين نصار وعبد العليم الطحاوي، راجعه: عبد الكريم العزباوي وعبد الستار أحمد فرج، بإشراف: لجنة فنية بوزارة الإعلام، مطبعة الكويت، 1394هـ-1974م.
- 10- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق خان القنوجي البخاري (ت 1308هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1428هـ-2007م.
- 11- تاريخ الجزائر الثقافي، د. أبو القاسم سعد الله (ت 2013م)، عالم المعرفة، المحمدية-الجزائر، طبعة خاصة، 2011م.
- 12- تحفة الاعتبار فيما وُجد من الآثار بمدينة الجدار، جامع الكتابات الأثرية التلمسانية، اعتنى بإخراجه سي حمو بن روستان، بإشراف: شارل بروسلام، تقديم وتحقيق وتعليق: علاوة عمارة وفارس كعوان، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، مارس 2021م.

- 13- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن ميمون الجزائري، تقديم وتحقيق: د. محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.
- 14- تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (ت 1408هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1982م.
- 15- تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي (ت 1360هـ)، دراسة وتحقيق: د. خير الدين شترة، دار كردادة، بوسعادة-الجزائر، ط1، 1433هـ-2012م.
- 16- جذوة الاقتباس في ذكر مَنْ حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي (ت 1025هـ)، دار المنصور لطباعة الوراق، الرباط-المملكة المغربية، 1973م.
- 17- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، أبو العباس أحمد بن محمد، الشهير بابن القاضي المكناسي (ت 1025هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط1، 1435هـ-2014م.
- 18- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت 1111هـ)، دار صادر، بيروت-لبنان.
- 19- درة الحجال في غرة أسماء الرجال، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (ت 1025هـ)، تحقيق: د. محمد الأحمد بن أبي النور، المكتبة العتيقة، الزيتونة-تونس، مكتبة دار التراث، القاهرة-مصر.
- 20- الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت 900هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت-لبنان، ط2، 1980م.

- 21- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر مَنْ لقيته مِنْ أعلام الحضرتين مراكش وفاس، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ (ت 1041هـ)، المطبعة الملكية، الرباط-المملكة المغربية، ط2، 1403هـ-1983م.
- 22- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، علي صدر الدين المدني ابن أحمد نظام الدين الحسيني الحسني، المعروف بابن معصوم (ت 1119هـ)، يطلب مِنْ محل أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه بشارع الحلوجي، بنفقة سعادة عزيز بك سند، مصر، ط1، سنة 1324هـ.
- 23- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت 1360هـ)، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2010م.
- 24- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، المعروف بابن العماد (ت 1089هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-سوريا، بيروت-لبنان، ط1، 1406هـ-1986م.
- 25- صفوة مَنْ انتشر مِنْ أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، محمد بن الحاج بن محمد ابن عبد الله الصغير الإفرائي (ت 1138هـ)، تقديم وتحقيق: عبد المجيد الخيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء-المملكة المغربية، ط1، 1425هـ-2004م.
- 26- صلة الخلف بموصول السلف، محمد بن محمد بن سليمان الرُّوداني (ت 1094هـ)، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1408هـ-1988م.
- 27- طبقات الحُصَيكي، محمد بن أحمد الحُصَيكي (ت 1189هـ)، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح، الدار البيضاء-المملكة المغربية، ط1، 1427هـ-2006م.

- 28- العروس المجلية في أسانيد الحديث المسلسل بالأولية، صفّي الدين محمد بن أحمد البخاري الأثري (ت 1200 هـ)، تخريج: العلامة محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ)، تحقيق وتعليق: محمد بن ناصر العجمي، لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام (15)، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.
- 29- عقد الألماس في بيوتات علماء تلمسان في فاس، ويليهِ: زهرة الرّيحان في الصلّات العلمية بين فاس وتلمسان، د. محمد بن عزوز، دار الأمان، الرباط-المملكة المغربية، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية-الجزائر، ط1، 1440هـ-2019م.
- 30- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270 هـ)، ملف إلكتروني.
- 31- فهرس أحمد المنجور (ت 995 هـ)، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط-المملكة المغربية، 1396هـ-1976م.
- 32- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، عبد الحي ابن عبد الكبير الكتاني (ت 1382 هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط3، 1432هـ-2011م.
- 33- قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر، صالح بن محمد الفلّاني المالكي (ت 1218 هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، دار الشروق، مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية، ط1، محرم 1405هـ-أكتوبر 1984م.
- 34- كتاب التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، محمد بن الطيب القادري (ت 1124 هـ)، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

- 35- مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح، عيسى بن محمد بن يحيى اليحيوي الرّاسي البَطُوئي، دراسة وتحقيق: حسن الفكيكي، مركز طارق بن زياد للدراسات والبحوث، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط-المملكة المغربية، ط1، 2000م.
- 36- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض (ت 1996م)، دار الوعي، روية-الجزائر، ط1، 1436هـ-2015م.
- 37- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، دار صادر، بيروت-لبنان، 1397هـ-1977م.
- 38- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض (ت 1996م)، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت-لبنان، ط3، 1409هـ-1988م.
- 39- المناقب المرزوقية، أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني (ت 781هـ)، دراسة وتحقيق: أ. سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المملكة المغربية، ط1، 1429هـ-2008م.
- 40- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، محمد بن الطيب القادري (ت 1124هـ)، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط-المملكة المغربية، 1397هـ-1977م.
- 41- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1388هـ-1968م.
- 42- نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين، ابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ)،

دراسة وتحقيق: عبد الحليم بن ثابت، إشراف: أ.د أبو بكر كافي، كتاب ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 1438هـ-2017م.

43- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن التنبكتي (ت 1036 هـ)، عناية وتقديم: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس-ليبيا، ط2، 2000م.

44- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت 1399 هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجلييلة في مطبعتها البهية، إستانبول، 1951م، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

45- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب أهل المدينة، محمد البشير ظافر الأزهري (ت 1329 هـ)، طبع بمطبعة الملاجئ العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى، سنة 1324 هـ.

الرسائل الجامعية:

46- ١- كعبة الطائفين ومهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين (ج1)، محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجازولي (ق 11 هـ-17 م)، تقديم وتحقيق: قيداري قويدر، إشراف: أ.د شايف عكاشة، رسالة دكتوراه في الأدب الشعبي، غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، سنة 2012-2013م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- De la transmission du Recueil des traditions de Bokhary aux habitants d'Alger; Mohamed ben cheneb; Recueil mémoires et de textes; XIV congrès des orientalistes; professeurs de L'écoles supérieures des lettres et des médersas; alger; imprimerie orientale pierre fontana; 1906.

المحور السابع

خزائن ومكتبات

رواق المغاربة بالجامع الأزهر ونفائس المخطوطات الحديثية فيه

عادل عبد الرحيم محمد رفيع العوضي
باحث في التراث المخطوط



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه بنور اليقين، ومنح بأنوار علومه من اختاره
من عباده المؤمنين، وفتح أقفال قلوب علمائه بفتحه المبين، وأرشدتهم إلى تبين أحكام
الإسلام والدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمي الأمين، خاتم الأنبياء
 والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين.

أما بعد فأحاول من خلال هذا البحث تسليط الضوء على جزء من نفائس مخطوطات رواق المغاربة بالجامع الأزهر، واقتصرت فيه على المخطوطات الحديثة. تعتبر الأروقة⁽¹⁾ من التقاليد الراسخة التي ظلت لصيقة بالتاريخ العلمي للأزهر، وتعتبر جزءاً من تاريخه ومظهراً لانفتاحه على العالم الإسلامي، ويرجع نظام الأروقة بالجامع الأزهر إلى عصوره الأولى، وكان أول من جعل رواقاً لطلاب الأزهر يسكنون فيه هو العزيز بالله الفاطمي، ويبدو ذلك مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على ما قام به متولي النظر على الجامع الأزهر سنة 818هـ / 1415م من الأمر بإخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الإقامة به، حيث يقول: «إن لم يزل في هذا الجامع منذ بني عدة من الفقراء يلزمون الإقامة فيه، وبلغت عدتهم في هذه الأيام سبعمئة رجل ما بين عجم وزبالعة⁽²⁾، ومن أهل ريف مصر ومغاربة، ولكل طائفة منهم رواق يعرف بهم⁽³⁾» ثم أخذ الملوك والأمراء وأصحاب اليسار في تشييد الأماكن لسكنى الطلاب من مصريين وغرباء⁽⁴⁾.

واستمر نظام الأروقة بالجامع الأزهر على مر العصور، حيث كان لكل طائفة تنتمي إلى إقليم معين داخل مصر، أو قطر معين من الأقطار الإسلامية أو البلاد التي بها المسلمون رواق خاص بهم، وهذا التقسيم في الغالب كان على التقسيم الجنسي أو

(1) هناك فرق بين مصطلح الرواق كمصطلح معماري، وبين كلمة «الرواق» المستخدمة في الجامع الأزهر، فمصطلح الرواق من الناحية المعمارية له عدة معانٍ، أما «الرواق» في الجامع الأزهر معناه المبنى المكون من عدة طوابق استخدم مكاناً لإقامة طلبة العلم الملازمين للعلماء، حيث يقيم فيه الطلبة المغتربون من مختلف الأقطار الإسلامية، انظر: الموسوعة العربية العالمية 11 / 300، صفحات مشرقة من دور الأزهر في أفريقيا ص 19.

(2) نسبة إلى مدينة (زَيْلَع) وهي اليوم في جمهورية الصومال.

(3) ج 4 ص 57.

(4) الأزهر، عبد الحميد يونس وآخر، ص 48-49.

التقسيم المذهبي، وأهل الأروقة تصرف عليه الجرايات والمرتبات، ولكل طائفة نقيب وشيخ يحكمهم، ويدافع عنهم ويخاطب في مسألتهم أولي الأمر وشيخ العموم، كما أن لكل طائفة أوقافاً وعقارات يصرف عليهم من ريعها، وهي بخلاف الأوقاف العامة التي كانت على الأزهر⁽¹⁾، كما أنه لكل رواق مكتبة مستقلة يطلق عليه (كتبخانة)⁽²⁾ ويشرف عليها أمين يسمى (القيم).

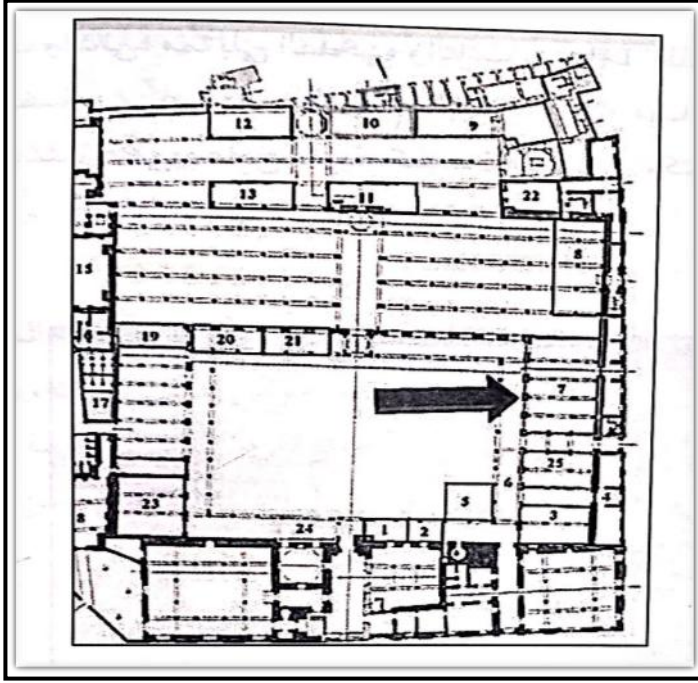
ومن الأبحاث المفردة حول أروقة الأزهر:

• أروقة الأزهر ودورها في دعم الترابط الثقافي بين مصر وشعوب العالم الإسلامي، راجية إسماعيل أبوزيد، جامعة المنصورة، كلية الآداب، ع48، 2011م، ص315-351.

ولعل أشمل دراسة مفردة حول أروقة الأزهر رسالة ماجستير للباحثة / شيماء محمد محمود الميهي بعنوان (أروقة وحارات الجامع الأزهر منذ العصر المملوكي حتى النصف الأول من القرن العشرين الميلادي 648هـ-1374هـ / 1250هـ-1954م «دراسة آثارية حضارية وثائقية») جامعة الفيوم، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، 1441هـ / 2020م، ص539.

(1) انظر: تاريخ الجامع الأزهر، ص300-305، الأزهر، عبد الحميد يونس وآخر، ص49.

(2) أي: دار الكتب.



مستط أفقي للجامع الأزهر يوضح موقع بعض أروقة الأزهر
والمشار إليه رقم (7) رواق المغاربة

التعريف برواق المغاربة وتاريخ نشأته

من بين أروقة الأزهر العديدة (رواق المغاربة) و الذي يعتبر من أقدم أروقة الجامع وأهمها⁽¹⁾.

يقع الرواق في الظلة الجنوبية من صحن الجامع الأزهر، وهو رواق خاص بأهل شمال إفريقيا، أنشأه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون⁽²⁾ على يد الوزير سعد

(1) تاريخ الجامع الأزهر، محمد عنان، ص 302.

(2) (736 – 762هـ) من ملوك الدولة الفلاوونية بمصر والشام، بويع صغيراً بمصر، وكان شجاعاً مهاباً، وافر الحرمة، وعالي الهمة، محباً للرعية، انظر: الأعلام ج 2 ص 216-217.

الدين بشير⁽¹⁾، وجدده الأشرف قايتباي⁽²⁾ سنة 881هـ / 1476م، وسجل أمر تجديد الرواق على بابهِ ونصهِ: (أمر بتجديده مولانا وسيدنا السلطان الملك الأشرف قايتباي على يد الخواجا مصطفى ابن الخواجا محمود غفر الله لهما)، وشهد الرواق زيارة عدد من العلماء منذ إنشائه، وللرواق ثلاثة أبواب واحد أمام باب رواق الأتراك⁽³⁾، والثاني مما يلي الصحن، والثالث من داخل ظلة القبلة، وهو يتكون من خمسة عشر عموداً من الرخام وتبلغ مساحته حوالي 240م⁽⁴⁾.

ونظراً لضخامة أوقاف رواق المغاربة، وكثرة طلابه، كان له بواب، وجاب، وكاتب، وكان يشترط فيمن يستحق مرتباته وجراياته أن يكون مالكي المذهب.

ولم يكن كل الطلبة الدراسين بالرواق يسكنون فيه؛ حيث تشير سجلات تعداد أهل الجامع الأزهر إلى أن كثيراً من الطلبة الممتنين للرواق يسكنون في الأماكن المحيطة بالجامع الأزهر⁽⁵⁾.

وتولى مشيخة الرواق عدد من العلماء عبر العصور.

ورواق المغاربة أفرد بعدة دارسات، ومما يَسَّر لي الوقوف عليه، ويحسن الاطلاع عليها للتعرف على الرواق ونشاطه:

1- رواق المغاربة بالأزهر الشريف، عبد الهادي التازي، مجلة دعوة الحق، ع229، شعبان-رمضان 1403هـ / مايو-يونيو 1983م.

(1) الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري، انظر: سلك الدرج 3 ص 270.

(2) (815-901هـ) المحمودي الأشرفي، سلطان الديار المصرية، كانت مدته حافلة بالعظام والحروب، وسيرته من أطول السير، واستمر إلى توفي بالقاهرة، انظر: ج 5 ص 188.

(3) يقع على يمين الداخل من باب المزينين، وهو من إنشاء الأشرف قايتباي سنة 873هـ / 1468م، ثم رُممه وزاد عليه الأمير عثمان كتخدا القازدوغلي، انظر: الجامع الأزهر ج 2 ص 570.

(4) الجامع الأزهر، ج 2 ص 569.

(5) صفحات مشرقة، ص 27.

2- العلاقات القديمة بين مصر والمغرب العربي: الرحلة العلمية المغربية الى مدينة القاهرة من خلال وثائق رواق السادة المغاربة بالجامع الأزهر بمصر، مجاهد توفيق الجندي، مجلة الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية - مجمع البحوث الإسلامية، باكستان، 1986م، ص 45-56.

3- طلاب وشيوخ ليبيا في رواق المغاربة بالأزهر الشريف «دراسة أثرية عمرانية ببيولوجرافية» في ضوء مجموعة من وثائق وسجلات الرواق النادرة التي تنشر لأول مرة، مجاهد توفيق الجندي، و عبدالمعز فضل عبدالرزاق، حولية الآثاريين العرب، ع13، 2010م، ص 1538-1573.

4- نماذج من المخطوطات الجزائرية في مكتبة رواق المغاربة بالأزهر الشريف في القاهرة، مجاهد توفيق الجندي، مجلة رفوف، جامعة أدرار، ع5، مارس 2015م، ص 227-257⁽¹⁾.

5- أوقاف رواق المغاربة بالأزهر الشريف مع قراءة في محضر قوانين وحجج أوقاف المغاربة (1336هـ / 1918م)، ناصر الدين سعيدوني، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، ع36، س19، رمضان 1440هـ / مايو 2019م، ص 128-160.

6- رواق المغاربة في الجامع الأزهر في العصر العثماني، حسام محمد عبد المعطي، مجلة الأزهر، ع3، يناير 2005م، ص 164-204.

(1) وأصله ورقة مقدمة إلى الملتقى الدولي الثاني حول المخطوط المنظم من طرف المخبر بعنوان: «المخطوطات الجزائرية في عيون العرب والمستشرقين» يومي 02 / 03 مارس 2015م.



صورة لرواق المغاربة من الداخل

نشأة المكتبة الأزهرية⁽¹⁾

قبل الحديث عن خزانة رواق المغاربة يحسن بنا الحديث عن نشأة المكتبة الأزهرية

إن المكتبة الأزهرية العامة من أشهر المكتبات في العالم يعرفها أهل البصر

(1) انظر مقدمة فهرس الأزهر الشريف، ج 1 ص 6-26، وأغلب الكتب التي تحدثت عن الأزهر ذكر فيها نشأة المكتبة والأطوار التي مرت بها، على أن أشمل دراسة أفردت حول المكتبة -على حسب إطلاعي- ما كتبه الشيخ أبو الوفا المراغي بعنوان (كلمة تاريخية حول المكتبة الأزهرية) وأصله مخطوط في المكتبة الأزهرية برقم خاص (4292) عام (55299) ونشر مؤخراً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (سلسلة البحوث الإسلامية 16/ 51)، وآخر ما وقفت عليه حول المكتبة من دراسة مفردة رسالة ماجستير للباحث/ خالد النادي عبد الجليل الحلواني بعنوان (مكتبة الأزهر الشريف ما ضيها وحاضرها ومستقبلها «دراسة تاريخية ميدانية») جامعة حلوان، كلية الآداب، قسم المكتبات والمعلومات، 2003م، 151ص.

بالكتب والباحثون عنها من الشرقيين والأوربيين ويشيرون إلى ما فيها من نفائس الكتب في مؤلفاتهم عن الكتب والمكتبات، والمكتبة الأزهرية ثانية دور الكتب في مصر من حيث عدد ما فيها من الكتب واحتوائها كثيراً من نواذرها.

ونظراً لعدم خضوع الكتب الموجودة بهذه الأروقة لأنظمة المكتبات، كان الانتفاع بها محدوداً، معتمداً على رؤية شيخ الرواق.

وإن كثيراً من نفائس الكتب والمخطوطات التي كانت مودعة في مكتبات الأروقة قد أصابها الضياع أو السرقة، وتم نقل بعضها.

فحين رُئي تنظيم الجامع الأزهر وتوحيد مكتبته ظهر وهن الضمائر وضعف النفوس وإهمال الواجب نحو الكتب التي لعبت بها أيدي الضياع فتسرب الكثير من نفائسها إلى المكتبات الكبرى في أوروبا، وخاصةً مكتبات باريس، وأهمل البعض الآخر للحشرات والأتربة فتلفت أوراقها وبليت ومزقت وخرمت وقطعت جلودها، ويظهر للباحث أن كتب الأزهر قبل سنة (1897م) كانت تتسرب لمتصيديها المتربسين بها متتهزين فرصة وجودها في عهدة أشخاص ملأ الجهل صدورهم وتبرأت الأمانة من قلوبهم بداعي الحاجة أو الإغراء فأساءوا للتعليم وخانوه جهلاً أو عمداء أو تقصيراً من أولي الشأن فبدد هؤلاء الأشخاص أثمن ما ترك السلف ثروة للخلف من هذه الكتب القيمة و تصرفوا فيها تصرف الملاك فباعوها مع نفاستها بالثمن البخس، يقول عبد الكريم سلمان⁽¹⁾: «كان في الأزهر خزائن كتب وضعت في بعض الأروقة والحرارات، وبعضها في المساجد القريبة، ونيط حفظها جميعاً بأشخاص يقال لهم: المفزيون، فتصرفوا فيها تصرفاً سيئاً للغاية، صحَّ معه إطلاق اسم المغيرين عليهم؛

(1) عبد الكريم سلمان عبد الكريم (1265 - 1336 هـ): فاضل مصري، من الكتاب، تعلم في الأزهر، وعين مفتشاً عاماً للمحاكم الشرعية. وكتب (سياحة الخديوي في أقاليم مصر البحرية والقبلية) الأعلام ج4 ص51.

لأنهم غيَّروا وضعها، وشتتوا جمعها، ومزقوا جلودها وأوراقها، وتركوا ما لا عناية لهم به منها في التراب، يأكله العث، ويئليه التراب، وهذا غير ما تصرفوا فيه تصرف الملاك، وصار بأيدي باعة الكتب، يُباع على نفاسته بالثمن البخس، ولم يُبال المتصرف الأول والباعة بما كتب على ظهور تلك الكتب من العبارات التي تفيد وقفها على طلبة العلم والعلماء وبالجملة فلم يكن ليعرف للكتب قيمة، ولا ينتفع بها لعدم إمكان الانتفاع»⁽¹⁾.

وفي نهاية القرن التاسع عشر عرضت فكرة إنشاء مكتبة عامة للجامع الأزهر على مجلس إدارة الأزهر، يتم فيها تجميع الكتب والمخطوطات المتناثرة بمكتبات الأروقة المختلفة، ويكون لها مكان محدد بالجامع الأزهر، تنظَّم وتحفظ به ما تبقى من ذلك التراث الإسلامي.

وفي الأول من شعبان عام (1314هـ / 1897م)، في عهد فضيلة الإمام حسونة النواوي⁽²⁾ - شيخ الأزهر آنذاك - صدر قرار مجلس إدارة الأزهر الشريف بإنشاء مكتبة عامة للأزهر الشريف، وتم نقل كتب الأروقة إلى الأماكن التي خصصت لها بالجامع الأزهر، إلا اليسير منها ومنها مكتبة رواق المغاربة.

وكان من فرط حماس الإمام حسونة النواوي للفكرة، أن قام فضيلته رحمه الله تعالى بإهداء وضم مكتبته الخاصة إليها؛ مما أثار حماس علماء وشيوخ الأزهر وأعيان ووجهاء المجتمع المصري وورثتهم لتزويد المكتبة بمجموعات قيمة من الكتب والمخطوطات، فقاموا بإهداء مكتباتهم الخاصة إليها.

وشغلت مكتبة الأزهر منذ صدور قرار مجلس إدارة الأزهر بتأسيس مكتبة عامة بالجامع الأزهر الأماكن التالية:

(1) ص 28 من كتابه أعمال مجلس إدارة الأزهر في عشر سنين، طبع المنار 1323 هـ.

(2) (1255 - 1343 هـ) ولد في نواي وتعلم في الأزهر، وتولى تدريس العلوم الشرعية في مدرسة الحقوق المصرية، وتنقل في مناصب القضاء، ثم ولي إفتاء الديار المصرية ومشیخة الجامع الأزهر مرتين له كتب، توفي في القاهرة، انظر: الأعلام ج 2 ص 229.

- المدرسة الآقباوية⁽¹⁾.

- المدرسة الطيرسية⁽²⁾.

- وفي عام (1963 م) أضيف إلى المكتبة الرواق العباسي⁽³⁾.

- وفي عام (1972م) صدر قرار صاحب الفضيلة وزير الأوقاف وشؤون الأزهر بإضافة مكتبات رواق الأثرالك، ورواق المغاربة، ورواق الشوام⁽⁴⁾ إلى إدارة مكتبة الأزهر الشريف بالأمكان نفسها بالجامع الأزهر، وهي تحتوي على آلاف المخطوطات.

أمّا المبنى الجديد للمكتبة فإنّ قرار إنشائه يعود إلى الشيخ محمد مصطفى المراغي، الذي تولّى مشيخة الأزهر عام (1928م)، لكنّه لم ينفذ في ذلك الوقت، وظلّ يتعثر حتى عهد الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، الذي أحيا قرار المشروع من جديد، ودفع به إلى مرحلة الاتفاق على إنشاء المبنى.

غير أنّ تنفيذ المبنى لم يتمّ إلا في عهد الشيخ جاد الحق، الذي تولّى مشيخة الأزهر في (17) مارس (1982م) حيث وضع المشروع موضع التنفيذ الفعلي وأنشأ

(1) تقع المدرسة الآقباوية على يسار الداخل إلى الجامع الأزهر الشريف من باب المزينين، وقد أنشأها الأمير علاء الدين آقبا، سنة (740 هـ - 1340م)، وهو من أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون، انظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج 1 ص 202.

(2) المدرسة الطيرسية على يمين الداخل إلى الجامع الأزهر الشريف من بابه الغربي الكبير، وقد قام الأمير علاء الدين الطيرس نقيب الجيوش المصرية بإنشائها سنة (709 هـ - 1309م)، انظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج 1 ص 201.

(3) الرواق العباسي: نسبة إلى عباس باشا حلمي الثاني الذي بناه في عام (1898م - 1315هـ)، انظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج 1 ص 214.

(4) وهو أيضاً من أقدم الأروقة وأهمها، وينسب إنشاؤه إلى السلطان قايتباي، وقد جددّه عبد الرحمن كتخدا وزاد فيه، وهو مخصص لطلاب سوريا وفلسطين والأردن ولبنان. انظر: تاريخ الجامع الأزهر ص 302.

المبنى الحالي والمكوّن من أربعة عشر طابقاً في حديقة الخالدين بالدرّاسة بجوار
مشيخة الأزهر الجديدة.

وفي عام (1994م) قام الأزهر الشريف بنقل مقتنيات مكتبة الأزهر من الأماكن
السالف ذكرها.

وكان لاهتمام شيوخ الأزهر الشريف بمكتبة الأزهر الأثر البالغ في إنتاج عدة
فهارس معتبرة متعددة الأشكال لمقتنياتها وإتاحتها في جميع أنحاء العالم، وكان أولها
فهرس مكتبة الأزهر في شكل الكتاب (ثمانى مجلدات) (1943م - 1951م).

و تميز هذا الفهرس بميزتين هامتين، وهما:

- وجود ترجمة كاملة لجميع المؤلفين سواء قديماً أو حديثاً.

- ووجود ملحق تاريخي للمخطوطات النادرة عقب كل فن من الفنون، رتبت فيه
المخطوطات ترتيباً تاريخياً.

وآخرها كان فهرس سقيفة الصفا بالتعاون مع مكتبة الأزهر عام (2016م).

نفائس المخطوطات الحديثة برواق المغاربة

كان من تمام التيسير على طلبة العلم أن يكون لكل رواق مكتبة خاصة به، تبتدئ
بعدد قليل من الكتب يوقفها أهل الخير ثم تتكاثر، وعلى هذا كان لكثير من الأروقة
مكتبات خاصة لا تخضع لنظم المكتبات التي عرفت أخيراً، بل كان الانتفاع بها متروكاً
لمن ينشره من أهل الرواق أو غيرهم، وهي من أغنى المكتبات⁽¹⁾.

وقد ذكر ضمن مخطوطات المكتبة الأزهرية مصحف شريف توجده نسخته في
مكتبة رواق المغاربة، وتقع في ألف صفحة ومكتوبة على رقّ غزال بخط مغربي، وقُدّر

(1) الأزهر في ألف عام ج2 ص147، الأزهر لعبد الحميد يونس، ص140.

تاريخ كتابته من سنة (25هـ) إلى سنة (35هـ)، والمصحف لا وجود له ضمن مخطوطات المكتبة الأزهرية⁽¹⁾.

كما ذكرنا سابقاً بأن الرواق كانت له شهرة واسعة، فمن الطبيعي أن تحتوي المكتبة التابعة لها على نفائس المخطوطات، فقد كان العلماء والأعيان يوقفون عليه نفائس الكتب، وكان نظام الإعارة في الرواق نظاماً فريداً ويسمى (التغيرة) وهو عبارة عن إعارة جزء من المخطوط وهو الملزمة منه لطالب، وإعارة الثانية لمن يليه، والثالثة لمن يليه وهلم جرا، وهكذا يستفيد من المخطوط الواحد أكثر من طالب، وفي هذا النظام عدة فوائد:

أولاً: فيه تشجيع على القراءة في المخطوط الواحد، واستفادة أكثر من طالب من المخطوط.

ثانياً: فيه ضمان عدم ضياع المخطوط، فإن إعارة المخطوط كاملاً، قد يهمله فتتفرق أوراقه أو تتمزق.

وبهذا استطاع المغاربة المحافظة على مكتبة رواقهم، وكان لا بد من ضامن معروف لدى أمين المكتبة يضمن المستعير، فإذا تلف المخطوط كان الضامن هو الغارم للمخطوط كله، ومع هذا كله تعرضت المكتبة لضياع ونهب جملة من مخطوطاتها⁽²⁾.

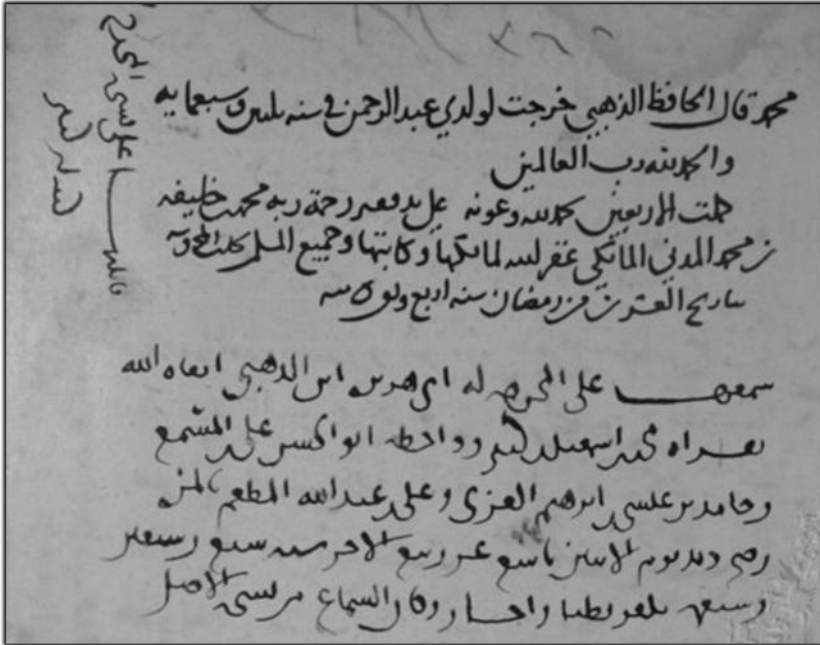
ولقد اخترت - فيما يلي - بعض المخطوطات الحديثة من الرواق للتعريف بها، وبيان نفاستها، ولم أقصد بعملتي حصر كل المخطوطات الحديثة النفيسة، فالمقام لا يتحمل ذكرها كلها.

(1) مقدمة فهرس الأزهر ج 1 ص 12.

(2) طلاب وشيوخ ليبيا في رواق المغاربة بالأزهر الشريف، ص 1544، 1547.

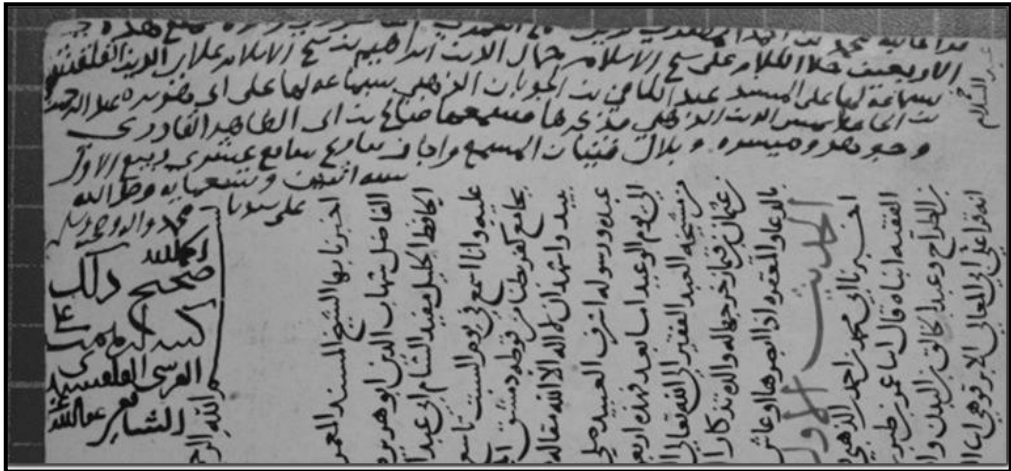
مجموعة رواق المغاربة بها نفائس أخرى كمصاحف ومخطوطات في التفسير والفقه وغيرها، وكذلك قيود الوقف على المخطوطات، وتستحق أن تفرد كل النفائس بعمل مستقل.

1- الأربعون حديثاً عن أربعين نفساً برقم (6231 حديث) 93320 المغاربة لعبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 799 هـ)



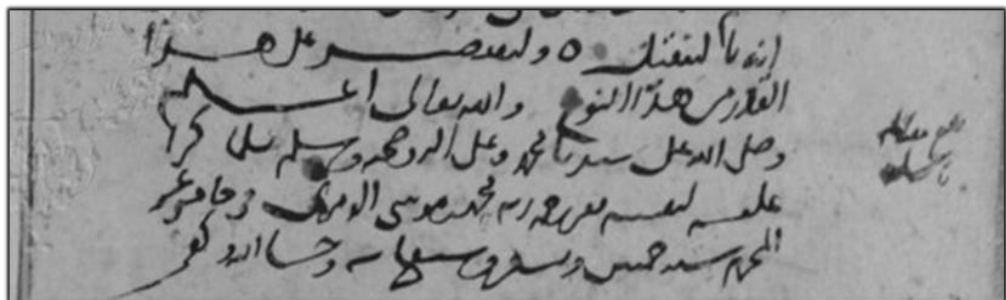
كتب هذه النسخة محمد بن خليفة المدني المالكي (ت 809 هـ) في حياة المُخرج له أبوهريرة ابن الذهبي، وكان الفراغ من نسخها في حلب 20 رمضان 794 هـ. وهي مسموعة على أبي هريرة ابن الذهبي في 19 ربيع الآخر 777 هـ، وكاتب طبقة السماع محمد بن اسماعيل بن كثير (ت 803 هـ تقريباً)⁽¹⁾، الذي قابل على نسخة ابن الذهبي.

(1) أفادني أخي د. محمد السريع أن الظاهر أن ابن كثير اطلع على هذه النسخة التي كُتبت متأخراً فنقل عليها سماعاً قديماً من نسخة أخرى، وهي نسخة الأصل التي يشير إليها في السماع والمقابلة. وأشكر أخي أ. محمود النحال الذي زودني بهذا المجموع.



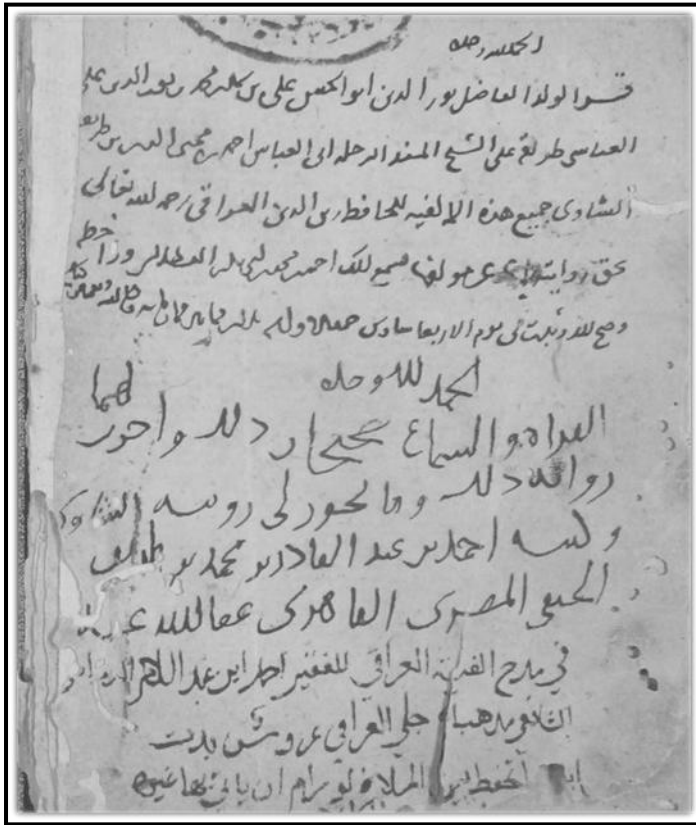
وعليها قيد قراءة محمد بن أحمد المظفري على الشيخ الجمال إبراهيم بن علي القرشي القلقشندي الشافعي (ت 922هـ) في 27 ربيع الأول 902هـ

2- الاقتراح في بيان الاصطلاح برقم (2076 مجاميع) 97622 المغاربة لمحمد بن علي بن وهب بن مطيع ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ)



وهي نسخة مقابلة، وكاتبها محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري (ت 880هـ) في 15 محرم 795هـ، وعلى هامشها تصحيحات.

3- ألفية العراقي في أصول الحديث برقم (1345 مصطلح حديث) 93477 المغاربة، لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (ت 806هـ) نسخة قريية العهد بالمؤلف كُتبت في 21 شعبان 897هـ



وفي آخرها قيد قراءة نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي العباسي على
 الشيخ أحمد بن عبد القادر بن محمد الشاوي الحنفي المصري القاهري (ت 884 هـ) في
 6 جمادى الأولى 883 هـ.

وكاتب القيد هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني
 (ت 923 هـ)، وأسفل القيد إجازة بخط الشيخ المقروء عليه.

4- التيسير في أحاديث البشير النذير (مختصر المجتبى⁽¹⁾) في أحاديث المصطفى
 لهبة الله ابن البارزي) برقم (6349 حديث) 93438 المغاربة.

(1) ذكر د/ عمرو الديب في مقدمة تحقيقه لكتاب «شرح السرعة في قراءات السبعة»: (المجتبى في أحاديث
 المصطفى، هكذا وجدت عنوانه على النسخة الخطية، وأيضاً صرح المؤلف باسمه في أول كتابه؛ وذكره
 له عدد من العلماء بعنوان: (المجتبى) فقط.

لسليمان بن شرف الدين أوشر بن بلاق الحنفي المعروف بقاضي حماة،
حي ق 8هـ⁽¹⁾.

والنسخة تمثل الجزء الأول من الكتاب، ونسخت في 6 ذي القعدة 772هـ، وذكر
المؤلف في مقدمة كتابه أنه بعد أن قرأ كتاب المجتبى على مؤلفه اختصر فيه كتاب
المجتبى وذلك لعسر استخراج الأحاديث منه لكثرة أبوابه.

والمختصر انتهى منه مؤلفه في حياة صاحب المجتبى بن البارزي، فقد ذكر في قيد
القرءاة الآتي ذكره أن محمد بن أحمد بن محمد الحمصي الحنفي المقروء عليه الكتاب
انتهى من قراءته على مؤلفه التركماني عام (733هـ) بحماة.

= وقد ذكر المؤلف منهجه فيه؛ فقال: «هو نخبة المنقول وخلاصة جامع الأصول، قصدت فيه - مع
الاختصار وحذف التكرار - الترتيب، الذي يقل لفظه، ويسهل معه حفظه».

وكتاب (المجتبى) هو ثاني المختصرات الثلاثة لابن البارزي لكتاب (جامع الأصول) لابن الأثير،
والذي يظهر أن الإمام البارزي لما صنف كتابه (تجريد جامع الأصول) مرتباً إياه على حروف المعجم
أراد أن يبتكر ترتيباً آخر له، فصنف (المجتبى)؛ وجعله مرتباً كالأبي:

القسم الأول: فيما اتفق عليه أصحاب الكتب الستة.

القسم الثاني: فيما اتفق عليه خمسة منهم.

القسم الثالث: فيما اتفق عليه أربعة منهم.

القسم الرابع: فيما اتفق عليه ثلاثة منهم.

القسم الخامس: فيما اتفق عليه اثنان منهم.

القسم السادس: فيما انفرد به كل واحد منهم.

والكتاب له نسخ خطية عديدة ولا أعلم أنه حقق إلى يومنا هذا.

(1) لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر.



النسخة في أول قيد قراءة علي بن علي بن علي بن سابق الرعيني الأندلسي
الغرناطي علي الشيخ محمد بن أحمد بن محمد الحمصي الحنفي وقيد القراءة في ذات
عام نسخ الكتاب، وإجازته له بالكتاب.

وفي أسفله إجازة بخط الشيخ المقروء عليه ونصه (صحيح ذلك جميعه وأذنت
لسيدنا الشيخ علاء الدين أبي لحسن علي القاريء المشار إليه أدام الله تعالى...
وأخبرتهم بذلك عن مؤلفه سيدنا ومولانا الشيخ الإمام قاضي القضاة علم الدين أبي
داود سليمان الحنفي المشار إليه أعلاه تغمده الله برحمته واسكنه بجنوة جنته).

5- جزء فيه أحاديث حديث أبي حفص عمر بن محمد بن علي الزيات
(ت 375 هـ) برقم (1891 مجاميع) 97437 المغاربة⁽¹⁾.

يقول محقق الجزء⁽²⁾: «ويتميز هذا الجزء بقرب عهد مصنفه من زمن الرواية، وقد احتوى على طرق، ومتابعات، وشواهد يحتاج إليها الباحث عند تحقيقه للحديث، أذكر على سبيل المثال أول ثلاثة آثار في الجزء عن الشعبي، وإبراهيم النخعي، والحسن بن حي، حيث تفرد أبو حفص بحفظها لنا، فلم أعر عليها في المصنفات المشهورة، وكذلك آخر حديث في الجزء وهو حديث ابن عمر: «من يرد الله أن يهديه يوفقه»، حيث أخرجه الخطيب من طريق أبي حفص، فكان أصل الطريق في هذا الجزء، وثم فوائد أخرى يلحظها الباحث».

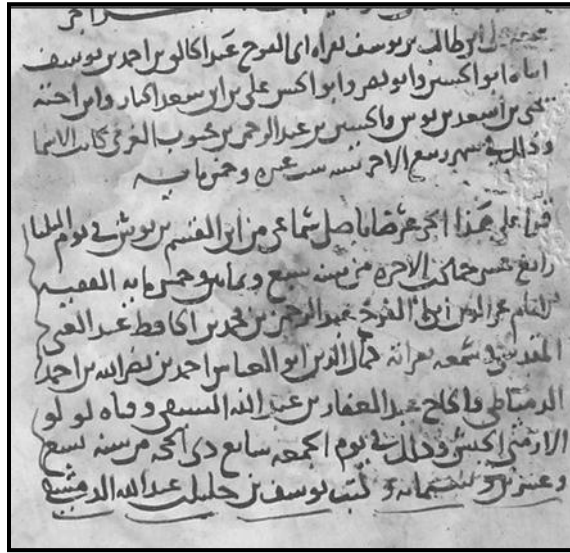
والجزء كعادة الأجزاء الحديثية عليه عدة قيود سماع وقراءة.

أولها قيد سماع على أبي طالب بن يوسف، وكاتب السماع هو الحسين بن عبدالرحمن بن محبوب الغزي.

وقيد قراءة عبدالرحمن بن محمد بن الحافظ عبدالغني المقدسي، وكاتب قيد هو المحدث يوسف بن خليل بن عبدالله الدمشقي.

(1) والمجموع يضم عدة أجزاء أخرى عليها سماعات، والمقام لا يستع لذكرها، منها الجزء الأول من حديث أبي عمرو عثمان بن أحمد الدقاق المعروف بابن السماك (ت 344 هـ) وأبي محمد جعفر بن محمد بن نصير الخواص الخلدي (ت 348 هـ)، وبيان المسند والمرسل والمنقطع لعثمان بن سعيد بن الداني (ت 444 هـ)، والجزء الرابع من الفوائد العوالي للقاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفي الأصبهاني (ت 489 هـ)، وفوائد منتقاة من مقامات المشايخ، لمحمد بن عبد الله بن تاكوت الشيرازي.

(2) ص 5، طبعة أولا الشيخ.



- 6- شرح الزرقاني على الموطأ في الحديث للإمام مالك برقم (6138 حديث)
 93227 المغاربة، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني الأزهري المالكي
 (ت 1122 هـ)، في مجموعة رواق المغاربة عدة نسخ نفيسة من هذا الشرح.



مكتوبة في حياة المؤلف في 25 رجب 1112 هـ، ثم قوبلت في 8 رمضان 1112 هـ.

نسخة أخرى برقم (6141 حديث) 93230 المغاربة.

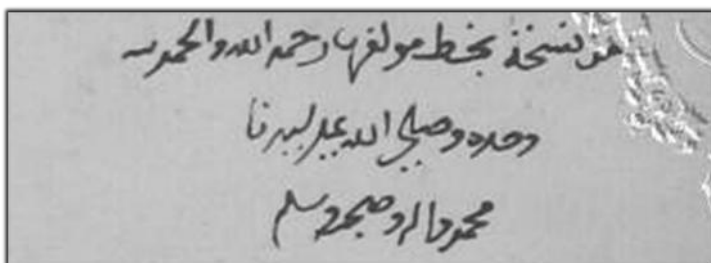


منسوخة في 13 جمادى الآخرة 1133 هـ، وقوبلت على نسخة بخط المؤلف في 16 رجب 1135 هـ.

والنسخة التي برقم (6137 حديث) 93226 المغاربة، قرية العهد بوفاة المؤلف كونها منسوخة في 15 جمادى الآخرة 1129 هـ.

1- صحيح البخاري برقم (6070 حديث) 93159 المغاربة.

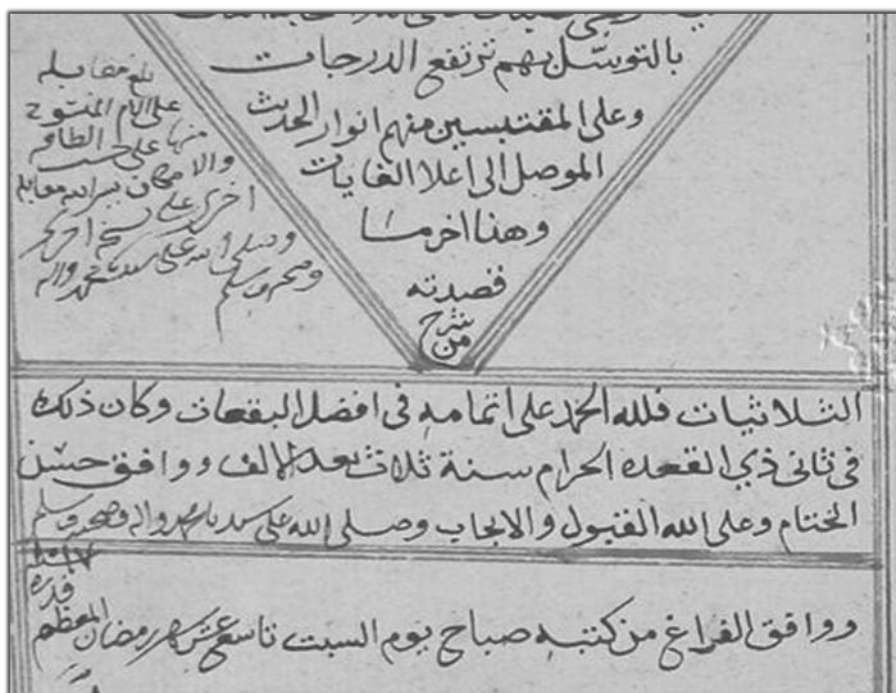
في آخر النسخة سماع على المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الرومي البغدادي المنشأ عتيق ابن باقا.



نسخة منقولة عن نسخة المؤلف

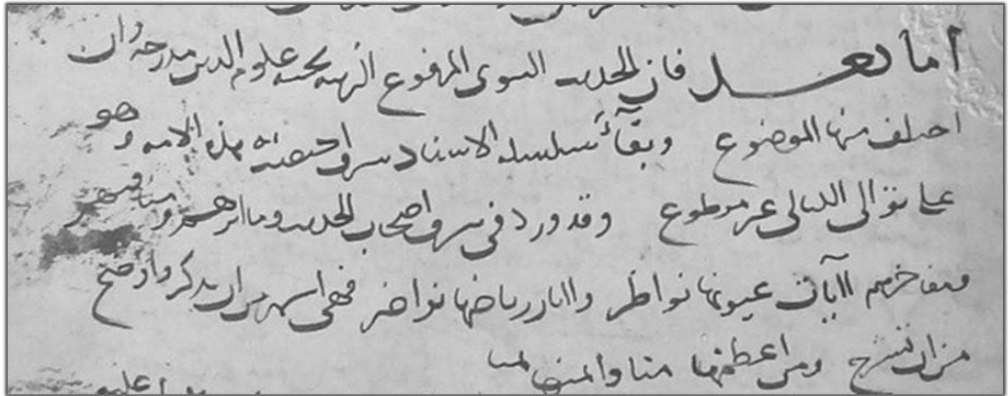
5- كفاية القاري في شرح ثلاثيات البخاري برقم (6080 حديث) 93169 المغاربة.

للشيخ حميد الدين السندي ثم المكي الحنفي (ت 1009 هـ) انتهى من شرح الثلاثيات في 2 ذو القعدة 1003 هـ، والنسخة قريبة العهد من المؤلف كُتبت في 19 رمضان 1017 هـ كما أنها مقابلة على النسخة الأم المنسوخ منها.



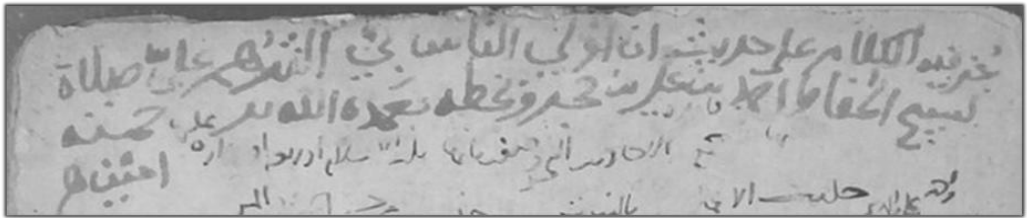
6- الكلام على حديث «إن أولى الناس بي أكثرهم عليّ صلاة» برقم (1891 مجاميع) 97437 المغاربة.

للحافظ ابن حجر، ضمن مجموع يحتوي على عدة رسائل نفيسة، سيأتي ذكرها.



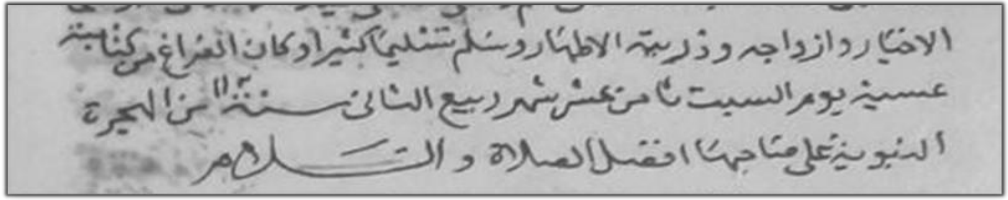
والجزء بخط الحافظ ابن حجر، وهو ظاهر للعارف بخطه.

وأكد على ذلك ما كتبه محمد بن أحمد المظفري⁽¹⁾ على أول ورقة من المخطوط (جزء فيه الكلام على حديث «إن أولى الناس بي أكثرهم عليّ صلاة» لشيخ الحفاظ أحمد بن علي بن حجر وبخطه تغمده الله برحمته، آمين).

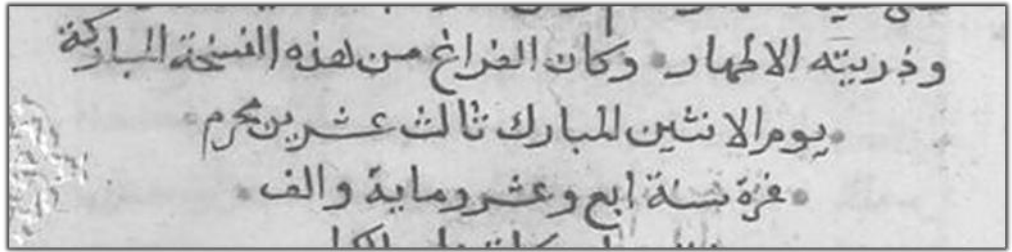


7- لآلئ الدرر في اختصار المختصر (مختصر مختصر المقاصد الحسنة) برقم (6345 حديث) 93434 المغاربة، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني الأزهري المالكي (ت 1122هـ).

(1) انظر ترجمته: الضوء اللامع ج 7 ص 76.



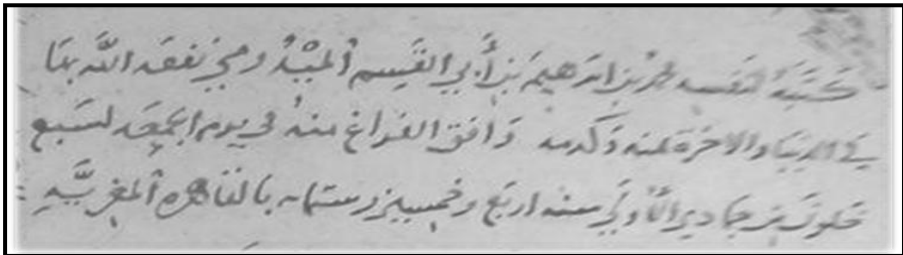
نسخة كُتبت في حياة المؤلف، في 18 ربيع الأول 1112 هـ.
ونسخة أخرى برقم (6341 حديث) 93430 المغاربة.



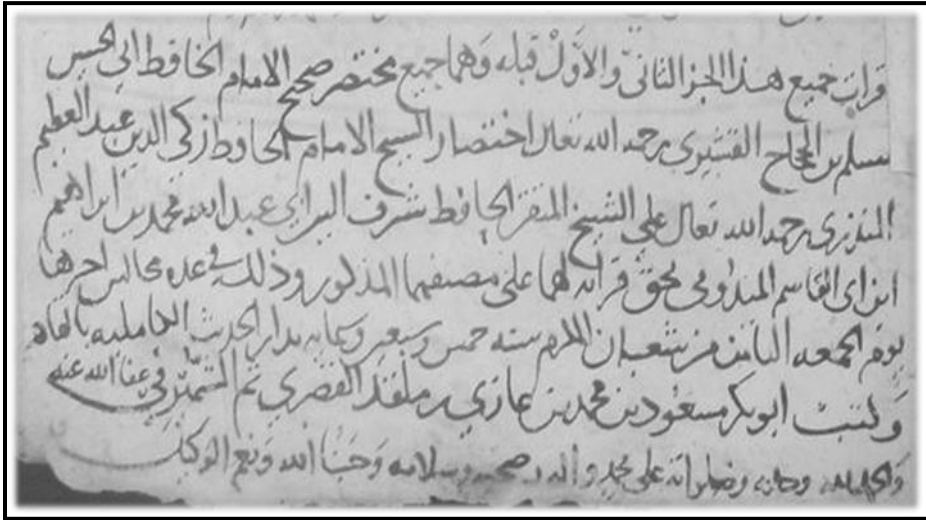
كُتبت في حياة المؤلف أيضاً، في 23 محرم 1114 هـ.
نسختان برقم (6339 حديث) 93428 المغاربة ضمن مجموع واحد، وفترة
نسخهما قريبة من عهد المؤلف، الأولى في 13 ربيع الأول 1126 هـ، والأخرى في 16
ذي الحجة 1123 هـ.

8- مختصر صحيح مسلم برقم (6120 حديث) 93209 المغاربة.
لعبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري المصري الشافعي أبو محمد زكي
الدين (ت 656 هـ).

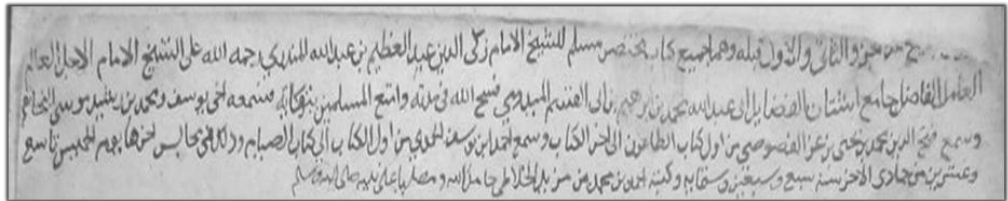
والنسخة بخط مالكةا المحدث محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عنان
الميدومي (ت 683 هـ) انتهى من نسخها في عام (654 هـ).



والنسخة عليها قيود سماع عديدة عليه، منها قيد قراءة مسعود بن محمد بن غازي بن ملقد القصري الشُّميري في 8 شعبان 675هـ بدار الحديث الكاملية بالقاهرة.



وسماع أحمد بن محمد بن مزيد الخلاطي في عدة مجالس آخرها يوم الخميس 29 جمادى الآخرة 677هـ.



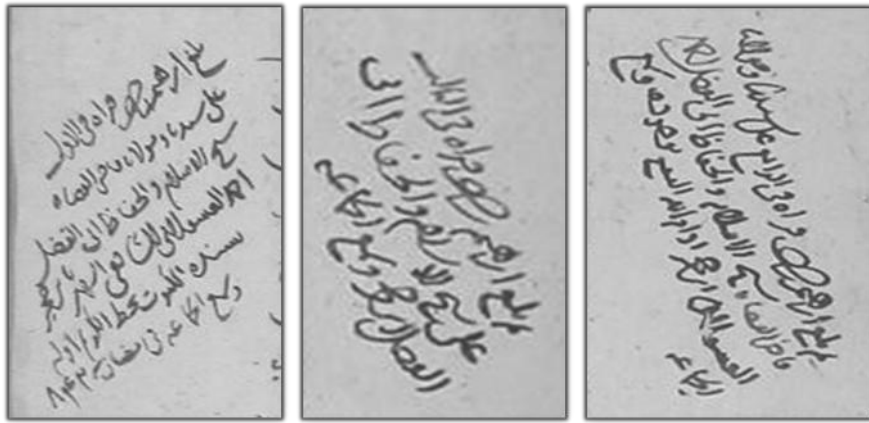
9- مساوىء الأخلاق ومذمومها وطرائق مكروهاها⁽¹⁾ برقم (6394) حديث (98421 المغاربة.

لمحمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري الخرائطي (ت 327 هـ).

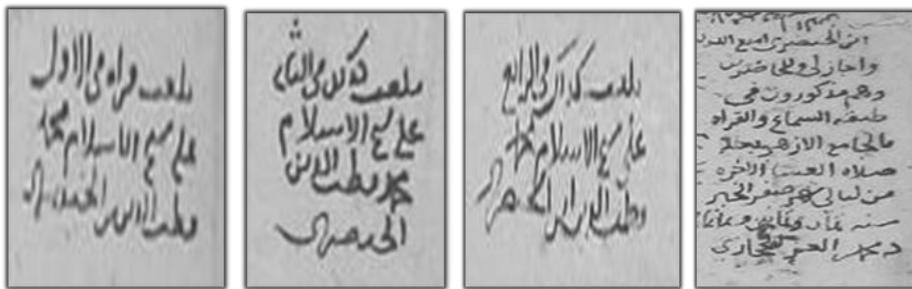
(1) ذكر الشيخ نشأت كمال المصري (طبع قديماً على نسخة المكتبة الأزهرية، وهي نسخة نفيسة، لكن يعثرها شيء من التحريف والتصحيف والسقط، وهو كثير نسيباً، والحمد لله رب العالمين، وأكرمني الله تعالى بالوقوف على نسخة المكتبة الظاهرية وهي نسخة نفيسة جداً، فأسهمت في ضبط النص وتتميم السقط، إضافة لنسخة مكتبة قسطنطيني، إضافة لنسختين ناقصتين من الظاهرية كذلك).

هذه النسخة مليئة بقيود السماع والقراءة، منها قيود السماع على المحدث يوسف بن خليل بن قراجا عبد الله الدمشقي أبي الحجاج (ت648هـ).

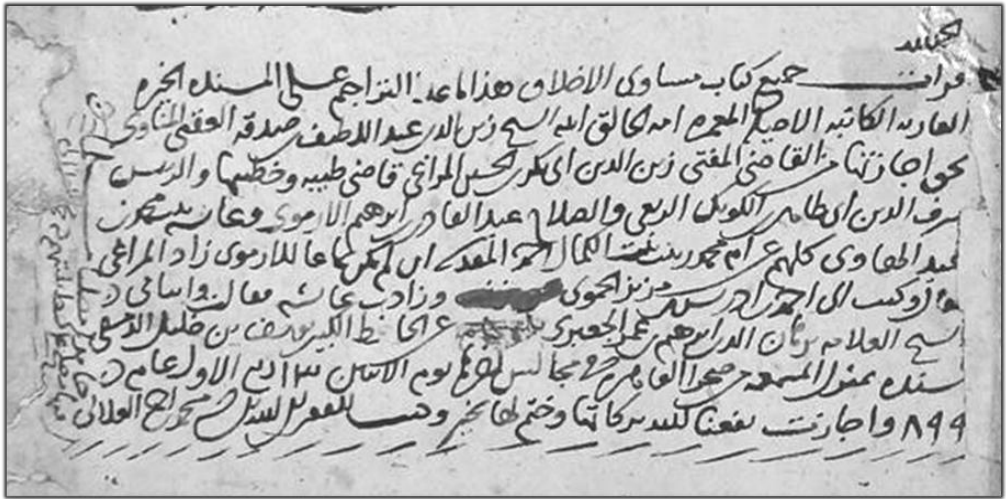
كما أنها قرأت على الحافظ ابن حجر، كما هو مثبت على اللوحات (15 أ، 54 ب، 84 ب، 118 ب) و منها في رمضان عام 843 هـ.



وكذلك على قطب الدين محمد بن محمد الخيضرى الدمشقي الشافعي (ت894هـ) كما في البلاغات على الورقات (9ب، 21ب، 32أ، 43ب، 55ب، 76ب) والقارئ هو محمد بن العز الحجازي (كان حياً في 912هـ) والقراءة كانت بالجامع الأزهر في شهر صفر عام (888 هـ).



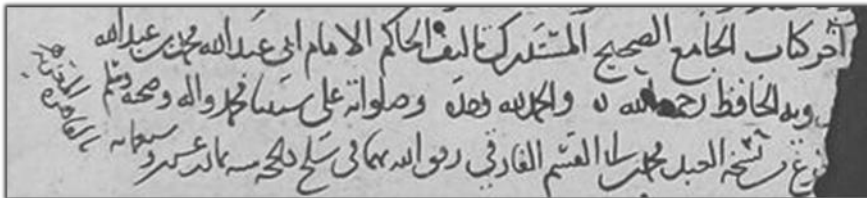
وقيد قراءة على الشیخة المعمرة أم الخير أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبی القاهري (ت902هـ) وكاتب القيد هو محمد بن أحمد العلائی الحنفی (ت918هـ) في مجالس آخرها 13 ربيع الأول 899 هـ.



10- المستدرك على الصحيحين⁽¹⁾ برقم (6122 حديث) 93211 المغاربة
لمحمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم النيسابوري (ت 405 هـ).

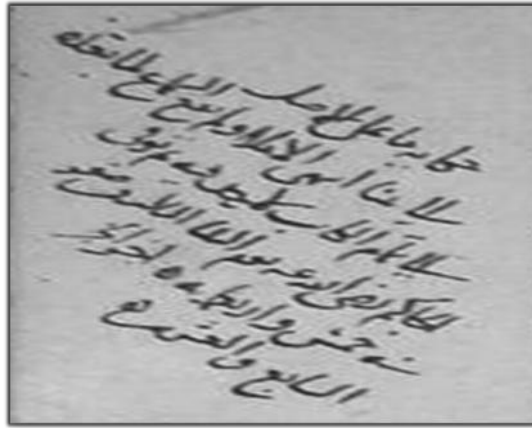
وهي من النسخ الكاملة للكتاب، مع ما تخللها من سقط في بعض المواضع، وقد قُسمت هذه النسخة إلى أربعة أجزاء، وهي من أتقن نسخ الكتاب، ومن دلائل جودتها وإتقانها أنها نسخة مقابلة ومُصححة من الأصل المنقول عنه، فتجد على بعض الحواشي قيود المقابلة والإلحاقات والتصحيح.

كما أن النسخة عليها إشارات إلى فروق النسخ وبيان الصواب منها.
ناسخها محمد بن أبي القاسم بن إسماعيل بن مظفر الفارقي (ت 761 هـ) في
سلخ ذي الحجة سنة (728 هـ) في القاهرة المعزية.

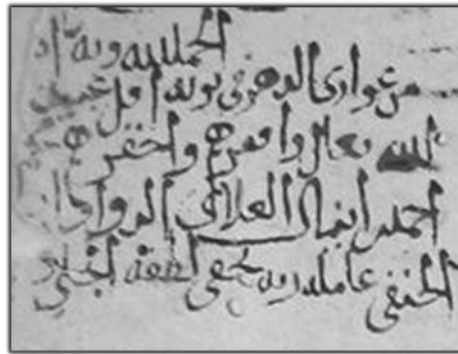


(1) انظر وصف النسخة بتوسع في طبعة دار الميمان ج 1 ص 121-154، وطبعة دار المنهاج القويم.

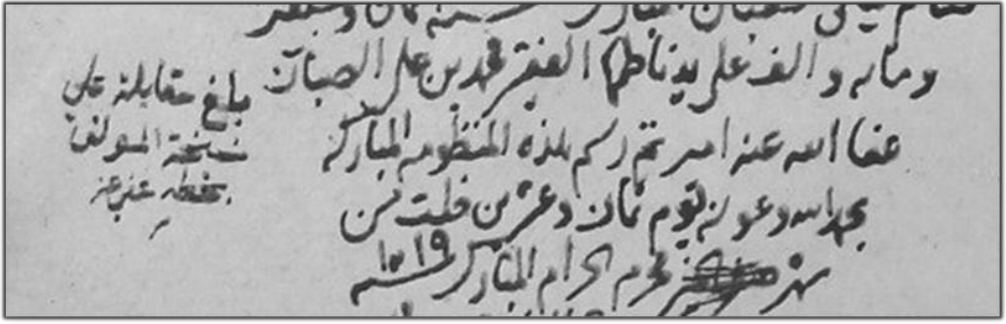
من فوائد هذه النسخة ما جاء في الجزء الثالث على طرة اللوحة (ل271أ):
(حكاية ما على الأصل: إلى هنا انتهى الإملاء، ولم يقع السماع لما بعده إلى تمام
الكتاب لأحد فيه، ثم تُوفي الحاكم -رضي الله عنه- يوم الثلاثاء الثالث من صفر سنة
خمس وأربعمائة).



ومن قيود التملك على النسخة تملك أحمد بن إينال العلالي الظاهري
(ت 884هـ) ونصه «من عواري الدهر في نوبة أقل عبيد الله تعالى وأقصرهم وأحقهم
محمد بن أحمد بن إينال العلالي الدوادار الحنفي، عامله ربه بحفي لطفه الجلي
والخفي».



11- منظومة الصبان في ضبط أسماء رجال صحيحي الإمامين البخاري
ومسلم والموطأ برقم (1368 مصطلح حديث) 93500 المغاربة.
لمحمد بن علي الصبان النحوي المصري (ت 1206 هـ).



نسخة قريبة العهد بالمؤلف، ومقابلة على نسخته، وبهامشها تصحيحات.

وفي الختام فإن وفقت فمن الله وإن ابتعدت عن الصواب فمن نفسي، ولعلمي أنه لا يصل إلى الكمال أحد، فالكمال لله وحده، وأقول متمثلاً بما قاله صاحب «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»: «وأنا قد اعترفت بقصوري فيما اعتمدت عن الغاية، وتقصيري عن الانتهاء إلى النهاية فأسأل الناظر فيه أن لا يعتمد العنت ولا يقصد قصد من إذا رأى حسناً أثبتته وعبياً أظهره.

وليتأمله بعين الإنصاف لا الإنحراف، فمن طلب عبياً وجداً وجد، ومن افتقد زلل أخيه بعين الرضا فقد فقد، فرحم الله امرئاً قهر هواه، وأطاع الإنصاف ونواه، وعذرنا في خطإ إن كان منا، وزلل إن صدر عنا، فالكمال محال لغير ذي الجلال، فالمرء غير معصوم والنسيان في الإنسان غير معدوم، وإن عجز عن الاعتذار عنا والتصويب، فقد علم أن لكل مجتهد نصيب، فإننا وإن أخطأنا في مواضع يسيرة، فقد أصبنا في مواطن كثيرة»⁽¹⁾.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الصافات، 180-182].

* * * *

(1) ج 1 ص 11.

مكتبة العلامة ابن التلاميذ التركي الشنقيطي (ت1322هـ)

التراث المنسي

محمد علي أمسين

عضو المجلس العلمي المحلي - إقليم طانطان

مقدمة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد: فيلّف موضوع الخزانات والمكتبات الخاصة بصحراء المغرب وشنقيط، كثير من الغموض من حيث نشأتها وتطورها ومآلها، وقد اشتهرت بالمنطقة مكتبات كالمكتبة المجلسية والمكتبة المعينية، ومكتبة أهل حَامَن، ومكتبة أهل السبتى وغيرها، على كثرتها وخمول ذكر بعضها.

ويأتي هذا البحث للتعريف بأحد المكتبات الشهيرة في العالم العربي والإسلامي - مكتبة ابن التلاميذ - وإزالة الغُش عن بعض مواضعها وسيرورتها التاريخية. وقد سلكت فيه على نهج ارتضيته كالاتي: المحور الأول ترجمة صاحب المكتبة تناولت معظم المطالب التي تعرف بابن التلاميذ. والمحور الثاني استهدفت فيه التطرق الى مكتبة ابن التلاميذ في النقط الآتية: - مكتبة ابن التلاميذ وروافدها - مؤلفاته، إضافاته للمكتبة العربية والإسلامية. ثم خاتمة.

المحور الأول: ترجمة صاحب المكتبة

نسبه واسمه:

هو محمد محمود بن أحمد بن محمد بن أحمد التُّركُزي الشَّنْقِيطي المغربي، فالتركزي نسبة إلى قبيلة تركز، وهي إحدى القبائل الممتدة من جنوب المغرب إلى موريتانيا، قال سيدي أحمد: «والنسبة إلى هذه القبيلة تُركُزي، والاسم مشتق من جدِّهم عبد الرَّحمن الرَّكاز، الذي يذكر أنَّه كان رجلاً صالحاً ذا كرامات».⁽¹⁾ والشنقيطي نسبة إلى إقليم شنقيط المشهور آنذاك، وهو موريتانيا حالياً. المغربي نسبة، إلى المغرب الأقصى.

وأشار إلى هذا التركزي بقوله:

أنا التُّركُزيّ الشَّنْقِيطيُّ محمد لي الله محمود على الذَّبِّ عن جِذمي⁽²⁾
أنا المغربيّ المشرقيّ حميَّة أذُبُّ عن القطرين بالسَّيف والسَّهم

اشتهر محمد محمود بـ«ابن التلاميذ» وهي مصحَّفة من كلمة التلاميذ، كما ذكر صاحب الوسيط،⁽³⁾ ويعود هذا اللقب إلى والده أحمد، الذي اشتهر بمحضرة يأوي إليها التلاميذ فاشتهرت الخيمة باسم خيمة التلاميذ.⁽⁴⁾ وذكر أحمد تيمور سبب التسمية بقوله: «وسبب ذلك على ما أخبرني به - يقصد شيخه ابن التلاميذ - أنَّه كان يقرئ تلاميذ

(1) مجلة آفاق الثقافة والتراث، مقال: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، سيدي أحمد سالم (ص: 78).

(2) الحماسة (ص: 17-8).

(3) الوسيط (ص: 381).

(4) قال محمدنا لمحبوبي: «التلاميذ بدال مهملة وهي تصحيف كلمة التلاميذ باللهجة الحسانية». أدب

الرحلة (ص: 210).

في خيمة انفرد بها، فكان كل من يسأل عنه يقول أين خيمة التلاميذ؟ ثم أطلق هذا اللقب عليه»⁽¹⁾.

مولده وموطنه:

تضاربت الأقوال في تحديد سنة ولادة ابن التلاميذ بين الباحثين، وذكر سيد أحمد قولين في ذلك⁽²⁾، وأضاف إليه صاحب «قطف العناقيد» قولاً ثالثاً⁽³⁾ ورجّح رواية أحمد تيمور، أنه ولد سنة (1245هـ / 1829م) لكونه تلميذاً لابن التلاميذ ومُصاحباً له⁽⁴⁾.

وقد بيّن سبب هذا التضارب محمدن المحبوبي بقوله: «لا بد من التّنبّه إلى شُحّ المصادر المتعلقة بأخبار الرجل وارتحاله.. ولم نتكمن من ضبط ميلاد الشيخ إلا عن طريق الافتراض، وذلك راجع إلى ندرة الوثائق والتدوين أيام ولادته....»⁽⁵⁾.

أمّا موطنه الذي ولد فيه، فلا يبعد كثيراً عن الخلاف هو أيضاً. يقول المحبوبي: «أمّا مكان الولادة فهو غير معروف كذلك، إلا أنّ بعض الدّارسين، يذهب إلى أنه ربما كان في إحدى نقاط التلاقي بين منطقة البراكنة وهضبة تكانت»⁽⁶⁾.

وهذه المنطقة هي ضواحي أشرم، كما عبّر سيد أحمد بقوله: «أمّا مكان الميلاد فهو ضواحي اشرم بمنطقة تكانت في وسط موريتانيا»⁽⁷⁾.

(1) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث (ص: 269).

(2) مجلة آفاق الثقافة والتراث «مقال: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، سيدي أحمد سالم» (ص: 79). والقولان هما: قول أحمد تيمور باشا والقول الثاني لويس معلوف أنه ولد سنة 1260هـ.

(3) قطف العناقيد (ص: 18).

(4) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث (ص: 269).

(5) أدب الرحلة (ص: 209).

(6) أدب الرحلة (ص: 209).

(7) مجلة آفاق الثقافة والتراث «مقال: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي سيدي أحمد سالم» (ص: 79).

منشأه وتعلمه:

لم تسعف المراجع كثيراً عن مرحلة المنشأ والتلمذ، لدى ابن التلاميذ. لكن المعروف أن البداية الشنقيطية في هذه الفترة، تعرف نشاطاً معرفياً وثقافياً حيويًا. ونشأ مترجمنا وتربى، كما ينشأ غلمان ذلك الزمان، في هذا الجو المفعم بعبق المعرفة والعلم، أخذ العلوم الأولية عن والده فحفظ عليه القرآن الكريم، وحثه على الأخذ، كما في جاء في حماسته نظمًا:

بالعلم أوصاني أبي وحضني عليه صغيرا كي أسود بني عمي⁽¹⁾

و كان للأسرة والعائلة دور أيضا في تزويده بالمعارف، كما هي عادة البادية البيضانية، فذكر في إجازته التي نحن بصدد تحقيقها، وأعاد القول نظمًا في حماسته:

غذاني بدر العلم أرف والد وأرحم أم لم تُبْني على غم
ولم يَظْطَماني عنه حتى رويته عن الأب ثم الأخ والخال والأم⁽²⁾

بعد هذا الأخذ الأولي عن الوالد والعائلة، أخذ عالمنا في الرحلة للطلب، قاصداً المحاضر العلمية في بلده، عند شيوخها وأعلامها الذين أسهموا في صقل مواهبه، وتعدد معارفه وعلومه.

شيوخه:

✓ أحمد بن أحمد بن الهادي اللمتوني.⁽³⁾

(1) الحماسة القسم (9/1).

(2) الحماسة القسم (2/1).

(3) معجم المؤلفين في ولايتي العصابة والحوض (ص: 82).

✓ عبد الوهاب بن أكتوشني العلوي المشهور ب: اجدود (ت 1289هـ)⁽¹⁾ أخذ عنه اللغة والأدب.

✓ الشيخ محمد الصغير، أخذ عنه في الأصول: مراقي الصعود للعلوي⁽²⁾.

✓ القطب كمال الدين سيدي بن الهيبة، أخذ عنه الطريقة القادرية⁽³⁾.

✓ المختار بن بونا الجكني⁽⁴⁾.

✓ محمد المختار بن محمد ابن الأعمش الجكني (ت 1287هـ) أو أحمد يكن بن محمد⁽⁵⁾، أخذ عنه بمدينة تندوف، علم الحديث⁽⁶⁾.

تلامذته:

لا شك أن منزلة ابن التلاميذ وذيوخ صيته، تجعل منه قبلة لطلبة العلم، ووجهة للاستفادة والتزود، لكن الأحوال التي عاشها ابن التلاميذ كعدم استقراره، وتعدد رحلاته وأسفاره، لم توفر الجو للطلب والملازمة، ورغم ذلك استفاد منه خلق، منهم الأمراء والعلماء والأدباء وطلبة علم وغيرهم، كلهم تلقوا عن الشيخ، إما تتلمذاً أو مصاحبة ومذاكرة أو إجازة، ومن هؤلاء الذين تلقوا عنه واستفادوا منه، نذكر:

- أحمد تيمور باشا (ت 1930م)، كتب لشيخه ترجمة في كتابه أعلام الفكر الإسلامي⁽⁷⁾.

(1) الوسيط (ص: 381).

(2) قطف العناقيد (ص: 20).

(3) قطف العناقيد (ص: 20).

(4) أعلام الشناقطة في الحجاز (ص: 248).

(5) معجم المؤلفين في ولايتي العصابة (ص: 82).

(6) سوس العالمية (ص: 166)، أعلام الفكر (ص: 369).

(7) أعلام الفكر الإسلامي (ص: 369).

- عبد الجليل بن عبد السلام برّادة (ت 1327هـ)⁽¹⁾، من محبي الشيخ بالمدينة المنورة في أول الأمر، ومن المستفيدين منه.

- أحمد حسن الزيات (ت 1968م)⁽²⁾ قرأ عليه شرح المعلقات السبع.

- محمد توفيق البكري الصديقي (ت 1932م)⁽³⁾، تلقى عنه غريب اللغة وآدابها، وكتب من إملأه أراجيز العرب.

أما الذين أجازهم فنذكر منهم:

- أبا شعيب بن عبد الرحمن الدكالي الصديقي المغربي (ت 1937م)⁽⁴⁾ المحدث العلامة، مفتي الحرم المكي، أخذ عنه إجازة بمصر.

- حسن رجب السقاء المصري (ت 1908م)، خطيب الأزهر الشريف، قرأ عليه رسائل المعري، وهو صاحب الإجازة التي سأحدث عنها.

صفاته ومكانته العلمية:

ترك ابن التلاميذ الشنقيطي بصمة على الساحة العلمية والأدبية، وكان له صيت وشهرة جعل أقرانه وتلامذته، ومن سمعوا به يدعون في وصفه والثناء عليه، وممن أبدع في وصفه تلميذه أحمد تيمور باشا إذ يقول: «الأستاذ العلامة الحجة الثقة إمام اللغويين في عصره، شيخنا محمد محمود (...) وكان رحمه الله نحيفاً أسمر اللون»⁽⁵⁾.

(1) الوسيط (ص: 381).

(2) قطف العناقيد (ص: 33).

(3) موسوعة أعلام العرب (1/ 4-1).

(4) معجم الشيوخ (ص: 241).

(5) أعلام الفكر الإسلامي (ص: 371).

ويصفه تلميذه أحمد حسن الزيات أيضا: «إنَّه هيكَل ضَّئيل وبَدَن نحيل، ووجه ضامر، ولون أخضر، وصوت خفيض، فمن يراه أوَّل مرَّة لا يصدِّق أنَّ هذا الجِرم الصَّغير، قد جاب البرَّ والبحر، وطاف الشَّرق والغرب (...) وكان يلبس قفطاناً أبيض من القطن، ويرتدي جُبَّة دكَّاء من الصَّوف، ويعتَمَّ عِمامة مكِّيَّة قد أرخى لها عذبة على ظهره»⁽¹⁾. هذا الوصف الدَّقيق يبين مدى مخالطة التلميذ لشيخه وتعلقه به.

تصدَّر صيت الشَّنقيطي عند القاصي والدَّاني، وكانت له مكانة عالية في العلم والأدب، يعجب بها العدو قبل الصَّديق، وقصب سبق في اللغة وأشعار العرب والدَّواوين الشعرية؛ يقول عبد الجليل برادة مُبيناً ذلك عند قرظه لأحد مؤلفاته: «إنَّ ابن التلاميذ قد أتى في هذه الحاشية بالعجب العجائب، من التَّمييز بين الحق والباطل والخطأ والصَّواب»⁽²⁾.

وهذا ما أكده أحمد الزيات في وصفه له: «كان آية من آيات الله في حفظ اللغة والحديث والشعر والأخبار والأمثال والأنساب...»⁽³⁾.

ومدحه تلميذه أحمد تيمور باشا بقوله: «واستظهر من المتون وأشعار العرب شيئا كثيرا، لم يذهب من حفظه حتى مات، واشتهر باللغة والأنساب وانفرد بهما»⁽⁴⁾. ومما يشهد للرجل بعلو الهمة، انقطاعه الكُلِّي لخدمة العلم وحبّه له، والسَّهر على تدقيق جرثومته وأسراره، قال تيمور باشا عند مقدم الشيخ من المدينة المنورة: «واستحضر أهله وكتبه من المدينة، وأقبل على المطالعة والإفادة إلى أن توفي»⁽⁵⁾.

(1) مجلة آفاق الثقافة والتراث «مقال: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي سيدي أحمد سالم» (ص: 80).

(2) الحماسة (ص: 107).

(3) مجلة آفاق الثقافة والتراث «مقال: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، سيدي أحمد سالم» (ص: 80).

(4) أعلام الفكر (ص: 370).

(5) أعلام الفكر (ص: 371).

وقال أيضاً: «وكان لا يملّ المطالعة ليلاً ونهاراً حتى أضنته كثرة الجلوس»⁽¹⁾.

أما مكانته العلمية والأدبية وعلو كعبهما فيهما فنجليها في ما يلي:

- أنه من رواد الحركة الأدبية، وأحد أعمدتها الأوائل في القرن التاسع عشر -
محمود سامي البارودي وغيره، ومن المؤسسين الذين مهدوا له في الأزهر الشريف؛
تقول الكاتبة نعمات فؤاد: «وعلى ذكر الأدب والأزهر تخاليل الأدباء صورة الشيخ
محمد محمود الشنقيطي والشيخ سيد المرصفي..» إلى أن تقول: «وكم ضمت هذه
الدار كوكبة تنتظم الشيخ محمد عبده والشنقيطي الكبير ومحمود سامي البارودي
والشيخ رضا.....»⁽²⁾.

وما يكاد طالب العلم المصري، والأزهري خاصة، أن يشبّ طوقه في العلم
والمعرفة، حتى يسمع بابن التلاميذ، حديثاً بين طلاب العلم، وفي المجالات المعرفية
المختلفة، وقد أوماطه حسين إلى ذلك في مذكراته⁽³⁾.

- مُساجلاته الفكرية ومُناظراته العلمية، التي ملأ صداها في ذاك الوقت أصقاع
العالم العربي والإسلامي⁽⁴⁾، وكانت إحدى السمات التي تطبع حياة الشنقيطي أينما
حلّ وارتحل. يقول العالم والفقهاء المغربي أحمد بلعراف: «وأخباره في المشرق طويلة
عريضة في النضال مع علماء تلك البلاد»⁽⁵⁾. وهذا ما وصفه به «محمد يوسف مقلد»

(1) نفس المرجع (ص: 371).

(2) أدب الرحلة (ص: 217) نقلاً عن قمم أدبية (ص: 393).

(3) هذه الصحف والمجلات هي: الضياء لليازجي، ومصباح الشرق للمويلحي، والمؤيد لعلي يوسف.
موريتانيا في الذاكرة العربية (ص: 232). المجموعة الكاملة (ص: 1/ 343).

(4) منها ما كان في مجالس علمية كالذي وقع في مصر في محفل علمي حضره شيخ المالكية وثار فيها النقاش
حول مسألة الخف. الوسيط (ص: 390) ومنها كتابة: كرده على علامة اليمن المسمى عكاش. الوسيط
(ص: 381).

(5) إزالة الريب والشك في ذكر المؤلفين (ص: 147).

أيضاً بـ: «يتضح من سيرة التركي، أنه كان عالماً كبيراً وافر الحيوية والنشاط في الأوساط العلمية والدينية محباً للجدل، ومن المعلوم أن الجدل العلمي يبعث الحركة والحيوية في أوساط العلماء».⁽¹⁾

إنّ ما ميّز شخصية ابن التلاميذ عن غيره من الشناقطة، الذين زاروا الديار الحجازية والمصرية، ويكاد يكون فيها وحيد دهره، أنّه قوّل للحق، لا يخاف في ذلك لومة لائم، لا يماري ولا يُداهن أحداً، كيفما كان صديقاً أو عدوّاً، ولا يتنازل عن حقّه، صدّاحاً به في جميع المحافل والمناسبات،⁽²⁾ واعتزازه بنفسه وشموخه وكبريائه، مع حدة في الطبع، وقد جرّ عليه هذا الطبع الوليات، وأفسدت عليه الأنصار والأولياء، وهو ما يكاد يجمع عليه الباحثون في خلقه، يقول تلميذه أحمد تيمور إنّّه كان: «قوّلاً للحق ولو على نفسه مع حدة طبع زائدة، ولهذا لم يتتفع به إلا القليلون».⁽³⁾ أما سيدي أحمد فوصفه بقوله: «وكان ابن التلاميذ حاد الطّباع قوي العارضة جوابه حاضر، ودليله مقنع مفحم ولسانه سليط».⁽⁴⁾

ورغم هذا كله فقد كانت للرّجل مكانة علمية مرموقة، نال بها حظوة لدى السّلاطين والأمراء، وأهل الثّقافة والمعرفة والعلم، وأصحاب الجاه، إكراماً له وتبجيلاً، مع صفاء سريره، وغيرته على العلم والتّراث خوفاً عليهما من التّحريف والتّصحيح. وأبدع شاعر سوريا إبراهيم أفندي في مدحه بأبياته:

(1) شعراء موريتانيا (ص: 536).

(2) مثاله، عندما وصف صديقه عبد الجليل برادة، بالحمار، فكانت القشة التي قسمت ظهر البعير بينهما وسببا من أسباب خروجه من المدينة المنورة. انظر الواقعة في الوسيط (ص: 393) وما وقع أيضاً بينه وبين السلطان عبد الحميد، الوسيط (ص: 392) وغيرها من النماذج نكتفي بهاذين.

(3) أعلام الفكر الإسلامي (ص: 371).

(4) مجلة آفاق الثّقافة والتّراث «مقال: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، سيدي أحمد سالم» (ص: 81).

من أفق شنقيط في أعلى فروق بدا بدر سنا فضله في الكون مشهود
فعاله وسجاياه وسيرته ووصفه واسمه في الناس محمود⁽¹⁾

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي، توفي عالماً وأصمعي عصره كما قيل، بعد تشييع جنازة صديقه محمود سامي البارودي، في اليوم الموالي، الجمعة 23 شوال سنة 1322 هـ الموافق ل: ديسمبر 1904 م⁽²⁾.

المحور الثاني: مكتبته التراث المنسي

أولاً: مكتبة ابن التلاميذ وروافدها

تُعد مكتبة الشيخ العلم ابن التلاميذ، من المعالم الكبرى في حياته العلمية، إذ خلدت ذكره بين أهل الثقافة والمعتنين بالتراث العربي الإسلامي عامة، يقول طه حسين: «ويذكرون له مكتبة غنية بالمخطوط والمطبوع في مصر وفي أوروبا»⁽³⁾.

(1) أعلام الشناقطة في الحجاز (ص: 249).

(2) مصادر ترجمته: الحماسة أو الرحلة بقسميها طبعت سنة 1319 هـ. الوسيط (ص: 381)، المحيط بالمهم من أخبار صحراء المغرب وشنقيط (2/ 176-180)، شعراء موريتانيا (ص: 528)، الموسوعة المغربية - معلمة الصحراء - (ص: 188)، بلاد شنقيط (ص: 270) أعلام الفكر الإسلامي (ص: 369)، مجلة آفاق للثقافة والتراث «محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، سيدي أحمد سالم» (ع 10 ص: 78) موريتانيا في الذاكرة العربية (ص: 224)، أدب الرحلة في بلاد شنقيط (ص: 210)، معجم المؤلفين في ولايتي العصابة والحوض (ص: 82)، حجاج مهاجرون (ص: 183)، كتاب: قطف العنايق من ترجمة الشنقيطي ابن التلاميذ، معجم المؤلفين (11/ 313)، الأعلام للزركلي (ص: 89/7)، أعلام الشناقطة في الحجاز (ص: 248-252)، العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم (218-219).

(3) مجلة آفاق للثقافة والتراث «مقال: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، سيدي أحمد سالم» (ص: 81).

وتظهر قيمة المكتبة بالرسالة التي كتبها ابن الأمين الشنقيطي، إلى الفقيه السالك بن بابه، يُنَوِّه فيها بمكتبة الشيخ وبنفاستها، وأنها احتوت على ما يزيد من ألفي كتاب ما بين مخطوط ومطبوع⁽¹⁾.

لقد بذل ابن التلاميذ جهداً في تحصيل هذه المكتبة الثرية، التي كان أول أمرها ببلدته، ثم اشتهرت بالمدينة المنورة، وانتقلت بعد ذلك إلى الديار المصرية، واستطاع بعصاميته أن تكون ذات قيمة علمية ونفاسة تراثية، رغم ما مرَّ به ابن التلاميذ من الخطوب، يقول جعفر الناصري في كتابه المحيط: «وكانت خزائنه الغنية جامعة لأشتات المؤلفات المختارة من المخطوطات المتقاة والمطبوعات الممتازة نتيجة الأسفار (..) من صحاري شنقيط وتندوف إلى مصر والشام والحجاز وبلاد الترك والعجم والأندلس»⁽²⁾.

إنَّ مكتبة ابن التلاميذ إحدى المكتبات الشنقيطية المهمة، التي لم تلق كبير اهتمام من قبل الدارسين والباحثين، رغم احتوائها على النفائس المخطوطة، والفهارس القيمة، والتحقيقات الجيدة. لذا كان حريّاً على الباحث أن يبحث عن روافد هذه المكتبة، التي يمكن حصرها في ما يلي:

❖ رحلاته المكتبية، عرف عن ابن التلاميذ رحلاته المتعددة، خاصة إلى المكتبات العالمية؛ فقد سافر إلى مكتبات لها من الشهرة العلمية ما زاد رصيده المعرفي في عالم الكتاب، يقول تلميذه أحمد تيمور: «فأكرمه السلطان عبد الحميد، وعرف قدره وأوفده سنة 1304هـ، إلى باريس ولندن والأندلس، للاطلاع على ما في خزائنها من

(1) موريتانيا في الذاكرة العربية (ص: 233 هامش).

(2) المحيط بالمهم من أخبار صحراء المغرب وشنقيط (2/178).

الكتب العربية النادرة»⁽¹⁾ وهذا ما يؤكد جعفر الناصري بقوله: «كان شغوفاً بالكتب جماعاً لها بحاثاً عنها، طوّافاً في الآفاق والخزائن العلمية بالعالمين: الشرقي والعربي»⁽²⁾.

❖ النسخ والشراء، كان الشيخ مولعاً بالمطالعة والقراءة، مُتعلق الخاطر بالكتاب، يقتنيه بأي وسيلة كانت، فإنّ حال حائل دونه، سعى إلى نسخه، وكان أعجوبة في ذلك، يقول حمّاه الله ولد السالم: «كان لا يَمَلّ من تتبع مظان نواذر التّصانيف فحصل عليها بالنّسخ أو الشراء»⁽³⁾.

لقد كانت يدُ ابن التلاميذ، تُطاوعه في النسخ والضبط والمراجعة والتنقيح حتى يهلك⁽⁴⁾، وقد ذكر له صاحب «قطف العناقيد» ستة وخمسين كتاباً، كلّها بخط يده المغربي الجميل الواضح الجلي، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- القراءة خلف الإمام، لأبي عبد الله البخاري، نسخه (سنة 1303هـ).

- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، لأبي عبد الله المرزباني، نسخه سنة 1305هـ).

- ذيل الأمالي لأبي علي إسماعيل بن عيذون، نسخه (سنة 1292هـ)⁽⁵⁾.

ويحوم معظم نسخ خط يده، حول الأدب والدواوين الشعرية واللغة. ويظهر هذا تخصص الشيخ في هذا الجانب وشغفه به.

(1) أعلام الفكر الإسلامي (ص: 370).

(2) المحيط بالهم من أخبار صحراء المغرب وشنقيط (2/ 176).

(3) موريتانيا في الذاكرة العربية (ص: 234).

(4) ممثلاً قول القائل: «الكتاب كالمكّلف لا يرفع عنه القلم حتى يهلك أو يتلف».

(5) قطف العناقيد ص: (81.76).

❖ حظوته عند السلاطين والأمراء، وإكرامهم له، ومن الإكرام هدايا الكتب.

❖ كما وشّح ابن التلاميذ مكتبته بمؤلفاته، وإن كانت على رؤوس الأصابع⁽¹⁾، وبالفهارس التي وضعها للكتاب العربي في المكتبات العالمية، كفهرسته للمكتبات الأندلسية - الإسبانية حالياً - أكثرها مكتبة الاسكوريال ب 400 ونيف مخطوط⁽²⁾، يقول محمد عبد الحي الكتاني في كتابه «تاريخ المكتبات الإسلامية»: «كما وقفت في تونس على برنامج، عمله لها أيضا محمد محمود الشنجيطي، لما وجهه إليها السلطان عبد الحميد»⁽³⁾. وقد سمّاه - البرنامج - ابن التلاميذ: «أسماء أشهر الكتب العربية الموجودة بخزائن دولة إسبانيا سنة 1305هـ/ 1888م»⁽⁴⁾.

وبما نسخه من المؤلفات أو استنسخه له غيره.

هذه أهم روافد مكتبة ابن التلاميذ التي يشار إليها بالبنان في ذلك العهد، ويكفي لهذه المكتبة الشنقيطية الخارجية المنشأ⁽⁵⁾، أنها احتوت نفائس الدرر من المطبوعات النادرة، وأعلاق النفائس من المخطوطات العتيقة التي قدرت بالمئات⁽⁶⁾، ويكفيها شرفاً أنها تعد أحد روافد مكتبة دار الكتب المصرية المشهورة. وأوقف عددا من كتبه

(1) انظر تفصيل ذلك مجلة آفاق الثقافة والتراث «مقال: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، سيدي أحمد سالم» (ص: 84)، وأدب الرحلة (ص: 218)، وقطف العناقيد (ص: 36).

(2) قطف العناقيد (ص: 68).

(3) تاريخ المكتبات الإسلامية (ص: 209).

(4) تاريخ التراث العربي (ص: 13) وقد طبع المشتشرق الفرنسي ليفي بروفنسال هذا البرنامج سنة 1956م.

(5) أشار إلى هذا محمود أمين بقوله: «وفي خارج موريتانيا مثل مكتبة العلامة محمد محمود بن التلاميذ (..)

جمع خلالها مكتبة تضم مئات الكتب المخطوطة والمطبوعة». مدخل إلى تاريخ البداوة (ص: 81).

(6) أوصلها بعض الباحثين 345 مخطوطا محفوظة بدار الكتب المصرية برمز (ش) في الفهارس. العناقيد (ص: 73).

عليها، «جمع مكتبة نفيسة بها نفائس من المخطوطات وقف منها على الكتب المصرية (754) في حياته»⁽¹⁾.

يقول سيد أحمد: «ترك ابن التلاميذ ثلاثة أنماط من الآثار: أ- كتب مؤلفة أو محققة، ب- معارك ومساجلات علمية، ج- شعره»⁽²⁾. ومما يدل على نفاسة المكتبة وصيتها الواسع، ما حكاه الناصري في كتابه الفريد «المحيط» بما أخبره به الزركلي بنصه: «أخبرني الشيخ خير الدين الزركلي سفير المملكة العربية السعودية بالمغربية، أنه رأى بعض كتب مكتبة هذا العالم الشنقيطي، في خزانة الجامعة العبرية اليهودية بالقدس، وفي ذلك عبرة وذكرى»⁽³⁾.

ثانيا: مؤلفاته:

ترك العلامة ابن التلاميذ ثلة من الرسائل والمؤلفات سارت بذكرها الركبان، وتناولتها أيدي العلماء بالنظر والبحث والتدقيق، وهي في مجملها، إمّا سجل علمي، أو حاشية لكتاب، أو رحلة علمية أو إجازات، احتضنتها المكتبات الخاصة والعامة، من المغرب الأقصى إلى بلاد الشرق العربي وبلاد الغرب أيضا، بعضها مطبوع وبعضها الآخر لا زال مخطوطا. وهي:

- الحماسة السنية، الكاملة المزية، في الرحلة العلمية، الشنقيطية التركزية.
- وهي أول مؤلف طبع في حياته سنة 1319 هـ وهي تتضمن سيرته الذاتية.
- إحقاق الحق وتبرئ العرب مما أحدث عاكش اليميني في لغتهم ولامية العرب، بطبع بتحقيق بدر العمراني الطنجي، در ابن حزم.

(1) العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم (ص: 219).

(2) مجلة آفاق الثقافة والتراث «مقال: محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، سيدي أحمد سالم» (ص: 74).

(3) المحيط بالمهم من أخبار صحراء المغرب وشنقيط (2/ 180).

- عذب المنهل والمعل، والمسمى صرف ثعل. وهي أرجوزة ذكرها أحمد تيمور.
- طهارة العلم المستنجي من نجاسة الجهل البرزنجي.
- رسالة في خُفِّ الرِّسول ﷺ.
- الحق المبين المضاع في ردِّ اختلاف الجهلة الأوغاد الوضاع⁽¹⁾.
- وبعض المؤلفات الأخرى ذكرت في المبحث الآتي:

ثالثاً: إضافاته العلمية للمكتبة العربية والإسلامية:

رهن ابن التلاميذ الشنقيطي حياته، لخدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط والمطبوع ضبطاً وتصحيحاً، وأعماله في هذا المجال مشهودة ظاهرة، ومن أوائل العلماء الذين اعتنوا بضبط نصوص عربية في اللغة والأدب، وقام بنهضة في هذا المجال، واعية جامع، يرجع إليه كما وصفه النَّاصري في المحيط: «وما وهبه الله من المواهب التي أهله لذلك، واشتغاله بتصحيح المطبوعات والاحتياج إليه في ذلك، والاعتماد عليه في اللغة والنحو والأدب وأيام العرب، والرجوع إليه في ذلك كله، وكان الواعية الجامع لها على طراز من تقدمه من أئمتها»⁽²⁾.

لكنَّ الرجل لم يلتفت إليه في هذا الجانب، ولم تذكر آثاره في مجال ضبط النّص وتحقيقه إلا بشكل محتشم جداً، ليس منه مهرب حين تدعو الضرورة القصوى إليه، ويكون المرور على ذكر اسمه مرور الكرام، وهذا لعمرى من العَجَب العُجَاب، فكيف لرجل في القرن التاسع عشر ملاً صيته الآفاق، وتنبه إليه العدو قبل الصديق، أن يغبن حقه إلى هذا الحد مراعاة لأمزجة الناس في كتب التاريخ والتراجم.

(1) قطف العناقيد (ص 66).

(2) المحيط بالمهم من أخبار صحراء المغرب وشنقيط (2/ 178-179).

وهذه بعض أمارات خدمة التراث العربي الاسلامي عند ابن التلاميذ:

- القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر الفيروز آبادي (ت 817هـ)،⁽¹⁾ قابل الشيخ هذا المعجم مع نسخ كثيرة، أهما النسخة الرسولية التي ضبطت على المؤلف 122 مرة. وقد اهتبل بها الشنقيطي غاية عندما حصل عليها، ونظم قصيدة تُبين مدى اعتناؤه بها، فقال:

ختمت بحمد الله مُلهم حُكمه قلمس مجد الدين قاموس علمه
ضربت له في الأرض حتى وجدته بخط أنيق حوله صحّ باسمه
وقال أيضا:

فصار بفضل الله للأصل عُمدة وحرّرت ما قد حاد عنه بفهمه⁽²⁾

وقد طبع القاموس على نسخة الشنقيطي، وجاء في تقديمه قول مُدبجه نصر الهوريني: «قد بذلنا غاية في تصحيح هذا المطبوع، قابلناه أولاً، على نسخة إمام اللغة الخطير وأستاذها الكبير، المرحوم الشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي».

- المَخَصَّص، لابن سيده المرسى (ت: 458هـ)، هذا المعجم العتيق في اللغة العربية، اعتكف عليه ابن التلاميذ ضبطاً وتنقيحاً حتى قال: «أنا قتيل المخصص».

يقول عبد السلام هارون: «وتكونت لجنة لنشر المخصص لابن سيده في 17 مجلداً وكان أبرز أعضائها محمد عبده وكان مفتياً في ذلك الوقت، وحسن عاصم، وعبد الخالق ثروت، الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء، ومحمد النجاري، وقام بتصحيحه والتعليق عليه الإمام الشنقيطي الكبير»⁽³⁾.

(1) الحماسة (1/ 15.14).

(2) الحماسة (1/ 141).

(3) قطوف أدبية (ص: 43).

ومن اهتمامه هذا، أنه شرع في تأليف كتاب حوله سماه: «بيان العلم المرصص في أوهام المخصص»⁽¹⁾

- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (ت 356هـ)، وهو تصحيح وضبط لما وقع من تصحيف في طبعته الأولى - الطبعة البولاقية - شملت تصحيحات مفيدة وتعليقات فريدة، لم تأت على الكتاب كله، وجردها الشيخ محمد عبد الجواد الأصمعي، ونشرت مستقلة سنة 1334هـ، بعنوان: «تصحیح کتاب الأغاني بقلم صفوة العلماء المحققين، وعمدة الباحثين، الإمام اللغوي الحجة الثقة محمد محمود الشنقيطي».

ولن يجرؤ على تصحيح هذه العلق العتيق في اللغة والأدب إلا جهيد تحرير، لذا نجد وصف محمد عبد الجواد لإقدام ابن التلاميذ على الأغاني بقوله: «ولم يكن في وسع أحد ليقدم على تصحيح هذا الكتاب الجليل القدر، سوى ذلك الإمام الذي اشتهر في المغارب والمشارق بالبحث والتحقيق، والنبوغ الفائق في التدقيق، فلقد كان أعلم أئمة اللغة العربية في وقته، وأعرفهم بغريبها، وأحفظهم لأنساب العرب وتاريخهم، لذلك امتازت نسخته بما دونه بخط يده على هوامشها، وفي كلماتها، وفي ثنّيات سطورها بتصحّياتها المفيدة، لا سيما وأنه صحّح غلطات غامضة، لا تكاد تدركها الأفهام، ولا يعلمها إلا الراسخون في العلم، وقليل ما هم»⁽²⁾.

- الألفاظ المترادفة، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 384هـ). وهو من الأصول أيضاً، التي ضبطت على تصحيحات وتنبهات محمد محمود الشنقيطي، جاء في مقدمة شارحها محمد محمود الرافعي: «وبعد أن شرحتها شرحاً موجزاً يكشف غامضها، ويفصح عن غريبها ليقرب على الطالب تناول فائدتها، ويسهل للمتعلّم اجتناء

(1) الحماسة (2/ 84).

(2) مقدمة تصحيح كتاب الأغاني.

ثمراتها، بعد أن صححتها وضبطت ألفاظها على الإمام الحجة الشهير أستاذنا الشيخ محمد محمود الشنقيطي»⁽¹⁾.

- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، شارك محمد محمود بن التلاميذ، في تحقيق هذا السفر النفيس، مع محمد عبده ورشيد رضا، وهو أول تحقيق ظهر لهذا الكتاب سنة 1903م: «يذكر رشيد رضا أنه هاجر إلى مصر لإنشاء مجلة المنار... فوجد محمد عبده منكبا على تصحيح كتاب دلائل الإعجاز وكان عند عبده وقتها، نسخة أراد أن يقابلها بنسختين امتلكهما: الأولى من المدينة المنورة والثانية من بغداد، وقد أشرك محمد عبده في تحقيق هذا الكتاب إمام اللغة وآدابها في عصره الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي»⁽²⁾.

فابن التلاميذ خبير بالمؤلفات والمخطوط عامة، يعرف السهل والمنتفع به، من غيره الممتنع، ويحرص على اقتناء وأعز سفر فيها، ويلحظ هذا فيما ذكره الأستاذان إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، مُحققا كتاب «شرح ابن جني على تصريف المازني»، بقولهما: «فلم يكن في البلاد المصرية كلها، مع ما كان فيها من أنفس الكتب، نسخة من هذا الكتاب، إلى أن هبط مصر الإمام الشنقيطي المذكور، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ومعه نسخة منه»⁽³⁾.

وإن ذكرنا هذا الجهد الفائق في العناية بالتراث وخدمته بإخلاص وتفان، فالرجل يُعد من رواد النقد البارِع والتميز، وله في ذلك جَولات وصَولات، وقد ذكرنا في ثنايا الأسطر السابقة بعضا من الإشارات في ذلك، وهي مفصلة في كتابه الحماسة.

وعوداً على بدء، فابن التلاميذ لا يُحشر ضمن أولي العزم في التحقيق العلمي، ولم يُذكر فضله في ذلك، بل غمط حقه وغمر اسمه، فنجد في كتاب عبد السلام هاورن

(1) قطف العناقيد (ص: 73).

(2) نحو بناء مدخل منهجي نقدي (ص: 98-97).

(3) أعلام الشناقطة في الحجاز (ص: 251).

«قطوف أدبية» الذي تحدث فيه عن تجربته في نقد التراث العربي، وجاء بمقدمة طويلة استعرض فيها رواد هذا الميدان وفرسانه من المستشرقين والمسلمين، مع ذكر أعمالهم وحولياتهم، لم يلتفت إلى ابن التلاميذ إلا بما ذكرته آنفاً، بل ساق في كتابه هذا جرداً للمحققين في كل بلد عربي وإسلامي⁽¹⁾، ولم يذكر «الإمام الكبير الشنقيطي» كما وصفه من قبل، ممثلاً لبلده شنقيط.

أمّا ترجمته بين التراجم فتكاد تكون مغمورة وباهتة، يكتفى في بعضها بذكر اسمه الكامل فقط؛ رغم أن ابن التلاميذ من الطبقة العلمية الأولى المعاصرة في هذا المجال، ملأ دوي صيته العلمي أصقاع البقاع الإسلامي، ولولا ما دَوّنه عنه صاحب الوسيط، - رغم ما قيل عنه من تحامله على الشيخ - وما سطره تلميذه أحمد تيمور، وباستثناء وما كتبه عنه صاحب شعراء موريتانيا بقوله: «وقد كان الشنقيطي من أعلم الملمين بأسرار اللغة، والواقفين على المخطوطات، وكان مرجعاً في تقرير الأحكام اللغوية»،⁽²⁾ وبعض الدراسات الحالية بما زبره به صاحب "قطف العناقيد" وغيره في بعض المجالات العلمية، لذلك رأيت أن أبحث بين ثنايا الأسطر لترميم ترجمة له، تفي بحقه ومكانته العلمية.

وختاماً

تعد مكتبة ابن التلاميذ من المكتبات الأفاق، التي عمل عليها ابن التلاميذ في تنشئتها أياماً وسنيناً، وسهر على نقلها من بلد إلى بلد، ولم تنه الخطوب والعراقل المتعددة في الحفاظ عليها، حيث كانت مرتعة ومنبتة ونور عينيه، التي ما فتئ يلتبس لها أعزّ الأسفار، وأنفس الذخائر، التي اكتحل غالبيتها بيراغه الناقدة الفاحصة.

(1) قطوف أدبية (ص: 63-56).

(2) شعراء موريتانيا جاء بترجمته وأخباره يرجع إلى الإحالات السابقة على الكتاب (ص: 56).

المصادر والمراجع المعتمدة

1. إبراهيم أنيس - عبد الحليم منتصر - عطية الصوالحي - محمد خلف الله أحمد المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية سنة النشر: 2004 الطبعة: 4.
2. أبو العباس شمس الدين أحمد البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحصان عباس، ط، 1، 1994، دار صادر بيروت .
3. أبو القاسم علي المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحق عمرو بن غرامة العمروي طبعة 1995م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
4. أحمد العلانوه العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم ط: 1 2011 دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان.
5. أحمد العلانوه، العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم، الطبعة الأولى 2011، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان.
6. أحمد بن الأمين الشنقيط، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط. المحقق، فؤاد سيد، الطبعة 4 سنة النشر: 1409 - 1989م.
7. أحمد بن مبارك بلعراف الودنوني، إزالة الرّيب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وشنقيط.. تحقيق الهادي مبروك طربلس 2009.
8. أحمد تيمور باشا، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، طبعة 2003، دار الآفاق العربية القاهرة.
9. أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق وجهودهم العلمية وقضاياهم العامة من القرن 5 إلى 15 الهجريين. أبي علي بحيد بن الشيخ القلقمي الأديسي. سنة 2012.
10. جعفر بن أحمد الناصري المحيط بالمهم من أخبار صحراء المغرب وشنقيط، اعتناء أحمد بن جعفر الناصري، ط 1 سنة 2015 المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب.
11. حماه الله ولد السالم، حجاج مهاجرون، طبعة 2011، دار الكتب العلمية بيروت.
12. حماه الله ولد السالم، موريتانيا في الذاكرة العربية، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط 1 2005.

13. الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط. تونس 1987. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
14. خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، ط، 15، 2002، دار العلم للملايين.
15. رائد حسن الشلاحي، قطف العناقيد من ترجمة الشنقيطي ابن التلاميذ رحمه الله، طبعه سنة 2005.
16. شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفَيَاتِ المشاهير وَالْأعلام، تح بشار عوّاد معروف، طبعة: الأولى، 2003 م: دار الغرب الإسلامي.
17. شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة 1985م، مؤسسة الرسالة.
18. عادل محمد حجاج، موسوعة أعلام العرب في علوم الحيوان والنبات، طبعة: 2005 دار أسامة للنشر الأردن.
19. عبد الحفيظ الطاهري الفاسي، معجم الشيوخ، علق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية سنة 2013.
20. عبد السلام هارون، قطوف أدبية دراسات نقدية في التراث العربي، ط، 1، 1988 مكتبة السنة القاهرة.
21. عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية - معلمة الصحراء - طبعة 1976 مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مطبعة فضالة.
22. عبد الله الرشدي، نحو بناء مدخل منهجي نقدي لتحقيق النص التراثي، ط، 1، 2018 مركز روافد.
23. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
24. فؤاد سيزكين، تاريخ التراث العربي، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة 1982.
25. مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 10 سنة 1995 مقال: محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي. د سيدي أحمد بن محمد سالم.

26. محمد المختار السوسي، سوس العالمية، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر بنميد الدار البيضاء.
27. محمد بن أحمد الحضيكي مناقب الحضيكي أو طبقات الحضيكي بتحقيق أحمد بومزكو الطبعة الأولى سنة 1427هـ / 2006 م طبع بمطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء.
28. محمد عبد الحي الكتاني، تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، الرابطة المحمدية للعلماء دار الأمان ط، 1. 2013. المغرب.
29. محمد عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، اعتناء إحسان عباس دار الغرب الإسلامي ط 4 سنة 2013.
30. محمد محمود الشنقيطي، تصحيح كتاب الأغاني، ط، 1، سنة 1916، مطبعة الجمالية مصر.
31. محمد محمود بن التلاميذ التركي، رحلة الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركية، مطبعة الموسوعات مصر 1319هـ.
32. محمد ولد المحجوبي، كتاب التواصل بين المشرق والمغرب العربيين ودور موريتانيا فيه، مقال: الرحلات الشنقيطية رباط للثقافة والواصل.
33. محمد يوسف ملقد، شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، منشورات مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء ط، 1. 1962 بيروت.
34. محمد بن أحمد بن المحجوبي أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجري (19/ 20م) (مقاربة وتنظير). رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية: 2012 - 1254هـ.
35. يحيى بن محمد احريمو، معجم المؤلفين في ولايتي العصابة وتكانت، بحث المتريز مرقون سنة 2005 معهد العالي والبحوث الإسلامية موريتانيا.

كتاب

إحقاق الحق وتبriere العرب

مما أحدثه عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب

تأليف

السلامة اللغوي

محمد محمود بن التلاميذ التركزي المغربي

تعذيب وترتيب

السيد الكتبي

تقريب

عبدالجليل برادة

تحقيق، وتعليق وشرح وتقديم

بدر العمراني الطنجي



دار ابن حزم

2274
877355
342

الحامسة

السنة الكاملة المزية

في

(الرحلة العلمية . الشنقراطية التركزية)

(لفضرة الاستاذ شيخنا العلامة ثقة الثقاة . وصفوة المحققين)

(امام العلم . الحرمين الشريفين . وخادمه بالشرقين والمغربين)

الشيخ محمد محمود بهبهني المصطفى التركزي الشنقراطي

وهي قسمان

(القسم الاول يحتوي على اربع قصائد ومقطوعة)

حقوق الطبع محفوظة للاستاذ

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الحلق بمصر سنة ١٣١٩ هـ)

لصاحبها اسماعيل حافظ »

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وإن الملتجئ إلى رحمة الله تعالى محمد بن محمد بن أبي النضر مريد التوسل في
المغفرة المالك بن مذهب الماشعري معتقد المذنب ثم المشرع مناجاة
وكتابتها لله عيوبه وغفر له توبه ووقر من غيراته ورضوانه
ورحمته توبه المصطفى محمد بن علي ما خلعتنا وهذا قينا =
وعلمتنا من غيراته مسلمة فصصتها بالبطانة والاعراب
وعلمتنا من الأيمان ما منه التصريح والاطياب والتلوين والاعراب
وارسلت منا أفضل رسول بعثهم بكارة الأيمان والآداب
أيدهم بكلامك المنزه عن الخدوش والتمويه والتجفيف المتزل في
كتاب كتابك العزيز الذي ما يأنس الباطل من يديه وكافله
صيت وعامي به واتبعه وحالفه ونادى على جليله صلى الله تعالى
عليه وعلمه والاعراب والآداب والأخبار والأزواج وذريته وعترته
طاهرين المصطفى الأبرار ما تيسر فهداه حاشية علمتها
من حبلى حب بمقت غرار الفرائد ودار العواید ودار
الحق وقبري العرب وما أهدت عما كفى الهمم بقدر
بته العرب وتوجتها باسمه فتكفى علمه والمنشأ منها
أي عبيد الله والحمد لله

خزانة فجيج في عيون الرحالين المغاربة

محمد بوزيان بنعلي

رئيس المجلس العلمي المحلي بوعرفة

سبق لي إنجاز عدة مقالات في التعريف بخزانة فجيج⁽¹⁾ التي أطلق عليها مؤسسها الإمام سيدي عبد الجبار - رحمه الله تعالى - اسم «دار العدة»، تصميمًا منه على تكثير عدد كتبها، ورغبة ملحّة في تنويعها، وجعلها نقطة جذب علمي، يعتد بمشمولاتها في سائر الجنوب الشرقي، كما يعتد بخزانات الحواضر الكبرى، فاس ومراكش وتلمسان وسواها.. وحتى يحقق هذا الهدف الأسمى جعلها خزانة حبسية عامة، ونظمها تنظيمًا محكمًا، بحيث لا يتطرق إليها خلل، وأوصى بنيه من بعده على الزيادة فيها، وإغنائها بكل نفيس مختار.. وقد استمرت على الصفة التي ارتضاها لها ما يربو على قرنين ونصف.. ثم دب فيها الضعف، واهتز حالها على نحو ما سجلته بحزن وكدر كتب الرحلات المغربية، التي تعتبر أهم مصدر مكتوب أرخ لها، وتتبع أطوار قوتها وضعفها، وكشف عن محتوياتها.. وهي عمدتنا في هذا المقال، الذي قسمناه إلى عدة مباحث مركزة هي:

(1) من هذه الدراسات:

- دار العدة بفجيج - دعوة الحق - عدد 248، ص: 95 - 102.
- من نوادر المخطوطات بخزانة الإمام عبد الجبار الفكيكي - دعوة الحق - عدد 254، ص: 114 - 120.
- مخطوطات خزانة آل عبد الجبار بفجيج - مجلة آفاق الثقافة والتراث الإماراتية - السنة التاسعة - العدد 35 - رجب 1422 / أكتوبر 2001 - ص: 114 - 124.

بدايات الخزانة ووسائل إثرائها:

الشائع في الرواية الشفوية أن الإمام عبد الجبار دشن خزائنه بحمولة حوالي أربعين بعيرا كتبها، جمعها من ها هنا وهناك في سفر واحد طويل.. ولقد كنت أستثقل هذا الرقم، وأعتبره من المبالغات التي لن يقبل القارئ مني نقلها، حتى فتح الله علي بأول قطعة كانت مفقودة من رحلة أبي العباس الهلالي (ت 1175 هـ)⁽¹⁾، فوجدته يشير إلى ما ينهد دليلا على أن الرواية قديمة، وأنها من الأخبار التي توارثها أهل فجيح كابرا عن كابر، قال: «فقد ذكروا أن عدة ما خلف سيدي عبد الجبار وأولاده من الكتب ثلاثة آلاف مجلد، والله أعلم»⁽²⁾.. وهذا العدد قد لا تنزل عن الأحمال المعلنة إن لم يتجاوزها..

بعد النشأة والتثبيت جاءت مرحلة الإمداد والإثراء، وكان الإمام عبد الجبار أول من قادها بشكل يكشف عن ولعه بالأصول والأمهات، والمتقن والمجود.. وقد فعل مثله أبنائه وحفدته الأوائل؛ فسعوا إلى البحث عنها في المشرق والمغرب، واقتنائها بأي ثمن؛ ومن هنا جاء الحضور القوي للخطوط المختلفة: مشرقية ومغربية وأندلسية، والنسخ العزيزة النادرة بين كتب الخزانة كبرنامج أبي جعفر اللبلي⁽³⁾، وشفاء القاضي عياض بخط محمد بن أحمد بن أبي جبل، مقابلا بأصل الفقيه الأستاذ الضابط المحقق أبي عبد الله الطراز⁽⁴⁾، وموطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى

(1) أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي (1113 - 1175 هـ) من أشهر علماء المغرب، خلف وراءه عددا من المصنفات، منها رحلته التي كانت مفقودة إلى وقت قريب، وقد عثرنا على جزء مهم منها، وحققناه بفضل الله.

(2) الرحلة، مصورة عن مخطوطة خاصة.

(3) وهو برنامج الصغير، حققته مؤخرا، وتم نشره: مطبعة إسبارطيل - طنجة - ط 1 / 2011.

(4) أبو عبد الله محمد بن سعيد بن علي الأنصاري الأندلسي الإمام العلامة المقرئ المجود الحافظ =

الليثي الأندلسي⁽¹⁾.. كما نلاحظ كثرة المؤلفات المشرقية بخطوط مغربية، تمثل لها بنماذج قليلة نختارها من مختلف الحقول المعرفية لتكون دليلاً إضافياً على غنى الخزانة وتنوعها:

* العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام، وهي العمدة الصغرى، تأليف الشيخ المحدث الإمام تقي الدين أبي محمد عبد الغني المقدسي⁽²⁾، نسخ عشية يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ثمان وتسعمائة، على يدي الفقير عبد الله بن عمر بن عبد الله السليماني المغربي بوادي غريس⁽³⁾...

* تأليف في شرح معاني القصيدة العرفانية التي أنشأها نجم الدين محمد بن إسرائيل الدمشقي⁽⁴⁾، ومطلعها (بحر الطويل):

وفي لي من أهواه جهرا بموعدي فأزعج عذالي عليه، وحُسّدي

= المحدث، كان مشاركاً في علوم العربية والفقه والأصول، كاتباً نبيلاً، ثقة عدلاً، بارع الخط، توفي عام 645 هـ.. فرغ من نسخ الشفا مجوداً متقناً في غرة شهر ربيع الأول من سنة أربعين وستمائة..

(1) كمل في يوم الثلاثاء موفي عشرين من شهر رمضان المعظم من عام تسعة وعشرين وسبعمائة، وقبل هذا نقرأ: «فهذا جميع ما في الموطأ رواية يحيى بن يحيى الأندلسي من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وما أُضيف إليه أنه قاله صلى الله عليه وسلم، أو كان موقوفاً فيه مرفوعاً في غيره، مثله لا يُدرك بالرأي فذكر لصحة عنه صلى الله عليه وسلم حاشى (كذا) حديثين لأيوب السختياني، وحديث لطلحة بن عبد الملك، فإن هذه الثلاثة خاصة من غير رواية يحيى.

(2) عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي (541 - 600 هـ) حافظ للحديث، عارف برجاله، توفي بمصر.. من مؤلفاته: الكمال في أسماء الرجال، والدرة المضيئة في السيرة النبوية... (الأعلام: 4 / 34 - دار العلم للملايين - بيروت - ط 5 / 1980).

(3) الصفحة الأخيرة من المخطوطة (خاصة).

(4) محمد بن سوار بن إسرائيل، مولده ووفاته بدمشق (603 - 677 هـ). شاعر غزل، تصوف، وحذا في بعض أشعاره حذو ابن الفارض. طاف البلاد، ومدح الرؤساء.. له ديوان شعر (الأعلام: 6 / 153).

والشرح لأبي عبد الله محمد شهر بابن الدبّاغ القيرواني⁽¹⁾.. وقد ملك صاحبه هذا السفر بالشراء من قصر سجلماسة⁽²⁾.

* الطريق الواضحة إلى أسرار الفاتحة للعالم المفسر الشيخ أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الحنفي⁽³⁾، نسخه «محمد بن الجيلالي بن البشير بن محمد بن عبد الله بن الخياط بن الطاهر الفاسي الأندلسي، نازل ومسكن في بلاد فجيج، ثم المعيز، في أوطان سيدنا عبد الجبار نفع الله بركته آمين، ولقد كان تكميله وتوفيته ضحوة يوم الاثنين في اثنتي عشرة وعشرين يوما في شهر شعبان عام تسعة وستين ومائتين وألف»⁽⁴⁾.

* شرح أرجوزة ابن سينا في الطب، جاء في آخرها: «انقضى القول في شرح هذه الأرجوزة... وكان الفراغ منه في الحادي والعشرين لربيع الأول سنة أربعين وستمائة، ونسخه بيده لنفسه الفقير لرحمة ربه، محمد بن يوسف بن العباس بن علي الكومي العبادي بحضرة مراکش، شرفها الله تعالى بمنه ويمنه»⁽⁵⁾.

.. كما استفاد من صداقاته الواسعة مع علماء عصره ممن جالوه وخاللوه؛ للتهادي وتبادل النسخ، نذكر منهم على سبيل المثال زميله أبا العباس الونشريسي (ت 914 هـ) الذي وجدنا له في الخزانة عددا من مؤلفاته، أعزها وأندرها رسالته في

(1) لم أعثر له على ترجمة، ولعله من نسب صاحب معالم الإيمان.

(2) الصفحة الأخيرة.

(3) أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، الزبيدي، اليميني، الحنفي شهاب الدين (812 - 893 هـ) عالم أديب، محدث الديار اليمينية في عصره، له: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، وطبقات الخواص، ونزهة الأحاب... إلخ (الأعلام: 1 / 91).

(4) الصفحة الأخيرة.

(5) الصفحة الأخيرة.

التعريف بالمقري⁽¹⁾، وقد كانت إلى وقت قريب في عداد الضائعات.. ومنهم شيخه أحمد زروق (ت 899هـ) وابن غازي (ت 919هـ) وغيرهم.. أما آثار أبنائه في الخزانة فيتصدرها قطعة من الكوكب الساطع شرح فيه الأشموني⁽²⁾ نظمه لمع اللوامع، والمرجح الأشبه باليقين أنه أهدها إلى تلميذه النجيب إبراهيم بن عبد الجبار، والدليل على ما نقول إجازته إياه بخط يده الكريمة، ولا تزال على ظهر الكتاب بينة كما حررها منذ ما يربو على خمسة قرون⁽³⁾.

نظام العمل بالخزانة:

لم تكن هذه الخزانة من المؤسسات الخاصة التي بإمكان صاحبها أن يفعل فيها ما يريد، بل كانت بفضل تقييدها بوثيقة حبس من مؤسسها ملكا لعموم القراء، يرتادونها وفق نظام تقليدي يتحكم فيه «القيم»، الذي كان تحت يده مفتاحها، ممتلكا صلاحية تسييرها بما يضمن لها السير العادي في أحسن الأحوال، وهذا طبيعي جدا بالنسبة لمؤسسة اعتبرت جزءا من زاوية علمية متكاملة بغرف للتدريس، وفضاءات للحلقات العلمية، ومرافق للإيواء والإطعام والراحة، حتى إن النازل بفجيج كان يقصدها مباشرة لمعرفة المسبقة بتوافر سائر التسهيلات، وحسن ضيافة الساهرين عليها.. وفي هذا

(1) عرفت بها في مجلة دعوة الحق: عدد 332 / 1997 - ص: 123 - 130.

(2) علي بن محمد بن عيسى، ولد عام 838 هـ، نحوي، من فقهاء الشافعية بمصر.. من مؤلفاته: شرح ألفية ابن مالك في النحو، ونظم المنهاج في الفقه، ونظم إيساغوجي في المنطق، توفي 918 أو 929 هـ (الأعلام: 10 / 5).

(3) جاء في آخره، قال المؤلف: كان الفراغ من هذا التعليق المبارك بعد العصر من اليوم المبارك حادي عشر المحرم الحرام سنة 888 على يد مؤلفه الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد الأشموني الشافعي غفر الله له ولوالديه ولمشائخه والمسلمين أجمعين.. وبعده: أنهاه كتابة فقير رحمة ربه محمد بن أحمد بن العاقل الشافعي غفر الله له... أما الإجازة فيرجع تاريخها إلى الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة 903 هـ.

الإطار نستحضر شهادة عالم الجزائر ومسندها، وخطيبها ومفتيها، وأحد أئمة المعقول فيها، الشيخ سعيد بن إبراهيم، الشهير بقدّورة⁽¹⁾، وقد نزل بفجيج أواسط العشرة الثانية من القرن الحادي عشر الهجري في محاولة لرأب الصدع الذي استفحل بين الشيخ الصوفي عبد القادر السماحي⁽²⁾، وعدوه اللدود أحمد بن أبي محلي السجلماسي⁽³⁾، قال:

«وصلنا إلى فجيج بخير وعافية، مستقرين عند أولاد سيدي محمد بن عبد الجبار جازاهم الله خيرا...»⁽⁴⁾. وعادة ما يكون القيم من ذرية المؤسس، بيد أن ترك مسؤوليتها في يد واحد طالما فوت على العلماء فرص زيارتها، والاطلاع على ذخائرها، وهكذا وجدنا أبا سالم العياشي - وهو الطلعة النهم - يتأسف كثيرا على عدم تمكنه من دخول الخزانة نظرا لسفر القيم عليها، قال: «وطلبت الدخول إلى خزانة كتبهم، فلم يتيسّر لغيبة الذي عنده المفتاح...»⁽⁵⁾.. وحرصا على تعويض ما فاتة استثمار فرصة زيارتها من لدن

(1) أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بقدّورة (1034 - 1066 هـ) جزائري النشأة والدار، تونسي الأصل عالم كبير، وأديب لغوي، له: حاشية على شرح اللقاني، وأخرى على السنوسية الصغرى، ورقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو... وغيرها.

(2) عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماعة أو السماحي (940 - 1025 هـ) متصوف شهير بفجيج، له قصيدة صوفية مطولة سماها: «الياقوتة» وقصيدة الحضرة.. ألف السكوني في كراماته كتابا سماه: تقوية إيمان المحبين (مطبوع بتحقيق الأستاذ عبد الله طواهرية / 1999 - المطبعة غير مذكورة).

(3) أحمد بن أبي محلي السجلماسي، الثائر المشهور (967 - 1022 هـ) أقام بفجيج طويلا، وأخذ عن عالمها أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار، صاهر السماحي مدة، ثم لتقلبت علاقتهما إلى عداوة شرسة، سال حولها مداد كثير، وألف في التشنيع به كتباً ورسائل أهمها: منجنيق الصخور، وسم ساعة في تقطيع أمعاء الجماعة...

(4) أحمد بن أبي محلي - مهراس رؤوس الجهلة: 262 (مخ - الخزانة الوطنية: 192 ك).

(5) أبو سالم العياشي - ماء الموائد، 2 / 420 (مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة - ط 2 / 1977).

تلميذه الأنجب الشيخ أحمد بن سعيد المجيلدي⁽¹⁾، فأوصاه بزيارتها قائلا: «.. فإذا بلغت فجيج، فليكن نزولك عند سيدي أحمد بن أبي بكر⁽²⁾ بقرية قرب العبيد⁽³⁾.. وألق أولاد سيدي عبد الجبار الفجيجي، واطلب منهم أن يدخلوك إلى خزانةهم، وتبرك برؤيتها وزيارتها..»⁽⁴⁾..

ومن هذا الوقت صارت زيارة الخزانة تقليدا محمودا من فاته فاته خير كثير، حتى إن الهشتوكي أكد ذلك بقوله: «قد جرت عادة جميع من مر بفجيج من كل من يتعاطى العلم بزيارتها، وقد زرناها...»⁽⁵⁾.

صور من انتفاع العلماء بالخزانة:

لقد أدت هذه الخزانة وظيفتها على أحسن وجه مروم، إذ ندب بنو عبد الجبار أنفسهم إلى المضي بها نحو ذلك الهدف الذي خطه لهم ذؤابتهم غير متوانين ولا مقصرين؛ ففتحوا رفوفها في وجه طلبة العلم، من غير تمييز؛ مما جعل صورتها تعلق بأذهان العلماء والرحالين وهم بعيدون عنها، فاسترجعوا ذكرياتهم معها، وتحدثوا عن أوجه الاستفادة منها، أوجه يمكن بعد التأمل أن نحصرها في ثلاثة:

(1) أحمد بن سعيد المجيلدي، فقيه أديب، ولي قضاء مكناس، وحج عام 1068 هـ. من أعماله الفقهية: التيسير في أحكام التسعير. توفي رحمه الله تعالى عام 1094 هـ.

(2) أحمد بن أبي بكر السكوني الفجيجي، من أصحاب العياشي وابن ناصر الدرعي، له عدة مؤلفات في التراجم والتصوف منها: تقوية إيمان المحبين، وشرح دلائل الخيرات، وشرح تنبيه الأنام. كان حيا عام 1121 هـ، كما يستفاد من رحلة ابن ناصر.

(3) القصد إلى القصر المعروف اليوم بقصر العبيدات، وهو مجاور لقصر الوداغير.

(4) العياشي: الرحلى الصغرى: 306 (مصورة من مخطوطة خاصة).

(5) الهشتوكي - رحلة هداية الملك العلام، ص 108 (مخ - الخزانة الوطنية: ق 147).

الاستفادة المباشرة:

ونعني بها المطالعة في عين المكان، إذ كانت الخزانة تتسع لاستيعاب الكتب والرواد معا، ومن جاء من مكان بعيد يلقي في الزاوية نزلا وقرى وترحيبا كريما، واستقرارا مريحا.. ولكأني الآن أنظر من وراء وراء إلى الشيخ العلامة قدورة -المذكور آنفا - متربعا في رحابها، يقلب أوراق القاموس المحيط، بحثا عن وجه الصواب في حديث أرقه وصاحبه أمدا طويلا، ثم يتنفس الصعداء، ويأخذ الكاغد والقلم، ويكتب ما يلي:

«... ونعلمكم سيدي في حديث «ما لم تضمروا الرماق»⁽¹⁾، إني طالعت القاموس⁽²⁾ في فصل الرء من باب القاف، فذكره فيه، فدل على أنه بالراء لا بالزاي كما وقع في تلكم النسخ⁽³⁾.. ثم نظرته في فصل الزاي، لعل فيه وجه آخر، فلم يتنازل فيه لشيء من ذلك، بل لم يذكر لفظة الزماق بالزاي أصلا...»⁽⁴⁾.

أما الفقهاء المحليون، وطلبة العلم القاطنون بمعاهد فجيج فقد اتخذوها

(1) هذا جزء من كتاب الرسول عليه السلام إلى وفد بني نهد بن زيد مع طهفة بن أبي زهير النهدي، رواه غير واحد، جاء في النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (حرف الرء، باب الرء مع الميم): رmq (هـ) في حديث طهفة: «ما لم تضمروا الرماق» أي النفاق. يقال رامقه رماقا. وهو أن ينظر إليه شزرا نظر العداوة، يعني ما لم تضق قلوبكم عن الحق. يقال عيشه رماق: أي ضيق. وعيش رmq ومرمق: أي يمسك الرmq، وهو بقية الروح وآخر النفس...

(2) القصد إلى القاموس المحيط للفيروز أبادي - انظره: ج 3 / ص: 246 (دار الجيل - بيروت - لبنان) وانظر أيضا: لسان العرب: 10 / 126 (دار صادر - بيروت - لبنان).

(3) ربما قصد بالنسخ إلى كتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله، فقد ذكر حديث ما لم تضمروا الرماق، في الباب الثاني من القسم الأول: وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول (الشفا - ج 1 / ص 74 - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط/ 1988).

(4) ابن أبي محلي - مهراش رؤوس الجهلة، ص: 62.

مرجعهم الرئيس لا في تنمية معارفهم فحسب، بل في تأليفهم ومصنفاتهم، وقد اعترف الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي⁽¹⁾ بذلك، وهو يتحدث عن صاحبه السكوني المذكور من قبل، فقال: «وقد أُخبرْتُ عنه أنه ما حمله على الكتب على الدلائل⁽²⁾ والتنبيه⁽³⁾ إلا ما وجده من الكتب ميسرة في خزانة سيدي عبد الجبار...»⁽⁴⁾، ولقد كان السكوني بالفعل يتردد كثيرا على الخزانة، ويلتهم ما في رفوفها مما يتعلق بفنّي الفقه والتصوف غير مكتثر بالحقول المعرفية الأخرى، حتى عابه الدرعي بخلوه من علوم العربية..⁽⁵⁾

الاستنساخ:

كانت نساخة الكتب مهنة نافقة السوق بفجيج، ارتبطت بإثراء الحياة الفكرية والكسب والاسترزاق بفضل انتشار المعاهد العلمية في جل القصور، وقد أحدث كثرة الطلب جوا من التنافس النبيل بين الخطاطين، أسبق كل منهم إلى تجويد خطه وتقذيده، وتنميق رسمه، وتنويع ألوان مداده، جريا وراء استقطاب أكبر عدد ممكن من العلماء

(1) أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (1057 - 1129 هـ) أحد مشاهير علماء المغرب، وشيوخ التصوف به، فهو شيخ الزاوية الناصرية بدرعة بعد والده. حج أربع مرات، وله مؤلفات أشهرها رحلته.. (القادري - التقاط الدرر: تر 473، ص: 312 - تحقيق: هاشم العلوي القاسمي - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط 1 / 1983).

(2) القصد إلى كتاب دلائل الخيرات للجزولي، وقد سمي شرحه: إتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة، بكشف القناع عن ألفاظ دلائل الخيرات.. وقد تم تحقيقه مؤخراً، ضمن إصدارات المجلس العلمي المحلي لفجيج.

(3) يعني كتاب ابن عظم القيرواني (ت 960 هـ) المعروف بتنبيه الأنام، وشرحه سماه السكوني: جبل الاعتصام في كشف ما سدل من الرواق على معاني كلمات تنبيه الأنام.. انظر كتابنا: دليل مخطوطات الفجيجيين: 42.

(4) الرحلة الناصرية، ج 1 / ص: 28 (المطبعة الفاسية - 1320 هـ).

(5) نفسه.

والطلبة المقيمين، والوافدين المهتمين في مواسم الحج خاصة، حيث يتكاثر الحجاج العلماء المتهافتون على اقتناء ماجد بالمدينة من مؤلفات محلية أو غيرية مما كانت تزخر به الخزانة.. وقد ضرب ابن ناصر إلى بعضها لما نزل ضيفا بنية الحج فقال:

«ووجدنا هنالك شرحي دلائل الخيرات، وتنبيه الأنام للأخ أحمد بن أبي بكر السكوني الفجيجي. واشترت الكاغد، ومكتبته للأخ سيدي علي بن محمد بن أحمد الراشدي⁽¹⁾ ينسخه، وأبى من قبض الأجرة تقبل الله منه..»⁽²⁾.. وتعرضنا إشارات من هذا القبيل لدى سلفه أبي سالم العياشي.

وقد نقل لنا بعض الرحالين مشاهد ولوحات تنم عن هذا التهافت، كما تنم عن حب الفجيجيين للعلم وأهله، وتوقيرهم لكبار المشايخ، وبرورهم بهم إلى درجة الإيثار.. وفي هذا الإطار نستحضر رفض الراشدي قبول أخذ عوض على ما نسخه للدرعي..

ويبدو أن عملية النسخ هاته كانت تستغرق زمنا معتبرا، إذ لم يستطع الراشدي إنجاز المطلوب وفق أمل الطالب، والمرجح أن يكون تأخير ه ذاك مرتبطا بإرضاء الزبناء لا بتوان ولا تقصير، وهو ما يستفاد من تنبيه الدرعي لدى قفوله من الحج، يقول: «وجدنا شرح تنبيه الأنام الذي تركناه ونحن مشرقون يتنسخ قد كمل، وشرح دلائل الخيرات لم يكمل: بقي منه نحو من ثلاثة كراريس، وكنا أوصينا عليهما..»⁽³⁾.

وإلى ذلك، كانت الطلبات ترد على فجيج من أماكن أخرى كفاس وسجلماسة

(1) أسرة الراشدين، من الأسر الشهيرة في العلم والقضاء بفجيج زمن العلويين (انظر: بيوتات العلم والأدب بفجيج، ص: 72 وما بعدها - مطبعة الجسور - وجدة - ط 1 / 2003).

(2) الرحلة الناصرية: 1 / 28.

(3) الرحلة الناصرية: 2 / 192.

وتلمسان، وفي هذا السياق نستحضر رسالة ابن مريم صاحب البستان⁽¹⁾، إلى ولدي الإمام البركة الولي الصالح سيدي موسى البريشي⁽²⁾، يلتمس منهما بعد صالح الدعاء في أوقات الاستجابة، انتساخ كتب، ونصها:

«... أردت من الله ثم من جزيل فضلكم أن تنسخوا لنا كتاب القسطاس والإصليت، وكل ما وقع من كلام شيخنا الإمام ابن عبد الله⁽³⁾، وكذلك السلوانية لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الجبار، مع المفيدة⁽⁴⁾، وهذا بحسب الاستدلال لفضلكم، والله تعالى يديم النفع بكم، ويحفظكم ويرعاكم...»⁽⁵⁾.

الإعارة:

ليس من المبالغة في شيء إن نحن اعتبرنا إعارة الكتب من أهم العوامل التي عجلت بإفلاس الخزانة وانهيار أركانها بعد القرن الحادي عشر، نظرا لغياب عناصر

(1) محمد بن محمد بن أحمد المشهور بابن مريم، من فقهاء تلمسان ومتصوفها، كان حيا عام 1014 هـ، له البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.

(2) موسى البريشي، من أولياء فجيج وصلحائها في القرن التاسع الهجري، ترك ذرية لها في سماء العلم والفقه والتصوف طالع مبین، ذكر بعضها ابن أبي محلي في مهراش رؤوس الجهلة، والسكوني في تقوية إيمان المحبين (انظر كتابنا: بيوتات العلم والأدب بفجيج: 149 وما بعدها..).

(3) القصد إلى العالم الثائر أحمد بن أبي محلي (967 - 1022 هـ) وهو غني عن التعريف، قضى شطرا من حياته المتقلبة في فجيج فأغنى بها النشاط الأدبي والصوفي، من مؤلفاته القسطاس والإصليت وغيرهما، وجلها لا تزال مخطوطة (راجع كتابنا: فجيج: أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي: 159 وما بعدها... مطبعة الجسور - وجدة - ط 1 / 2000).

(4) قصيدة روضة السلوان، ومفيدة اللبيب في الفقه، من منتوجات شاعر فجيج المشهور إبراهيم بن عبد الجبار المتوفى عام 954 هـ بمدينة (جنّي - DJENNE) في السودان الغربي - مالي حاليا - (انظر كتابنا: فجيج أعلام الفكر والأدب: 84 - 150).

(5) رسالة مخطوطة (خاصة) وانظر كتابنا: واحة فكيك تاريخ وأعلام: 183 (مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء - ط 1 / 1987).

التنظيم والضبط والتدقيق والضمان التي أحسن العمل بها الرعيل الأول من بني عبد الجبار. ومهما يكن فإن عملية الإعارة كانت تتم على مستويين اثنين، هما:

1- المستوى المحلي:

موجه إلى المهتمين من مختلف القصور الفجيجية، يأتون لاستلام الكتب من عين المكان، وحينما يضطرب حبل الأمن ويختل بين القصور، يسعون إلى الحصول عليها بواسطة رسائل أو مبعوثين أمناء.. ونماذجه كثيرة جاءت على شكل بطاقات أو جذاذات تتضمن اسم المستعير، وعنوان الكتاب، ومؤلفه أحيانا، إلى بيانات أخرى تفيد عند الحاجة إليها، مثلما نطالع في النموذج الآتي:

«تقييد ما عند سيدي عبد الله بن أفرج على وجه العارية: عنده سفر من تفسير القرآن من سورة اقترَب (أي الأنبياء) إلى ومن يسلم (سورة لقمان) للشيخ الإمام ابن عطية⁽¹⁾ على وجه العارية، صرفته له مع سيدي بومدين من آل سيدي عبد الوافي⁽²⁾.. وعند سيدي محمد بن بودخيل الزناقي حاشية من الدماميني على البخاري⁽³⁾، صرفته له مع سيدي محمد البرّاني بمحضر مولاي أحمد بن رحو بن بوزيان.. وعند سيدي

(1) القصد إلى كتابه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وابن عطية هذا، هو أبو محمد عبد الحق بن غالب المحاربي الأندلسي، عالم بالأحكام والحديث والتفسير، توفي عام 542 هـ (الأعلام: 3 / 282).

(2) آل عبد الوافي، من أشهر الأسر الفجيجية، أسس ذوابتهم سيدي أحمد بن عبد الوافي زاوية صوفية، اشتهر أمرها، وتجاوز إشعاعها محيط فجيج، وتميزت باصطفافها الدائم إلى جانب المخزن منذ السعديين والعلويين الذين اعتبروها زاويتهم، وغمروها بعدد ضخم من ظواهر التوقير والاحترام (بيوتات العلم والأدب بفجيج: 105 وما بعدها).

(3) محمد بن أبي بكر بن عمر (763 - 827 هـ) عالم بالشريعة واللغة وفنون الأدب، لازم ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، له عدة مؤلفات، منها: تحفة الغريب في شرح مغني اللبيب، وجواهر البحور في العروض.... (الأعلام: 6 / 57).

محمد بن علّ الحماامي حاشية السيوطي على البخاري⁽¹⁾، بشهادة محمد بن معلي.. ثم عند سيدي أحمد بن الصديق بن حمادي سفر من تفسير الشيخ عبد الجبار، على وجه العارية بشهادة عبد الرحمن بن عنان، والحسين بن الخياط.. ثم عند سيدي عبد القادر المنيعي من أول البقرة إلى العقود.. ثم عند سيدي أحمد بن الصديق بن حمادي سفر من تفسير الشيخ عبد الجبار من: قال رجلان⁽²⁾.. إلى: يسألونك عن الساعة أيان مرساها⁽³⁾.. على وجه العارية⁽⁴⁾..

2- المستوى الخارجي:

تحقيقه رسائل تحمل المرغوب، وقد نزيد عليه شروطا، لا سيما إن كان أصحابها ممن يعرفون الخزانة وأربابها، من أمثال الولي الصالح والعالم الأريحي التحرير مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني⁽⁵⁾.. أحد تلامذة أبي القاسم الفجيجي. كتب إليه يقول بعد حمد الله والصلاة على رسوله وآله وصحبه:

«... الفقيه الجليل، الصدر الأوحّد، سيدي أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار، رعاكم الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، محبكم ومعظم قدركم عبد الله بن علي بن طاهر، يذكركم كريم وعدكم الوفي ببعث كتاب محمد بن الحسن تلميذ ابن مرزوق على

(1) محمد بن علّ، من فقهاء الحماام الفوقي، كان من العدول المشهود لهم بالنزاهة، جيد الخط كما يظهر من بعض العقود، ثم صار قاضيا محكّما..

(2) سورة العقود: الآية: 25.

(3) سورة الأعراف: الآية: 187.

(4) وثيقة خطية (خاصة).

(5) عبد الله بن علي بن طاهر الحسني (960-1044 هـ) من أشرف سجدلماسة، وعلمائها المرموقين، أخذ الحديث عن أبي القاسم، وروى عنه فهرستي المنجور والنشريسي (انظر كتابنا: فجيح أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي: 174).

قصيدة الخزرجي⁽¹⁾ بخطه، وإن لم يمكن بعث خط، فما وُجد بخطكم فابعثه، ثم أتبعه الباقي بخطكم لا محالة؛ فإني لا أرضى بغير خطكم وخطه.. والسلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته..»⁽²⁾.

ومن الدلائل التي تحيل على ثراء الخزانة وتنوع مشمولاتها في علم واحد، ما سجله أحدهم في رسالة إلى نجل المذكور سابقا محمد بن أبي القاسم، جاء فيها بعد الحمد وعبارات الثناء والاحترام:

«.. المراد من كمال فضلكم... إعاره بعض أسفار القرآن العظيم، إن وُجد في خزانتكم سيدي عبد الرحمن الثعالبي⁽³⁾ فلا نبغي به بديلا؛ لأن مؤلفه متصوف، والمتصوف حلوا المذاق، وإن لم يوجد هو بنفسه، فغيره من كتب التفسير، ما عدا الزمخشري⁽⁴⁾؛ فإنه محل اعتزال لا يليق ببليد مثلي، ولكم الأجر التام، والله يحفظكم ويرعاكم، ويرحم صالح سلفكم...»⁽⁵⁾.

(1) هذه القصيدة في العروض، وتسمى الرامزة في علمي العروض والقافية، وصاحبها هو: عبد الله بن محمد الخزرجي، عروضي أندلسي، نزل الإسكندرية، وتوفي قتيلا عام 626 هـ.. له الخزجية، علل الأعارض.. (الأعلام: 4 / 124).

(2) رسالة مخطوطة (خاصة) وفي أعلاها نقراً: «الخط أسفله للولي الصالح مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني دفين مدغرة».

(3) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (786 - 875 هـ) فقيه، مفسر، له عدة مصنفات منها: جامع الأمهات في أحكام العبادات، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، وهو المقصود بالإشارة، وكانت منه بقايا في الخزانة (الأعلام: 3 / 331).

(4) أبو القاسم محمود بن عمر، جار الله الزمخشري (467 - 538 هـ) من أئمة العلم بالدين والتفسير والحديث واللغة والأدب، تنقل في البلدان، وصنف الكثير من الكتب منها: أساس البلاغة، والفائق في غريب الحديث، ونوابغ الكلم... والكشاف المشار إليه (الأعلام: 7 / 178).

(5) رسالة مخطوطة (خاصة).

ولا يفوتنا أن نسجل في هذا الإطار أن عددا من أهل العلم طلبه وحُجَّاجا، كانوا يستعيرون من خزانتها ما يحتاجون إليه من كتب ترافقهم إلى الديار المقدسة، ثم يردونها بعد عودتهم، وهذه قطعة من حوار بين الهشتوكي وأحدهم تؤكد ذلك: «وهناك⁽¹⁾ اجتمعت مع أبي مهدي السيد عيسى بن محمد بن المبارك من أولاد سيدي ناجي... فوجدت عيسى المذكور أديبا ظريفا في مخاطبته ومكالمته، وما رأيت مثله طرافة وأدبا من لدن خرجت من سجلماصة.. وطالع قصيدي الميمية النبوية التي في بحر الرمل، ورأى في بيت منها السلام معرفا، وفي البيت الذي تحته سلام منكرا، فقال: هذا يا سيدي إبطاء، وهو ممنوع عند محققي العروضيين، فقال: لا يسوغ ذلك مطلقا.. فذكرتُ له جواز ذلك عن غير واحد، فقال: لا أعرف ذلك، فقلت له: أتعرف المكودي على الألفية⁽²⁾؟ فقال: غيرك يقول هذا، أعرف أكبر منه... وطلبت نسخة سيدي المكودي عند بعض طلبة الفجيجيين ممن طلع لحج بيت الله الحرام، فأتيْتُ بها إليه حتى رآه؛ فسلم وتعلّم..»⁽³⁾.

صورة الخزانة في كتب الرحلات:

وكما كانت فجيح ملتقى طرق القوافل التجارية، كانت محطة استراحة للركب السجلماسي والسوسي، وأحيانا نقطة التقائهما بالركب الفاسي، هذه الميزة جعلت جل الرحالين الذين حلوا بها يتبركون بزيارة الخزانة وضريح مؤسسها، حتى غدت عادة

(1) أي: خارج زريبة حامد قرب بيسكرة، أين ضرب الحجاج خيامهم..

(2) يعني شرح المكودي على ألفية ابن مالك في النحو، والمكودي هو: عبد الرحمن بن علي بن صالح، من أشهر علماء العربية في المغرب في زمانه، له مؤلفات في النحو أغلبها شروح، توفي عام: 807 هـ (الأعلام:

3 / 318).

(3) هداية الملك العلام: 160.

منتظمة، وتقليدا سنويا محمودا فاشيا بينهم.. كما جعلتهم يخصصون لها حيزا متفاوت السعة من كتاباتهم، دشنها - فيما نعلم - أبو سالم العياشي الذي كان حظه سيئا معها؛ لأنه طلب الدخول إليها في وقت كان القيم عليها غائبا.. وأحسن منه حظا خلفه أبو العباس الهشتوكي، فقد أمتعنا لا بوصف الخزانة فحسب، ولكن بتتبع دقائق المعيش اليومي على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نكتفي منها ببعض ما يرتبط بالموضوع، قال:

«... ودخلنا خزانتهم العظيمة، وتبركنا بها، ورأينا فيها كتباً غريبة، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة.. ولم يقف الهشتوكي عند حد الزيارة ومطالعة بعض الكتب، بل أعد لنا مسردا ببليوغرافيا لأربعة وعشرين عنوانا اختارها من الركام الذي رآه.. وبعدما فرغ من ذلك قال: «وغير ذلك من الكتب المتداولة، وما ذكرنا إلا غير المتداولة جدا، وإن كانت غير معروفة الذكر..»⁽¹⁾. وجاء بعده أبو العباس الهلالي ففضى في رحابها يومين حافلين، أعد خلالهما مسردا من خمسة وأربعين عنوانا جلها في علوم اللغة، ثم قال: «وهذا نزر يسير بالنسبة لما بقي منها..»⁽²⁾.

ولأنها كانت معطاء باستمرار، فقد أحيطت بهالة من التقدير والاحترام، ونسبت إليها كرامات ككرامات الأولياء والصلحاء، وخوارق من عالم الغرائبي العجائبي، كتبها العلماء دون خلفيات، معرضين عن تمحيصها وتحقيقتها، من ذلك قول الهشتوكي نفسه: «وقد أخبرني بعض أولاده من الذين أدخلوني أنا وجماعة من أصحابي، كسيدنا الشريف الخير الدين أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن أبي القاسم البوحامدي: أن البيت

(1) هداية الملك العلّام: 102 - 104.

(2) رحلة الهلالي: 122.

الذي فيه الخزانة انهدمت سواريه وأسطوانته من كثرة الأمطار في بعض السنين، فوقف السقف في الهواء وحده بقدره أرحم الراحمين...»⁽¹⁾.

والمشير للانتباه أن الرحالين تحدثوا عنها حديث رجل واحد، حديثا يفيض بعبارات الإطراء والإعجاب والإكبار، مركزين على بعض العلامات الفجيجية المميزة في رفوفها كتفسير جدتهم سيدي عبد الجبار، الذي صار في صدر مرآتهم ومطالعاتهم، لا يذكرونه إلا مقرونا بالإعجاب، وقد أحله الهشتوكي المذكور أنفا غير بعيد محل الصدارة فيما عدده من كتب، وأشار إلى أحد مواطن التفرد فيه، فقال:

«... من جملتها: اختصار تفسير القرطبي لجدتهم سيدي عبد الجبار، في اثني عشر مجلدا متوسطة، فيها - والله أعلم - سبعة أجزاء بخط يده الكريمة.. وفي بعض الأجزاء من هذا التفسير أن صدقة التطوع لا تحرم على آله صلى الله عليه وسلم مطلقا، كانوا مضطرين إليها أو لا. وإذا قوبل هذا بقول خليل في مبحث الخصائص وحرمة الصدقتين عليه وعلى آله⁽²⁾، كان في المسألة قولان.»⁽³⁾. وقفا قفوه في الثناء والإعجاب الفقيه الأديب محمد بن عبد السلام بن ناصر المتوفى عام 1239 هـ، فقال:

«.. وزرنا في خلال هذه المدة ضريح الإمام العالم العلامة الشريف الإدريسي سيدي عبد الجبار، اقتداء بسلفنا، وبالع بنوه في ضيافتنا، تقبل الله منهم. وأوقفونا على تفسيره من اثني عشر جزءا من الكبير، قال في أوله إنه اختصر القرطبي، فوجدناه يزيد عليه زيادة مستحسنة، وفوائد مستغربة، يطرزها بعبارات رقيقة، ويوسمها بجواهره...»⁽⁴⁾.

(1) هداية الملك العلام: 108.

(2) انظر مختصر خليل: باب في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم: 108 - 109 (ضبطه وعلق عليه ووضع ترقيمه: أحمد علي حركات - دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - ط / 1995).

(3) هداية الملك العلام: 108.

(4) الرحلة الكبرى: 67.

أما الهلالي فقد ركب متن الشك في عدد أجزاء التفسير، قائلا: «.. وذكروا لي أنه في اثني عشر سفرا، ولعلها أسفار صغار؛ لأنه على ما بلغني اختصر تفسير القرطبي، وهو لم يبلغ ذلك العدد، فكيف بمختصره؟!»⁽¹⁾..

ومن المصنفات الفجيجية المنوه بها في كتب الرحلات -أيضا- نظم مختصر خليل لحفيد صاحب التفسير العلامة الألمعي أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار المتوفى عام 1011 هـ، سماه «الآلئ الحسان»، وإلى هذه التسمية يشير بقوله:

سميته نظم الآلئ الحسان مختصر حاوي الفتاوى بالبيان⁽²⁾

ويحتل الرتبة السادسة في مسرد الهشتوكي، قال: «.. ومنها: سفر صغير فيه نظم مختصر خليل لبعض من ذرية السيد عبد الجبار...»⁽³⁾..

وكان ابن ناصر أشد انجذابا إلى ذلكم النظم، وبالتالي أكثر توضيحا عند تقديم ملامحه، يقول: «.. وأوقفونا (...) على نظم مختصر أبي المودّة خليل لابن ابنه أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار، وهو نظم سلس عذب، قال في أوله:

يقول باسط كف افتقار قاسم، نجل عابد الجبار

الله أستعين في نظم جليل مختصر الشيخ المحقق خليل

وما رأينا عالما تصدى لنظم منشور أبي المودّة...»⁽⁴⁾.

(1) رحلة الهلالي: 123.

(2) يتألف من حوالي 8500 بيت، منه نسخ خطية في الخزائن الخاصة والعامة، من أجودها نسخة الخزانة الملكية، رقمها: 1407.. بخط الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي الودغيري، فرغ منها عام 1194 هـ، ومنه في الخزانة الوطنية، تحت رقم: 2815 د..

(3) هداية الملك العلام: 106.

(4) الرحلة الكبرى: 67 (مخ الخزانة الوطنية: د 2327).

ومن المشاهد المتوثبة التي تؤرخ لنشاط الحركة الثقافية بفجيج، وثناء خزاناتها العامة والخاصة، وانشداد رجالها إلى العلم والتوغل في محبته، ما سجله العياشي عن صديقه أحمد بن أبي بكر السكوني صاحب التأليف الصوفية، قال:

«.. وأطلعني سيدي أحمد بن أبي بكر على تأليف له جمع فيه مناقب الخلفاء الأربعة⁽¹⁾، والله يجازيه على قصده خيرا، واستعرت من عنده كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول للعلامة محدث الديار اليمنية الشيخ عبد الرحمن المشهور بالديبع⁽²⁾... وهذا الكتاب غريب الوجود، سيما في بلاد المغرب.. ومن هذا الكتاب جمع صاحبنا كتابه المذكور في مناقب الخلفاء.. وأطلعت على كتابي إظهار المنة⁽³⁾ فابتهج به سرورا.. وكتابه بالنسبة إليه نقطة من بحر. والمنة لله ومن شكر النعمة التحدث بها. ولم تسخ نفس صاحبنا المذكور بإعارة كتابه حتى تكفلت له باستنساخ حاشية أبي الحسن على البخاري، فوفيتُ بحمد الله..»⁽⁴⁾.

وحتى تكتمل صورة هذا النشاط على وفق ما التقط هؤلاء الرحالون، ويتضح لنا أن الخزانة كانت بالفعل قطب رحاه، وأن السكوني كان نقطة مضيئة في مركزه، نستحضر ما كتبه العلامة اللوذعي الخليفة أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، المتوفى عام 1129 هـ:

(1) سماه: نزول الرحمة وسبب نيل الاصطفا، في مناقب ساداتنا الخلفاء، والصحابة وأهل البيت وأمة المصطفى، منه نسخة بخزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان، رقمها: 736 (وانظر كتابنا: دليل مخطوطات الفجيجيين: 72).

(2) عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي (866 - 944 هـ) محدث، حافظ، مؤرخ. من مؤلفاته: بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول، تمييز الطيب من الخبيث، في الحديث (الأعلام: 3 / 318).

(3) القصد إلى كتابه: إظهار المنة على المبشرين بالجنة.

(4) ماء الموائد، ج2: 420 - 421.

«.. ووجدنا هنالك شرحي دلائل الخيرات، وتنبيه الأنام للأخ أحمد بن أبي بكر الشريف السكوني الفجيجي.. وقد أُخبرْتُ أنه ما حمّله على الكتب على الدلائل والتنبيه إلا ما وجده من الكتب ميسرة في خزانة سيدي عبد الجبار..»⁽¹⁾ ونعزّزه بموقف الهلالي حين أخبر بوجود نسخة من شرح الأزهري على التلخيص⁽²⁾، قال:

«ولم أسمع به قبل، ورغبت في رؤيته، فتعذر عليه إخراجها لي، واستوصفته إياه، وسألته عن صنيعه، وكأنه طال عهده به فلم يأت بخبر..»⁽³⁾.

وضعية الخزانة من خلال كتب الرحلات:

لا نستطيع أن نحكم بشيء فيما يتعلق بوضعية هذه الخزانة قبل نهايات القرن الحادي عشر الهجري بأربع سنين، وهو التاريخ الذي صادف حلول الهشتوكي بعصراتها، فكان بذلك أول من لفت انتباهنا إلى الإهمال الذي أخذ يأكل من أطرافها، فقال: «.. ورأينا فيها كتباً غريبة، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة..»⁽⁴⁾.

ويمكن اعتبار إشارته من النذر الأولى، بل هي من إرهاصات الاختلال الذي سينغمر بها شيئاً فشيئاً في دهاليز الأفول المعتمة.. والغالب على الظن أنها بقيت على الحال الذي وصفه الهشتوكي حوالي ربع قرن بعده، ذلك أن ابن ناصر الذي حل بها عام 1121هـ، لم يُثر ما يمكن أن ينهض دليلاً على تفاقم وضعيتها، بل إنه لم يذكر سبب الاختلال، مكتفياً بقوله: «ورأيت عندهم كتباً غريبة، وهي إلى الاندثار قريبة..»⁽⁵⁾.

(1) الرحلة الناصرية: 28/1.

(2) خالد بن عبد الله الأزهري المصري (838-905هـ) نحوي عاش في القاهرة، كان يعرف بالوقاد. له مؤلفات أغلبها شروح في النحو. (الأعلام، 2 / 297).

(3) رحلة الهلالي: 123.

(4) هداية الملك العلامة: 102.

(5) الرحلة الناصرية: 28/1.

ويأتي أبو العباس الهلالي بعده بتسعة وعشرين عاما (1150هـ)، فيبين لنا أن الإهمال الذي ضرب إليه الهشتوكي يعود إلى سيبين، هما:

- عدم تعهدها بالرعاية، واستغلالها بالبحث والمطالعة، فكان أن علاها الغبار، وصارت قوتا سائغا للأرضة وتعاقب الأثرمين، يقول:

«...وقد طال عليها سالف الأبد، وأخنى عليها الذي أخنى على لبد⁽¹⁾؛ إذ ليس هناك من تعاطى العلم سبد ولا لبد⁽²⁾؛ فبقيت مخزونة كأنها كنز شحيح، حتى أضحى سقيما منها كل صحيح، وأي فائدة للكتب لا تجد من ينفض عنها الغبار؟! كأنها أموات صرعت بلا إقبار. إنا لله وإنا إليه راجعون! [بحر الكامل]:

ذهب الزمان بصفوة العلماء وبقيت في ظلم وفي عميا⁽³⁾

- تقسيم جزء منها بين أرباب العلم والمعرفة من بني عبد الجبار، وهو ما نقله الهلالي نفسه عن تلميذه المشار إليه في قوله: «ولقيت من أولاد سيدي عبد الجبار

(1) هذا من بيت النابعة الذيباني:

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد
وفي المثل: طال الأبد على لبد، راجع، مجمع الأمثال: 429/1 - رقم 2265. (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية - ط / 1955).

(2) - العرب تقول: ما له سبد ولا لبد، كناية عن الإبل والغنم، أي ماله شيء، وهذا كلام من الهلالي غير دقيق، لأن القرن الثاني عشر عرف بفجيج أسرفقه وعلم منهم: الراشديون والجمالليون وآل سيدي عبد الجبار... والظاهر أنه لم يلق من الفقهاء غير من ذكرهم.

(3) - نسب البيت في الحلة السيرة لعبد الرحمن بن وليد ابن غانم، من بيت أدب رائع وكتابة وجلالة، وبعده بيتان، هما:

وأتى طغام رقع من بعده لا فرق بينهم وبين الشاء
فإذا سألت عن النعام أسدهم علما يفسره بطير الماء

فقيههم المتصدي للحكم بين أهل قصره، قصر المعيز، سيدي الحاج عبد القادر⁽¹⁾،
وفقه الله وحرسه، وأخبرني أن عنده وعند بعض أقاربه كثيرا من كتب الخزانة...»⁽²⁾.

وبعد مضي قرن على زيارة الهشتوكي للخزانة، نزل بها صاحب الرحلة الكبرى،
ليعلن إفلاسها في عبارات تكشف عن تأثره العميق، وأساه المرير، وتحسره الممض
على ضياع هذا الصرح الثقافي المنيف، والسراج الذي أشع على المنطقة قريبا من أربعة
قرون خالية، قال:

«.. وكانت لهذا الإمام وبنيه من بعده خزانة كتب عظيمة، احتوت على دواوين
غربية.. ثم تلاعبت بها أيدي الحدثان، ومر الدهور والأزمان؛ فتفرقت شذر مذر، حتى
لم يبق منها إلا الأثر»⁽³⁾.

والواقع أن أيدي الحدثان بريئة من التلاعب الذي دمر الخزانة وأتى على جل
محتوياتها، فهذا المصير المفجع دبره وخطط له مجموعة من يهود فجيج ساءهم أن
يروا العلم يمشي في دروب القصور شامخا متألقا، فاختاروا لتنفيذ خطتهم المشؤومة
عددا من ضعافعة بني عبد الجبار وذؤبانهم وسفهاءهم، وأغرؤهم باختلاس كتبها،
ليشتروها منهم بأبخس الأثمان وأوكسها، وحتى يكون كلامنا ذا مصداقية نقرأ هذا
الإشهاد الغني عن كل تعليق:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد الصادق، وآله السوابق، وصحبه
اللواحق، وسلم تسليما.. شهداء هذا الرسم الآتية يشهدون ويتحققون بأنهم سمعوا من

(1) عبد القادر بن محمد بن أبي زيان، فقيه، أجازته الهلالي، توفي عام 1176 هـ (انظر نص إجازته في كتابنا:
فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي: 250).

(2) رحلة الهلالي: 123.

(3) الرحلة الكبرى: 67.

الثقات وغيرهم سماعا فاشيا بأن اشلوموا بن عكّ من أولاد هارون القاطن يقصر المعيز، أفصح لهم بقوله: إن الكتب التي في دار العدة المنسوبة للبركة الكاملة سيدي عبد الجبار بن أحمد - نفعنا الله ببركاته - خرّبتهم بتحليلي، وبعثتهم لسجلماسة، وكتب بطاقة للبلدة المذكورة يخبرهم ويُعلم اليهود بصوّلته وجوّرتة (كذا) مع سيدي محمد ابن أبي القاسم من نسب سيدي عبد الجبار المذكور - نفع الله به - هو الذي شاركه في الكتب من سرقته من داره، بل من دار العدة.. وسيدي محمد بن أبي القاسم المذكور، يرفع الكتب من دار العدة، ويضعهم عنده اشلوموا المذكور في داره، حتى يبعثهم للقنادسة، ومن القنادسة إلى البلاد المذكورة أعلاه.. هذا ما أفصحوا (كذا) به الشهود، وقيدت شهادتهم مسؤولية منهم لسائلها بعد إذنهم وتوديتهم، وهم عدل رضي ممن تقبل شهادتهم، وترضى حالهم ومقاتلتهم.. وبه كتب من تلقى الشهادة منهم تلقيا تامّا كما يجب.. وبعد تعديد أكثر من عشرين شاهدا، قال: «وجم غفير يطول ذكرهم، ويشق تثبتهم.. بتاريخ فاتح المحرم الحرام عام واحد⁽¹⁾ وتسعين ومائة وألف..»⁽²⁾.

قلت: نقرأ هذا الإشهاد، ونربطه بآخر يبيّن لنا بجلاء سوء نياتهم وطواياهم، وسبق إصرارهم على تنفيذ مخططهم دونما إسرار أو مواربة، جاء فيه بعد حمد الله:

«تلقى كاتبه الشهادة ممن يأتي أسماؤهم قبل تاريخه، معرفتهم اشلوموا بن عكّ الذمي القاطن قصر المعيز بفجيج، معرفة كافية معتبرة عينا واسما، بها ومعها يشهدون بأنهم سمعوا سماعا فاشيا مستفيضا من أهل العدل وغيرهم أن اشلوموا المذكور أخذ من السيد محمد بن أبي القاسم ابن عبد الجبار عدة كثيرة من كتب خزانة سيدي عبد الجبار نحو الحملين، وبعثهم، بل سافر بهم إلى سجلماسة. وبعض الشهود زاد في

(1) في الأصل: إحدى.

(2) وثيقة خاصة.

شهادته أن اشلوموا المذكور بعث بطاقة إلى سجلماسة لأهل الذمة يخبرهم فيها، ويقول لهم افتخارا منه عليهم: دار واحدة في بلد فجيج خربت أساسها وأخذت كتب خزانها⁽¹⁾.. ما صنعتكم أنتم؟ وهذا ما أدوا به لدينا أداء تاما...⁽²⁾... وكتب من تلقاها منهم كما ذكر، ووعاها كما سطر، والكل عدل رضي.. بتاريخ (... جمادى الثانية من عام واحد وتسعين ومائة وألف..)⁽³⁾.

وهكذا لم يفصل بين التخريب الممنهج للخزانة ونعيمها بحزن ساخن سوى خمس سنوات.. حتى إذا جاء الاستعمار جند صنائعه للإجهاز على الأثر الناصري، فلم نعد نرى فيها اليوم إلا أضيالير مختلفة الشيات والخطوط والأنقاس، تحكي قصة ماض حافل بالعطاء والتميز، وتبكي مجدا زائلا لم نحافظ عليه مثل الرجال!

ولعله من المفيد أن نسجل في هذا المقام أنّ محمد بن أبي القاسم الذي استغله اليهود لتنفيذ برنامجهم الخسيس كانت له سوابق مخزية مع الخزانة، وبسبب أفعاله المشينة اضطر العالم النبيه الشيخ عبد القادر بن محمد ابن عبد الجبار⁽⁴⁾ تلميذ أبي العباس الهلالي أن يقوم بمبادرة تجديد حبس جده سيدي عبد الجبار، الذي كان قد وقف خزانته على من يتعاطى العلم من غير تخصيص أو تمييز.. فعل ذلك بصفته ذؤابة بني عبد الجبار، والساھر على ضمان السير الحسن لزاويتهم في تلك المرحلة العصيبة.. وتجرد للمهمة قاضي فجيج الشيخ اللبيب محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي⁽⁵⁾

(1) في الأصل: خزانة كتبها، ووقع التصحيح على الهامش موثقا بعلامته.

(2) ذكر عددا كبيرا من الشهود.

(3) وثيقة خاصة.

(4) سبقت ترجمته وشيكا.

(5) محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي الوردغيري، من أكبر فقهاء فجيج في القرن الثاني عشر، تولى خطط الفتوى والقضاء، وتصدر للتدريس والإمامة في المسجد العتيق بقصر الوداغير، وكان ذا خط =

الذي خرج إلينا بوثيقة حبس قيمة بأسلوبها، وتفاصيل ديباجتها، ننقل منها ما تمس حاجتنا إليه:

«... والباعث في إنشاء هذا الرسم وتأسيسه، أن أحد الذرية وهو: السيد محمد بن قاسو⁽¹⁾ فعل فعلا خان فيه، يُعزّر شرعا عليه، بأن أخذ من الخزانة المذكورة عدة كثيرة من الكتب، وباعها في ناحية المغرب، فطلب منا ماسكه الفقيه الأجل السيد الحاج عبد القادر بن محمد من نجل سيدي عبد الجبار المذكور ارتسام بينة الوقف، وأن نضع له ذلك في كتاب؛ ليرتفع عنه بذلك تخالج الظنون، وخطارات الارتياب، ليكون بيده حجة قاطعة يستردّها ما وجده من تلك الكتب بينة قاطعة، فأجبناه لما سأل، وأسعفناه في ما عليه عوّل، ونقول بعد حمد الله: شهوده⁽²⁾ الموضوعه أسمائهم إثر تاريخه، ما زالوا منذ أدركوا بأسنانهم، وميّزوا بأذهانهم، وفهموا بعقولهم، يسمعون سماعا فاشيا من ألسنة العدول وغيرهم من أهل بلدة فجيج ممن لا يُحصى، أن خزانة كتب أولاد سيدي عبد الجبار حبس معق، لا يورث ولا يُقسم، ولا يباع ولا يوهب، كما ذكر أعلاه.. كل ذلك في علمهم، وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم في أواسط ربيع النبوي سنة 1165هـ⁽³⁾. وحتى لا يُفهم من لفظة «معقب» أن الخزانة أصبحت محصورة بين بني عبد الجبار بدءا من تاريخ تجديد الحبس، علينا أن نعمل النظر في عبارة الحبس

= جميل حسبما رأيناه في عدد من منسوخاته.. توفي رحمه الله عام 1197هـ (انظر كتابنا: بيوتات العلم والأدب بفجيج: 65 وما بعدها).

(1) هو نفسه المسمى في وثيقتي اليهودي: محمد بن أبي القاسم، وقاسو اختصار لأبي القاسم في الخطاب الفجيجي إلى يومنا هذا.

(2) يتوزع هؤلاء الشهود كما يأتي: قصر المعيز 10 - بنو يكرمين 6 - بنو جرنيت 3 - الحمام الأعلى 3 - أولاد سليمان 3 - بنو هارون 3 - بنو محرز 3 - الوداغير 4 - العبيدات 3.. المجموع: 38 شاهدا.

(3) مصورة من مخطوطة خاصة.

الأصلي: «حبسا على من ينتفع بها من الذرية وغيرهم: بالنظر فيها، والانتساخ منها، إن كان أهلا لذلك، ثم تُردّ بعد ذلك لمحلها، معقب مؤبّد، ووقف صحيح مخلد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث، حسبما شهد به الجم الغفير، والملاّ الكثير من أهل بلدة فجيج، خلفا عن سلف، بحيث لم يقع فيها إرث ولا قسمة بين ذرية من ذكر قط، من حيث جمعت إلى الآن..» (أي إلى تاريخ تجديده)⁽¹⁾.

هذه هي خزانة دار العدة التي كانت أحدى الرحالين المغاربة وقبلتهم، وتيمة مهمة في كتاباتهم.. لا ترى منها الآن وأنت داخل إلى ضريح مؤسسها إلا أضيّير وأوزاع أوراق، غارقة في صمت الموتى بجوف خزانة كالقبر.. وإنها لخواطر حزينة تأخذ بتلابيب نفسي؛ فأضطرب وأتلوّن، ويخفق قلبي كلما دخلت إليها مع أحد الزوار ممن جاؤوا من بعيد، يداعبهم الأمل السعيد في تحقيق ما يرجون.. فإذا فُتحت في وجوههم الخزانة، ورأوا مشمولاتها شعئا متعبة، انطفأت واربذت، وانكفأوا بخيبة وأسف عريض على الحال التي لا يزال عليها هذا الصرح الذي غدا عليه وراح مئات العلماء والأدباء.

ولو أن بني عبد الجبار تشاوروا في أمرها، واجتمعوا حولها على رأي سديد، واتفقوا على إعادة بنائها، وإيقاظ مجدها، فيؤثثوها مما يرقد على رفوفهم وفي صناديقهم من هذا الحبس الخيري العظيم، وهو موجود بين أيديهم لا يستطيعون إنكاره.. أقول: لو فعلوا ذلك لترقق في وجهها ماء الحياة، وانبثق ربيعها، وصلاح أمرها، وارتفع شأنها، وربما بلغوا بفجيج الغاية المثلى التي سعى إليهم أجدادهم الأكرمون.. ولو لم يكن في ذلك إلا الأجر والمثوبة، والخروج من الوعيد الذي ينتظر الذين يكتمون

(1) فكيك، تاريخ وأعلام: 163.

العلم، لكفاهم فخرا وشرفا مميزة، ولكفوا أنفسهم شعورا بالذنب يحس به نبهاؤهم وأخيارهم.

فمتى ينتفض هؤلاء في وجه العجز والاستخذاء واللامبالاة ومتى تعود الحياة إلى هذه الخزانة ويدب في عرصاتها النشاط؟ ومتى تفك عنها القيود وتنزاح الأغلال؟.. وأنذ يعانق فجيئنا شبابها الأول، وتصير قبلة للعلم والعلماء مثلما كانت أيام القوابس المرضيين الأبرار.. وشكر الله سعي الرحالين النبلاء، أشفقوا على الخزانة حين قسا عليها أبناءؤها، وأعلوا صيتها، ونشروا من أنبائها، ما جعل حقيقتها ساطعة يجري نورها مع الركبان إلى مختلف البلدان والأمصار.

فرحم الله تلك الأبدان، وأسكن أرواحهم في فرايس الجنان!! آمين، والحمد لله رب العالمين.

* * * *

المحور الثامن

نقد التحقيق

شعر ابن خروف القرطبي (ت 613هـ)

- نقد واستدراك -

صفاء عبد الله برهان

جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

تقديم

تحظى المستدركات الشعرية بأهمية كبيرة في مرحلة ما بعد صناعة الدواوين؛ لأنها تضيف رصيذاً جديداً على شعر الشاعر، وعلى وفق ذلك تعطي صورة أوضح لشعره، وهو الشأن الذي قد يمكن من إصدار أحكام نقدية جديدة، تخالف الأحكام السالفة التي تخص شعر شاعر أو ظاهرة شعرية معينة. ومن هنا حرص الكثير من الباحثين على استقصاء ما يمكن أن يظهر من شعر جديد لم ينشر في الدواوين المكتشفة أو المصنوعة، ولا سيما فيما يتعلق بالشعر الأندلسي الذي تعاهده الباحثون بتحقيق ما يكتشف من مخطوطات تضم أصول الدواوين الشعرية، أو تلك التي عنت بصناعة ما موجود من أشعار الشعراء، ممن فقدت أصول دواوينهم الشعرية، ومن ثم تأتي المستدركات؛ لتكمل حلقة مهمة من حلقات نتاج الشاعر.

وهكذا يأتي هذا البحث ليكمل ما تمّ جمعه من شعر ابن خروف القرطبي، عبر جهد الدكتور محمد عبد الله عباس الشال سنة 2015م، بعدما ضاعت أكثر أشعاره وتناثرت في مصادر متنوعة، ولا سيما المخطوطة منها، أندلسية كانت أم مشرقية، وهي

لما تزل يظهر منها بين الحين والحين الآخر. فكان أن عمد الباحث إلى استقصاء ما فات الدكتور الشال من شعر في وقت صناعته مجموع شعر ابن خروف، أو ما ظهر بعد عملية الجمع، بحسب ما تابعه من مصادر، تحصل منها على عدد من القطع الشعرية التي لم ترد في شعره المجموع.

كانت خطة البحث تقتضي أن يشرع الباحث بمدخل للتعريف بابن خروف القرطبي، معتمدا في الأغلب عددا من المصادر، مما لم يعتمد عليه الدكتور الشال في حياة ابن خروف، بعد ذلك تعرض إلى عمل الدكتور الشال في عدد من المواطن التي كان عليه أن يأخذها بالحسبان، بحسب الملاحظات النقدية والمنهجية التي وقف عندها الباحث، بما يلفت الأنظار إليها، عساها تفيد المجموع المنشور من قبل الدكتور الشال، سواء في حياة الشاعر أم في القسم الشعري من البحث، إن تيسر له إعادة نشر شعر ابن خروف مرة أخرى.

بعد ذلك جاء القسم الثاني، وهو الاستدراك على شعر ابن خروف، بعدد من القطع الجديدة التي لم يسبق نشرها في ذلك المجموع الشعري، وقد قدم لها بتخريجات جديدة على ما عدد من قطع المجموع الشعري، وبيان الفروق مع روايات ذلك المجموع. بعد ذلك عرض الحديث عن أغراض القطع المستدركة، ومن ثم إيرادها مراعيًا بذلك ترتيبها بحسب حرف الروي وقوته، وترقيمها وبيان تسلسل الأبيات في ضمن القطعة الواحدة، فضلا عن ذكر بحورها، وشرح ما أبهم من ألفاظها، ومن ثم شرح مختصر للإشارات الواردة فيها، سواء أكانت دينية أم تاريخية أم أدبية، بما يفهم صورة ذلك الشعر المستدرك به، وتقريبه من المتلقي. عسانا بذلك قدمنا خدمة يسيرة للشعر الأندلسي، ولعل الأيام تسعف الباحثين بظهور نصوص جديدة لشعر ابن خروف؛ لتكتمل صورة شعره بنحو أوضح. والله تعالى ولي التوفيق.

مدخل: التعريف بابن خروف القرطبي:

علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسي الأندلسي، أبو الحسن، المشهور بابن خروف القرطبي، ولد بقرطبة وأخذ عن مشيخة العلم فيها، ثم تنقل بين مدن الأندلس إلى أن رحل إلى المشرق بنية الحج، ثم قدم بلاد الشام ونزل حلب، واستوطنها في أيام الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب، وانقطع إليه وامتدحه بعدد من قصائد؛ ومات في أيامه، وقد اختلف في سنة وفاته على أقوال، ويفهم من ابن ظافر الازدي (ت 613هـ) أنها قبل سنة وفاته، لأنه سمع منه ما أنشده لبعض الشعراء وترحم عليه، على حين تأخر ابن الأبار البلسي وابن عبد الملك المراكشي، فجعلها سنة 620 هـ، ونرجح قول ابن ظافر الازدي؛ لأنه نقل عنه بالمباشر، عندما نزل القاهرة، بخلاف الأخيرين الذين فارق بلادهما الأندلس والمغرب، وجل ما يعرفاه بالسماع عن طريق الواسطة⁽¹⁾.

كان ابن خروف القرطبي من شعراء زمانه المعدودين، وقد نال منزلة كبيرة في حرفة الأدب، فضلا عن المعارف التي حازها عن شيوخ عصره، زان ذلك بمحبة أغلب من عاصره، أو نقل عنه، وهو ما أثبتته الكثير من المؤرخين والأدباء ممن تعرضوا لسيرته. فقد قال ابن عسكر المالقي (ت 636هـ): (الأديب أبو الحسن بن خروف، أصله من قرطبة، ورد علينا بمالقة وأقام بها مدة، وكان رحمه الله عارفا بصناعة الأدب محققا فيها حافظا للغات والآداب، يتصرف في فنون شتى من العلوم مع الشعر الرائق والأدب الفائق)⁽²⁾.

(1) ينظر: بدائع البدائه، ابن ظافر الازدي: 260، وقلائد الجمان في فرائد شعراء الزمان، ابن الشعار الموصلي: 3/ 298، وأعلام مالقة، ابن عسكر المالقي: 313-314، والتكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلسي: 3/ 232، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي: 5/ 29.

(2) أعلام مالقة: 313.

وهنا أورد ابن عسكر المالقي إشارة إلى حضور ابن خروف بمالقة، جنوب الأندلس، وهو ما لم يذكره سواه بحسب علم الباحث - ومنهم صاحب مجموعه الشعري - ونجد أن الرجل حين نزوله مالقة، كان معروف الفضل، بحسب ما عرضته مفردات ابن عسكر المالقي، ولا سيما تمكنه من العلوم والآداب واللغات، مشيدا بشعره الذي وصفه بـ(الرائق)، وهو ما يعني أنه كان مجيدا في شعره مكثرا فيه، وأنه كان مطبوعا في قول الشعر غير متكلف في حرفته.

وهو ما ذكره ابن الشعار الموصلي (ت 654هـ)، بقوله: (كان من المطبوعين في الشعر، وظرف الناس في وقته؛ وكان من المطبوعين ذا فصاحة ودماثة، فيما بعلم العربية والأدب، حسن الشعر، يتخالع فيه، وله مكاتبات ورسائل ويد باسطة في عمل الموشح والأزجال الأندلسية. وكان من أقدر الناس في صنعتها)⁽¹⁾.

وهنا ردد ابن الشعار مفردات سلفه، وزاد عليها بمعلومات مفيدة عن الرجل، وهي ظرافة شخصيته، وتخالعه في الشعر، هذه من الإشارات المهمة التي تعلن بعدا مهما في شعر ابن خروف القرطبي. كذلك نلاحظ إشارات الأخرى في الحديث عن الرسائل النثرية الخاصة بابن خروف، والأهم من ذلك أن له باع طويل في الموشحات والأزجال الأندلسية، وهو مما برع فيه أهل الأندلس بعدما اخترعوا هذا الفن الشعري.

وكان ابن خروف القرطبي واحدا من أولئك الوشاحين الأندلسيين، ومما يؤسف له أنه لم تصل إلينا من تلك الموشحات التي اشتهر بها. ومهما يكن من شأن فإن معاصري ابن خروف، قد أوضحوا ما للرجل من منزلة كبيرة في حرفة الأدب عامة، وإن

(1) قلائد الجمان في فرائد شعراء الزمان: 3 / 298.

كان غلب عليه الشعر بأنواعه على ما سواه بحسب الواصل إلينا، مما سلم من فقدان من أدبه الرائق الذي عرف به. ومن ثم فلم تكن من مندوحة أمام ابن عسكر المالقي، وهو يذكر شهرة ابن خروف القرطبي، بقوله: (شعره وأدبه مشهور)⁽¹⁾.

والحق أن ابن خروف لمن يحرز تلك الشهرة، لولا كثرة شعره وشيوعه، فضلا عن إجادته، ولكن مع كل ذلك لم تصل إلينا من تلك الكثرة التي كانت سببا لشهرته إلا أبيات قليلة، لا تمثل كمية الشعر الحقيقية التي نظمها الشاعر، وتداولته الروايات عنه. وقد زاد ابن سعيد الأندلسي (ت 685هـ) على سلفه ابن عسكر المالقي في بيان مدى شهرة ابن خروف بقوله: (شاعر مشهور في الشرق والغرب)⁽²⁾.

وهكذا كان ابن خروف القرطبي من الشعراء الأندلسيين، ممن ألقى رحله بعيدا حيث الشام، وكانت له حظوة بتلك البلاد، إزاء شهرته ببلاده الأندلسية؛ إذ نال عناية أعيانها، فكان ممن (كتبوا في ميدان المدح والوصف واستدرا عطف الحكام وشرح قصائد غيرهم)⁽³⁾. واستمر على حاله إلى وفاته بمدينة حلب، وكما تبين مما عرض من شذرات من سيرته، فهو غيره ابن خروف النحوي الحضرمي الإشبيلي، الذي اشتهر بعلم العربية، وهو صاحب شرح كتاب سيبويه (بتنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب)، وتنقل بين إشبيلية ومراكش وفاس، ولم يذهب نحو المشرق، وقد أصابه اختلال لازمه إلى وفاته بإشبيلية في صفر سنة 609هـ⁽⁴⁾.

(1) أعلام مالقة: 314.

(2) المغرب في حلى المغرب: 1 / 136.

(3) الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، د. أحمد علي: 202.

(4) ينظر: التكملة لكتاب الصلة: 3 / 226.

القسم الأول:

مجموع شعر ابن خروف القرطبي - عرض ونقد -

لقد تصدى الدكتور محمد عبد الله عباس الشال؛ لجمع شتات ما وصل إلينا من شعر ابن خروف القرطبي، فقام بتلك المهمة جامعا (33) قطعة شعرية، بعد تتبع ما وصلت إليه يده من مصادر حياته وشعره على حد سواء، وجمع المتبقي من شعره، ونشره في بحث بمجلة كلية الآداب بجامعة بنها، العدد الرابع في أبريل سنة 2014. وقد قسّم الدكتور الشال عمله على مقدمة وقسمين، تناول الأول حياة الشاعر على حين تناول القسم الآخر مجموع شعره. وكان عمله عملا علميا أكاديميا، وفق فيه الباحث الكريم إلى حد كبير.

اعتمد الباحث في جمعه شعر ابن خروف القرطبي على اثني عشر مصدرا تنوعت بين أندلسية ومغربية ومشرقية، وهي: كتاب (صلة الصلة) لابن بشكوال (ت 578هـ)، وكتاب (زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر) لصفوان بن إدريس التجيبي (ت 598هـ)، وكتاب (المعجب في تلخيص أخبار المغرب)، لابن عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ)، وكتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان (ت 681هـ)، وكتبا (رايات المبرزين وغايات المميزين، والغصون الياقة في شعراء المائة السابعة) لابن سعيد الأندلسي (ت 685هـ)، وكتاب (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة) لابن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ)، وكتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لابن فضل العمري (ت 749هـ)، وكتاب (الوافي بالوفيات) لصالح الدين الصفدي (ت 764هـ)، وكتبا (بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغة، وتحفة الأديب لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، وكتاب (جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس) لابن قاضي المكناسي (ت 1025هـ).

المقدمة:

ومن أبرز ما جاء في عمل الدكتور الشال، هو تمييزه بين ابن خروف الشاعر ومعاصره وسميه وابن مدينته ابن خروف النحوي (ت 610هـ)، وهو الشأن الذي اختلط على كثير من الباحثين قديما وحديثا، للتشابه الكبير في الاسم الذي وصل إلى الرابع منه، فضلا عن وجودهما في مصر وعصر. وقد قال في مقدمة بحثه: (نسبوا للآخر أشعارا وأخبارا غير صحيحة، وقد اوضحت هذا الخلط من خلال استقراء المصادر الأقرب إلى الشاعر وعصره، ولأن هذه الأشعار التي نسبت لابن خروف القرطبي هي الأقرب إلى أسلوب ابن خورف القرطبي الشاعر)⁽¹⁾.

بعد ذلك يبين الباحث الكريم، معالم المنهج الذي سار عليه في جمع شعر ابن خروف القرطبي، قائلا: (بعد استخراج أشعار ابن خروف القرطبي من المصادر المختلفة، قمت بترتيبها ترتيبا هجائيا مع ضبط ألفاظها، وتخريج مصادر النصوص تحت كل نص، مع توضيح الألفاظ التي غمضت معانيها في الحاشية السفلية، والتعريف ببعض الأعلام)⁽²⁾.

وقد قصد الباحث إلى الترتيب الهجائي، ونعني به ما يختص بترتيب القطع الشعرية بحسب حرف الوري، وهو الترتيب الـ(ألف بائي) المشرقي، ولكنه لم يذكر ترتيب ذلك بدقة ضمن الروي الواحد، ونعني به انتظام القطع الشعرية، بحسب حركة الروي من المضموم فالمفتوح فالمكسور فالساكن. كذلك كان عليه أن يعرف الأعلام كافة، ممن لم يطرق ذكرهم الأسماع عند أغلب المتلقين، كذلك لم يذكر منهج ذكر

(1) شعر ابن خروف القرطبي: 82.

(2) شعر ابن خروف القرطبي: 82.

الروايات المختلفة هنا، على الرغم من أنه طبقه فعلا في تناوله الروايات في الهوامش السفلية، وقد كان موفقا في ذلك إلى حد كبير.

القسم الأول: حياته وشعره:

وفيها تعرض الدكتور الشال إلى نسب الشاعر، وكنيته، ولقبه، والإحالة إلى مصادر ذلك، وقد ذكر في حاشية الصفحة سميّه ابن خروف النحوي، وعرف به ثم أحال إلى مصادر التعريف. وهي بداية موفقة ميزت بين هذين العلمين الأندلسيين المتعاصرين، ولكن ثمة ملحوظتان منهجيتان تخص المصادر التي اعتمدها؛ إذ يراعى الدكتور الشال الترتيب الزمني لتلك المصادر في بعض المواطن، فقد قدم في الهامش (1)، كتاب (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة) لابن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ) على كتب ابن سعيد الأندلسي (ت 685هـ)، وهي (رايات المبرزين وغايت المميزين، والغصون الياقة في شعراء المائة السابعة، والمغرب في حلى المغرب). ومن ثم آخر عن هذه الكتب الثلاثة والتي سبقها كتاب (وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان) لابن خلكان (ت 681هـ)⁽¹⁾.

وكان المفروض أن يقدم على كتب ابن سعيد الأندلسي، ثم يتلوها كتاب ابن عبد الملك المراكشي، بحسب تاريخ ظهور الكتب ووفاة مؤلفيها زمنيا. والشيء نفسه نجده في المراجع المعتمدة في الصفحة نفسها، فقد أخر كتاب عمر فروخ (تاريخ الأدب العربي) المنشور سنة 1985. ووضعه بعد (الأعلام) لخير الدين الزركلي المنشور سنة 2002م، ومعجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، لكامل سلمان الجبوري المنشور سنة 2003م⁽²⁾.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 84.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 84.

والحال نفسها نجدها في الهامش (2)، عندما عرّف بابن خروف النحوي، فقدم كتاب (بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغة) للسيوطي (ت 911هـ) على كتاب (فوات الوفيات) لابن شاکر الصفدي (ت 664هـ)، وبعد ذلك كرر الخطأ نفسه فأخّر كتاب (سير أعلام النبلاء) للذهبي (ت 749هـ)، وكان عليه أن يجعله بعد (فوات الوفيات) ومن ثم يأتي بكتاب السيوطي بعدهما بحسب الترتيب الزمني⁽¹⁾. بعدها تحدث عن نشأة ابن خروف ورحلاته واتصال برجال عصره، فذكرها بنحو مختصر وعساها تفي بالغرض، ولكنه ثمة أمور كان عليه ذكرها، وهي:

1- أهمل تعريف من أعلام من الأندلسيين والمشاركة على حد سواء، وهم: (الوزير ابن سعيد بن جامع، وظافر الحداد الشاعر، والملك الظاهر الأيوبي، ونور الدين أرسلان شاه، وبهاء الدين ابن شداد، وقاضي القضاة محي الدين ابن الزكي، وأبو الطاهر الخشوعي، وأبو الحسن المالقي، وأبو عمرو بن سالم، وأبو الخطاب بن الخليل. وابن عياش الكاتب الذي عرف به في موضع لاحق، وهو خطأ منهجي واضح؛ لأنه يجب التعريف به عندما يذكر للمرة الأولى).⁽²⁾

2- اختصاره في أسماء المصادر والمراجع التي اعتمدها في الهامش، وأحياناً يأتي يذكر اسم المصدر على الرغم من أنه يأتي في هامش مباشر بعد الهامش الذي ذكر فيه قبلاً، كما في هامش (1، و2)، وذكر (صلة الصلة)، وتردد ذلك في الهامشين (5، و6)، وكان المفروض أن يذكر المصدر نفسه في الهامشين (2، و6). وكذلك الحال في كتاب (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة)؛ إذ تردد ذكره في الهامشين (5، و6)⁽³⁾.

(1) ينظر: شعر ابن خروف القرطبي: 84.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 85.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 85-86.

شعره:

عمل الباحث على جمع ما تمكن جمعه من شعر ابن خروف القرطبي، وقد نظم بذلك جداول إحصائية للأغراض الشعرية، كذلك للأوزان الشعرية والقوافي التي نظمت عليها الأبيات، ونسبة كل ذلك وقد أحسن في هذا الصنيع. كذلك أحسن في تخريج القطع الشعرية، وترقيمها وبيان تسلسل الأبيات في ضمن القطعة الواحدة إلى حد ما، والموازنة بين الروايات المختلفة، وتخريج البحور الشعرية، فضلا عن التعريف بعدد من الإشارات الواردة في الأبيات، سواء أكانت دينية أم تاريخية أم أدبية، ولم ينس شرح ما غمض فهمه من المفردات اللغوية في الأبيات.

1- أحيانا يخرج عن الالتزام بمنهج واحد في ترتيب القطع الشعرية، بلحاظ أنه اعتمد ترتيب أحرف الروي هكذا (الساكن، فالمضموم، فالمفتوح، فالمكسور)، وكان عليه تأخير الروي الساكن؛ لأنها الأضعف في حركة الروي. ومما وقع فيه في عدم ترتيب القطع هو تقديمه الباء الساكنة في القطعة (2) على المضمومة في القطعة (3)، والمفتوحة في القطعة الخامسة، والمكسورة في القطعة (6). وهذا الشأن تكرر معه في تقديم الراء المكسورة في القطعة (16) على الراء المفتوحة في القطعة (17)، ثم عاد إلى الراء المكسورة في القطعة (18). وهكذا فقد قدم الفاء الساكنة في القطعة (21) على الفاء المكسورة في القطعة (22)⁽¹⁾.

2- تكرار الخطأ المنهجي الذي وقع فيه في ترديد اسم المصدر الذي يأتي مرة بعد أخرى، وهو ما وجد في الهامش (2، 3)⁽²⁾.

(1) ينظر: شعر ابن خروف القرطبي: 106، و107، و112، و113.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 88.

3- تقديم ما حقه التأخير من المصادر المعتمدة في تخريج الشعر، كما حدث في تخريج مصادر القطعة (20)، عندما قديم (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة) على (المغرب في حلى المغرب والغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة)⁽¹⁾.

4- أعاد الخطأ نفسه بتقديم (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة) على (المغرب في حلى المغرب) في تخريج القطعة (25)⁽²⁾.

5- زيادة في أسما عدد من المصادر لم تكن موجودة في أصل التسمية، ولعلها مما تضعه دور النشر، ومن ذلك ما ورد في (زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر)؛ إذ ذكر معها عبارة: (- أشعار الأندلسيين - عصر الدولة الموحدية). وقد ردد ذلك في قائمة المصادر، كذلك الحال في (صلة الصلة)، إذ أورد عبارة (وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس)⁽³⁾.

6- لم يعرف بملك سبتة إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن، كذلك ابن اللهيبي الدمشقي. وعمل على التعريف بابن عياش الذي ذكر للمرة الثانية، وقد سبق ذكره دون التعريف به⁽⁴⁾.

7- أحيانا يعمد إلى ترقيم الأبيات التي استشهد بها في دراسته للأغراض والسمات الفنية، كان عليه أن يتجنب الترقيم؛ لأن هذا الشأن خاص في القسم الآخر (مجموع شعره)⁽⁵⁾.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 88.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 114.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 108، و117.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 92، و93.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 90، و91، و93، و94، و95، و96، و96، و97، و99، و100، و101، و102، و104.

8- أهمل ترقيم تسلسل الأبيات في القطع: (1، و4، و7، و8، و13، و14، و16، و18، و21، و22، و23، و25، و28). بلحاظ أنه ذكر تسلسل البيت الرابع فحسب في القطعة (20).

القسم الثاني

الاستدراك على شعر ابن خروف القرطبي

أما عن عملي في المستدرك فتمثل في جمع عدد من القطع الشعرية، التي فات الدكتور الشال ذكرها، عند جمعه شعر ابن خروف القرطبي، وما ظهر بعده من مصادر أخرى، مما لم يتسنَّ له الوقوف عليها حينذاك، وهي كتب (أعلام مالقة، وعقود الجمان في فرائد شعراء الزمان، وجنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة في صلة المطمح بالجزيرة مما ولدته الخواطر من المحاسن في هذه المدة الأخيرة للرعيني «ت 666هـ»). وكان عدد القطع المستدركة (21) قطعة ضمت في (69) بيتا، وقد قدمت لها بعرض الأغراض الشعرية لتلك القطع المستدرك بها، وقبل أن أشرع بذكر ذلك، أذكر هنا عددا من التخريجات الجديدة لعدد من القطع التي جمعها الدكتور الشال، مع ذكر الاختلاف في الرواية المثبتة في متن شعره المجموع:

1- قطعة رقم (1)، لمح السحر من رُوح الشعر وروح الشحر: 387، وفيها (غيطان) بدلا من (حيطان).

2- قطعة رقم (6): قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 299 / 3. وفيها (حسنك) بدلا من (نعماك).

3- قطعة رقم (9): قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 299 / 3. وفيها (الروح أرياح) بدلا من (الروح أرواح).

4- قطعة رقم (10): قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 301 / 3. وفيها (كل وقت). بدلا من (كل يوم).

5- قطعة رقم (15): أعلام مالقة 313.

6- قطعة رقم (19): أعلام مالقة 313. وفيها (غضب) بدلا من (قتل).

7- قطعة رقم (20): أعلام مالقة 313، وقلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 300 / 3، والوافي في نظم القوافي، لأبي الطيب الرندي (ت 685هـ): 335، ولمح الشعر من رُوح الشعر وروح الشعر، ابن ليون التجيبي (ت 750هـ): 269. وقد ورد في قلائد الجمان: (متأوّد) بدلا من (متأودا)، و(فوق كثيبه)، بدلا من (وسط رياضه). (متلاعّب) بدلا من (متلاعبا). و(لرياسه)، بدلا من (رئاسه). على حين ورد في الوافي في نظم القوافي: (متأوّد)، و(فوق كثيبه)، و(متلاعب)، و(لرياسه). على حين وردت في لمح السحر (ومعشوق)، بدلا (ومنوع)، وعجز البيت (كالدهر يلعب كيف شاء بناسه)، و(متأوّد)، و(كالغصن فوق كثيبه)، و(لرياسه).

8- قطعة رقم (21): قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 300 / 3. وفيها (أصبحت) بدلا من (أمسيت).

9- قطعة رقم (30): جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة: 297-298. وفيها (الشأو)، بدلا من (العدو)، و(في جنح)، بدلا من (في صخر)، و(لا تعجبوا)، بدل (لا تنكروا)، و(لا بد لليل)، بدلا من (لا بد من الليل).

10- قطعة رقم (33): قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 298 / 3. وفيها (ابن اللهب دعاني)، بدلا من (دعاني ابن اللهب)، و(إن صرت) بدلا من (إن عدت).

الأغراض الشعرية:

توزعت الأغراض الشعرية في القطع المستدركة على خمسة أغراض، وهي المديح، والوصف، والهجاء، والغزل، والخمر. وهي امتداد للأغراض نفسها التي شاعت في شعر ابن خروف القرطبي، فجاءت هذه القطع امتداد طويلاً يزيد عدد القطع المكتشفة من شعره، وأفقياً تتناسب مع المعاني المعروضة في الأغراض الشعرية، وستناول المفردات التالية بالحديث عن هذه الأغراض بحسب عدد القطع التي وردت بها.

الوصف:

تصدر الوصف أغراض ابن خروف القرطبي؛ إذ ورد وصفه في (12) قطعة، ضمت (30) بيتاً شعرياً، بفرق بيتين عن المديح فحسب، وقد تنوعت موصوفات ابن خروف القرطبي، فشملت وصف الحيوان، ووصف الطبيعة، ووصف الغرفة، ووصف لعبة الشطرنج، ووصف البرقع، ووصف العذار. وهو ما يؤكد أن الشاعر كان وصافاً لما تقع عليه عينه، ولا مشاحية في ذلك فهو ابن الأندلس التي غرست تلك الملكات في أبنائها ولا سيما الشعراء. وكان الوصف لديه يحاكي مفردات الحياة اليومية، ويزيد عليها من رؤيته الشعرية وتجربته الشخصية، ولم يجد من تكلف في وصف كل ذلك، بل جاء بصور ومعانٍ أضفت على الموصوفات صور شعرية متفردة، تزدان بها ولا سيما كثرة وجود الاستعارات والتشبيهات، فضلاً عن المحسنات البديعية.

فمن وصفه للطبيعة قال أبو الحسن بن خروف من قصيدة: ⁽¹⁾ [البسيط]

وَتَنْثُرُ الْمِسْكَ أَشْحَارَ مُعْطَرَّةٍ عَلَى الرَّبَى وَتَفْتُ الْوَرَسَ آصَالُ
وَلِلنَّسِيمِ الَّذِي يَخْتَالُ بَيْنَهُمَا سُكْرٌ لَأَنْهُمَا قَارٌ وَجِرِيَالُ

(1) القطعة 15.

فهنا استثمر المرجعية الحسية في تأسيس هذا الوصف، عندما ركن إلى حاسة الشم والبصر في تصوير جمال الربى، وهي تلبس تلك الحلة القشبية، وقد زودتها الشمس لون مشرقا عند العشية، وكان للتشخيص أثره في لك التصوير حيث فعل النثر الذي نسبه للطبيعة، بما يضوع المسك في رباها وحركة الشمس التي تفتُّ النبات الأصفر بلونها، كذلك النسيم الذي منحه اختيالا، ومن ثم أورد فنا بديعيا جميلا، وهو حسن التعليل، تناغم مع حركة الطبيعة المبهجة، عندما نسب ذلك الاختيال في حركة النسيم الرقيقة (السكر) أي تمايله، إلى غير طبيعتها وعلتها الحقيقة، بما صور من الربى من شدة اخضرار الروابي حتى السواد (القار)، وأثر الخمر (الجريال) في ذلك النسيم، فأعطى بتلك العناصر الشعرية، وصفا مبتكرا جعل من الطبيعة الصامتة، كائن حي يشعر ويتحرك ويختال في هذين البيتين.

ويمكن أن نلاحظ ذلك التوصيف الشعري في صفة فرس نظر إليه، فقال في ذلك⁽¹⁾: [مخلع البسيط]

مَا أَرَقَّ الطَّرْفَ غَيْرُ طَرْفٍ	قَصَّرَ فِي الشَّأْوِ بِالظِّلِيمِ
ذِي نُقْطٍ كَالنُّجُومِ تَبْدُو	فِي صَحْرِ لَيْلٍ لَهُ بِهِمِ
لَا تَعْجَبُوا أَنْ بَدَتْ عَلَيْهِ	لَا بُدَّ لَلَّيْلِ مِنْ نُجُومِ

فهو قد نظر إلى طرف فرس، ومن ثم شبه النقط التي توجد عليه، بالنجوم بما يستثمره من صورتها اللونية المشرقية عند الليل الشديد السواد؛ ليعطي للمتلقى إحساسا بجمال هذه الفرس التي انفردت بصفة ذلك الطرف، ومن ثم أوجد صورة (التشبيه الضمني)، بين البيتين السابقين، بما يذهب العجب في العلاقة الجامعة بالبيت

(1) القطعة 19.

الثالث، عندما أشركهما في حاجة الليل للنجوم، فتماثل وجود تلك النقط في ذلك الطرف البهيم.

كذلك نظر ابن خروف إلى ما كان يحيط مفردات حياته اليومية من ألعاب وأدوات، فوصف ذلك مواكبة لما يحدث في الحياة من شؤون متنوعة، كان حريا بالشاعر أن يذكرها في شعره، ومن ذلك ما جاء في وصفه للعبة الشطرنج، فقد قال في ذلك⁽¹⁾: [خفيف]

وَمُدِيرَيْنِ بَيْنَ جَيْشَيْنِ حَرْبًا بِصَلَاحِ الْعُقُولِ لَا بِسِلَاحِ
جَيْشُ هَذَا كَالْهَجْرِ أَوْ كَالدِّيَا جِي جَيْشُ هَذَا كَالْوَقْلِ أَوْ كَالصَّبَاحِ

ونجد في وصف ابن خروف القرطبي، تصويرا بديعا لسلاح صيد الطيور المعروف باسم (الزربطانة)، وهي أنبوبة طويلة يخرج منها نار، تستعمل لصيد الطير إذ قال⁽²⁾: [البسيط]

لَا فِظَّةٌ مِنْ جَوْفِهَا دُذْرًا تُعْطِلُ الرُّوْضَ مِنْ شَادٍ وَصَدَّاحِ
مِثْلُ الْيَرَّاحِ وَلَكِنَّ مَالَهَا عُقْدٌ إِذَا تُسَدَّدُ بِالْأَفْوَاحِ وَالرَّاحِ
أَبْصَرْتُ رَامِيَةً فِي شَكْلِ طَاعِنَةٍ فَتَتَمَنَّى لِقِسِيِّ أَوْ لَأَرْمَاحِ
نَفَخْتُ فِيهَا وَقَدْ سَوَّيْتُهَا جَسَدًا رُوحًا فَتَقْبِضُ أَرْوَحًا لِأَرْوَاحِ

فقد اعطى مساحة شعرية واسعة، لوصف تلك الآلة، بحسب دقة الوصف وبراعته، وهو ينظر إلى عمل تلك الآلة التي تحتاج إلى قوة لدفع بالفم، وقد بدت الصور الحركية تتدافع في وصف تلك الآلة، حيث ألفاظ (لا فظة، وتعطل، وتسدد،

(1) القطعة 8.

(2) القطعة 7.

ورامية، ونفخت)، وهي ملفوظات تعطي للصورة الشعرية في الأبيات قوتها وحيويتها، فكان ابن خروف ينظر إلى ذلك بما يحرز معه نجاحا في وصف تلك الآلة، وقد أشرك نفسه في عملية الصي بوساطتها، مما يعني أن وصفه انقاد إلى تجربة تلك الآلة، بحس الشاعر الذي تمثل في عدد من العناصر المذكورة، كما التشبيه في البيت الثاني، وكذلك جمالية البيت الأخير الذي عبر عن إحساسه المرافق للتجربة، عندما نفخ فأدخل الروح في جسدها (الآلة)، ومن ثم كان بعث الروح فيها سببا لقبض أرواح الطيور. وهكذا اعتمد الأبعاد الحسية المتعددة، عناصر مرافقة لوصفه تنظم إلى العناصر السابقة.

والتقط ابن خروف من مفردات تلك الحياة اليومية، ما يمكن أن يصف به أحوال الأماكن المحيطة به، فيحقق بذلك تصويرا لبعض المشاهد التي يقع عليها بصره، ومن ذلك وصف وله في غرفة ضيقة:⁽¹⁾ [مجزوء الرمل]

كَأَنَّهَا فِي الضِّيقِ خَرُوبَةٌ مُعَوَّجَةٌ وَالْبَقُّ فِيهَا ثَوَى

التصوير اعتمد أسلوب التشبيه الذي يصور رداءة حال تلك الغرفة، بحسب ما تكالب عليها من ضيق المكان، وملازمة البق، فجعلها خرابا، وهي صورة حسية تعلن حال مزرية كان ابن خروف يمر عليها، ومن ثم تنقر نفسه منها، ومن ثم فقد أحسن تنفير الذات المتلقية من تلك الغرفة، بحسب ما صورته من حال يحبس الأنفاس معه.

المديح:

المديح من الأغراض الشعرية للقطع المستدركة، فقد ورد في خمس قطع شعرية، ضمت (29) بيتا، وتمثلت في مدح أعيان عصره من القضاة والشعراء، وسواهم ممن لم يتعين أحوالهم في القطع الشعرية. وكان مديح الشاعر يظهر علاقة الشاعر القرية من

(1) القطعة 1.

الممدوح، او بيان لحاجة منه، وفي كلا الحالتين فقد كان خطاب الشاعر خطاباً مقصوداً، يتضمن ذلك صفات الممدوح المعنوية، وتحليلته بما لديه من الملكات والمعارف، وهو ما يتصل برقاب مدحه العام، ويتصل معه بالمعاني التي قدمها في النصوص كافة. ويمكن أن ندرك ذلك في قصيدته المدحية في أحد شعراء عصره، وهو أبو محمد عبد الجبار المرواني، وهو من الشعراء المغمورين الذين اختص بذكرهم أبو الحسن الرعيني دون سواه - وهو ما يضيف أهمية إلى هذه القطع المستدرک بها -، وكانت تلك المدحة أطول النصوص التي وصلت إلينا، إذ جاءت في (20) بيتاً، وكان قد جابوب بها على أبيات للشاعر المذكور، جاء في مطلعها⁽¹⁾: [الطويل]

أَيَا عَابِدَ الْجَبَارِ أَذْكَيْتَ لَوْعَةً لَهَا زَفْرَةٌ فِي الْقَلْبِ مِنِّي تُحَرِّقُ
بَعَثْتَ قَرِيضًا كَالْجَوَاهِرِ نُظِّمْتَ بِطَرَسٍ كَمِثْلِ الْوَشْيِ وَهُوَ مُنَمَّقُ
وَمَا هُوَ إِلَّا مُقْلَةٌ بِأَبْلِيَّةٍ غَدَا السَّحْرِ فِي أَجْفَانِهَا يَتَرَقَّرُ

والأبيات تسير في هذه المعاني التي عرضت لتفرد عبد الجبار شعرياً، وبيان مزاياه الذاتية، وسعادة ابن خروف بالعلاقة الوطيدة التي تربطه مع هذا الشاعر، ويبدو منها كذلك ما كان من أثر الفراق في وجدان ابن خروف، وهو يودع صاحبه، ومنه نفهم أن القصيدة نظمت بالأندلس، ويبدو أنها من أواخر ما كتبه ابن خروف بتلك البلاد، إذ قال مخاطباً صديقه:

وَأَتَحَفَّتَنِي مِسْكَ الْمَدَائِحِ أَذْفَرَا يَضُوعُ بِأَزْجَائِي شَدَاهُ وَيَعْبِقُ
تَرَحَّلْتُ عَنْكُمْ كَارِهًا لِفِرَاقِكُمْ غَدَاةَ قَضَى بِالْبَيْنِ دَهْرٌ مُفَرِّقُ
رَفَعْتُ لَوَاءَ الْبَيْنِ مِنْ جَانِبِ اللَّوَى وَحَوْلِي مِنَ الشَّوْقِ الْمُبَرِّحِ فَيَلْقُ

(1) القطعة 13.

وهكذا فإن ابن خروف يظهر اعتزازاً بممدوحه، ويتبين أن الرجل كان ممن تأثر بفراقه بعد عشرة بينهما، وهو ما يعني حرارة ما مدح به ذلك الشاعر، وقد تكون لحرفة الأدب التي جمعتهم أثر في تلك الصداقة، فلا وجه من وجوه التكسب في تلك الأبيات التي نظمها مادحا، ومن ثم ينتقل إلى ينتقل إلى مزايا الرجل الشخصية، فضلا عن الإشادة بنسبه، معرفا بفروعه الأموية التي سادت الأندلس حيناً من الدهر، ومن ثم يربطها بأصولها المشرقية التي تعود إلى الجزيرة العربية، وهنا نجد أن المدح يعتمد أسسا نسبية وشخصية ذكرها، بقوله:

أَلَا أَيُّهَا النَّدْبُ الْكَرِيمُ نَجَارُهُ وَيَا أَيُّهَا الْجَبْرُ الذَّكِيُّ الْمُوَفَّقُ
نَمَّاكُمُ لِكَسْبِ الْمَائِرِ أُمِيَّةٌ وَعَبْدُ مَنْافٍ وَالرَّسُولُ الْمُصَدِّقُ

على حين نجد ابن خروف يظهر نزعتة التكسبية التي عرف بها، وهو يخاطب بعض قضاة عصره بأبيات، ممن وصفه بالبلاغة في هذه الأبيات⁽¹⁾: [الكامل]

يَا قَاضِيَا قَضَيْتَ الْبَلَاغَةَ أَنَّهُ أَذْكَى قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ خُطَابَا
هَبْ لِي ثَلَاثَةَ أَنْجَمٍ مِنْ فِضَّةٍ كَالنَّسْرِ تُعْرِبُ لِلْخُطُوبِ غُرَابَا
لَا زِلْتَ فِي عِلْمِ الْجَلَالَةِ رَوْضَةً وَبِقُنَّةِ الشَّرَفِ الصَّمِيمِ شَهَابَا

لقد أبدا ابن خروف حاجته للمال، معبرا عنه ذلك بصراحة وبتحديد لما يطلب: (هب لي ثلاثة أنجم من فضة)؛ ليفهم معه ذلك القاضي مقدار ما يعينه، فقصد الأعيان، لسد حاجته المادية وأن كان يتعيش بأشعاره، عندما كان ببلاد الأندلس أو عندما أقام ببلاد الشام، ولم يتحرج من ذكرها كل ما حان أو أنها. بل لقد عد باحث معاصر ابن

(1) القطعة 2.

خروف القرطبي (الوحيد من بين الشعراء الذين اعتمدوا على التكسب في الشعر من الأندلسيين نزلاء الشام في هذه الفترة)⁽¹⁾.

أما هجاء فقد أورد المستدرك قطعة واحدة، ظهر ابن خروف القرطبي فيها هجاءً مقذعا فيها؛ إذ قال في رجل مغربي يسمى ابن الصميل⁽²⁾: [الوافر]

أَيَا ابْنَ الصُّمَيْلِ سَمَلَتْ حَتَّى عَدَوْتَ مِنْ الْمُمَرِّزَةِ الرَّثَاثِ
عَجَانُكَ مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ أَوْدَى بِهِ قَرْمٌ وَأَنْتَ الْبُغَاثِ

وهنا يقف المتلقي على تلك الصور التي شوّهت صورة ابن الصميل، بحسب ما ساق إليها الشاعر من أدوات ناجعة شرعها ببناء المهجو وتسميته، ومن ثم أردف صورا متنوعة، مستعيرا لخصومه مفردة (قرم)، في الوقت الذي أدخل التشبيه البليغ في (أنت البغاث)، ليصور حقارة المهجو إزاء خصمه، ومن ثم يمكن أن نلاحظ الصورة التضادية البديعية بين (قرم، بغاث)، وهو ما يعني تداخلا في الفنون البلاغية، وهي مقدرة كبيرة تميز الشعراء الكبار.

ومن ذلك الهجاء الذي اشتهر به، إصاقه الألفاظ القبيحة في أولئك المهجويين، ممن يشبه حالهم بحال الضالين من الأمم السالفة، كقوله في بعض الدمشقيين، قائلًا:⁽³⁾
[الوافر]

تَجَرَّرَ يَا أُعِيرَجَ ذَيْلُ كِبَرٍ وَتَعَلَّمَ لُؤْمَ وَغَدٍ أَنْتَ نَجْلُهُ

فقد عاب المهجو بالصفات الحسية والمعنوية، مما تنفر منه الذائقة الإنسانية،

(1) الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام: 203.

(2) القطعة 5.

(3) القطعة 17.

ولا تتألف مع حال صاحبها في الكبر واللؤم، وهنا يدرك أن ابن خروف كان ينظر إلى ما يرسخ في وجدان المتلقي، فيعمل على إيصاله بيسر المفردات وحسن التصوير.

أما الخمريات فقد أفرغ ابن خروف لها جزءاً من شعره، وكان فيه حار العاطفة، لأنه كان ممن تعاطى الخمر، وقد عرف مفعولها في ذاته، ومن ذلك قوله⁽¹⁾: [المنسرح]

يَا مَنْ يَهْزُهُ الرَّاحُ عَطْفًا حَكَى لِمَا بَيْنَ الرَّاحِ رُوحًا
خُذْ جَسَدِي لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ وَأَنْفَخْ مِنْ الرَّاحِ فِيهِ رُوحًا

وهنا نجده شاعراً يعاقر الخمر ويطلبها صراحة، لأنه وجد فيها روحه التي تحضر بحضور الخمر، وتفارقه روحه إن فارقت، ما يعني أنها كانت تمثل سلوته التي تعيد له توازنه.

القسم الثاني

القطع الشعرية المُستدركة: روي الألف المقصورة

1

قال ابن عسكر المالقي: وله في غرفة ضيقة:⁽²⁾ [مجزوء الرمل]

1- كَانَهَا فِي الضِّيقِ خَرُوبَةٌ مُعَوَّجَةٌ وَالبَقُّ فِيهَا ثَوَى

روي الباء:

2

قال أبو الحسن الرعيني: وله:⁽³⁾ [الكامل]

(1) القطعة 6.

(2) التخريج: أعلام مالقة: 314.

(3) التخريج: جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة: 296.

- 1- يَا قَاضِيَا قَضَتِ الْبَلَاغَةُ أَنَّهُ أَذْكَى قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ خِطَابًا
 2- هَبْ لِي ثَلَاثَةَ أَنْجُمٍ مِنْ فِضَّةٍ كَالنَّسْرِ تُعْرِبُ لِلْخُطُوبِ غُرَابًا
 3- لَا زِلْتَ فِي عِلْمِ الْجَلَالَةِ رَوْضَةً وَبَقْنَةَ الشَّرَفِ الصَّمِيمِ شَهَابًا

3

قال أبو الفرج عبد القاهر بن سكرة؛ قال أنشدني ابن خروف لنفسه: ⁽¹⁾ [مجزوء الخفيف]

- 1- أَنْتَ بِطَبِّ الْوَرَى عَلِيمٌ لَكِنَّهُ إِنْ طَبَا ⁽²⁾

روي التاء:

4

قال أبو الحسن الرعيني: وأنشدني من قصيدة أولها: ⁽³⁾ [الكامل]

- 1- قَدَّمَ أُمَامَ جُيُوشِكَ التَّابُوتَا فَقَدِ اصْطَفَاكَ مَنْ اصْطَفَى طَالُوتَا ⁽⁴⁾

منها:

- 2- جَيْشٌ إِذَا عَطَسَ الصَّبَاحُ عَلَى الْعِدَى كَانَتْ إِعَارَةً خَيْلِهِ تَشْمِيتَا ⁽⁵⁾

(1) التخريج: فلانلد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 3 / 300.

(2) خرم في الأصل.

(3) التخريج: جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة: 294.

(4) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. سورة البقرة/ الآية 247.

(5) أخذه من الحديث النبوي: (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بَالَكُمْ). صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل:

روي الثاء:

5

قال في رجل مغربي يسمى ابن السميل: ⁽¹⁾ [الوافر]

- 1- أَيَا ابْنِ الصُّمَيْلِ سَمَلْتَ حَتَّى عَدَوْتَ مِنَ الْمُمَرَّرَقَةِ الرَّثَاثِ ⁽²⁾
- 2- عَجَانُكَ مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ أَوْدَى بِهِ قَرْمٌ وَأَنْتَ مِنَ الْبُغَاثِ ⁽³⁾
- 3- وَأَنْتَ أَقْرَعُ ذُو قُرُونٍ فَتُشَبِّهُكَ الْجَرَادَةُ فِي ثَلَاثِ ⁽⁴⁾

روي الحاء:

6

قال ابن عسکر المالقي: وله يستهدي خمرا: ⁽⁵⁾ [المنسرح]

- 1- يَأْمَنُ يَهْزُهُ الرَّاحُ عِطْفًا حَكَى لِمَا بَيْنَ الرَّاحِ رُوحًا ⁽⁶⁾
- 2- خُذْ جَسَدِي لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ وَانْفَخْ مِنْ الرَّاحِ فِيهِ رُوحًا ⁽⁷⁾

(1) التخریج: جنی الأزاهر النضيرة وسنة الزواهر المنيرة: 294، وقلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 300 / 3.

(2) في قلائد الجمان: (نجل السميل).

(3) في قلائد الجمان: (قوم).

(4) في قلائد الجمان: (فأشبهت).

(5) التخریج: أعلام مالقة: 314. وقلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 301 / 3، ولمح السحر من روح الشعر وروح الشعر: 285.

(6) في قلائد الجمان ولمح السحر، ورد البيت هكذا:

يا من يهزُّ المديحُ منه عطفًا حكي المائس المروحا

(7) في قلائد الجمان ولمح السحر: (جسدا). وفي لمح السحر: (واصرف).

قال ابن الشعار الموصللي: وقال في زربطانة: ⁽¹⁾ [البسيط]

- 1- لَا فِظَّةٌ مِنْ جَوْفِهَا دُرًّا تُعْطِلُ الرُّوْضَ مِنْ شَادٍ وَصَدَّاحِ
- 2- مِثْلُ الْبِرَاعِ وَلَكِنَّ مَا لَهَا عُقْدٌ إِذَا تُسَدَّدُ بِالْأَفْوَاهِ وَالرَّاحِ
- 3- أَبْصَرْتُ رَامِيَةً فِي شَكْلِ طَاعِنَةٍ فَتَمَنَّنِي لِقِيسِي أَوْ لَا رَمَاحِ
- 4- نَفَخْتُ فِيهَا وَقَدْ سَوَّيْتُهَا جَسَدًا رُوحًا فَتَقْبِضُ أَرْوَحًا لِأَرْوَاحِ
- 5- يَا مُشْرِقًا تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِسُودَدِهِ هِبَهَا فَتَاةً وَخُذْ آيَاتِ أُمْدَاحِ

قال ابن الشعار الموصللي: قال الأستاذ أبو عمرو بن سالم: أنشدني أبو الحسن لنفسه يصف جيش شطرنج وأحسن فيه: ⁽²⁾ [خفيف]

- 1- وَمُدِيرَيْنِ بَيْنَ جَيْشَيْنِ حَرْبًا بِصَلَاحِ الْعُقُولِ لَا بِسِلَاحِ
- 2- جَيْشٌ هَذَا كَالْهَجْرِ أَوْ كَالدِّيَا جِي جَيْشٌ هَذَا كَالْوَقْلِ أَوْ كَالصَّبَاحِ ⁽³⁾

روي الدال:

قال ابن عسكر المالقي: وله في متكأ ⁽⁴⁾: [مجزوء الرمل]

- 1- أَنَا لِلْسَجْدَةِ زَيْنٌ أَنَا لِلْخَدِّ وَسَادُهُ

(1) التخريج: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: 3/ 300.

(2) التخريج: أعلام مالقة: 314.

(3) الوقْل: جنس من لتخيل يكون قصير مهده في المغرب الأقصى.

(4) التخريج: إعلام مالقة: 314.

روي الراء:

10

قال أبو عمرو رحمه الله: ودخل يوما أبو الفضل في مجلس ابن خروف، فوجد فيه ظبيا وسيمًا، قرطبي الدار، فقال فيه مرتجلا: ⁽¹⁾ [المتقارب]

أبا حسن صبرا على ما أصابك فإنما بما جئنا جنينا مصابك
وجدنا غزالا في المجالس قاعدا فلما رأنا قام ينبغي عذابك
وما كان إلا البدر زرناك فاخترى فقلنا: متى يا بدر كنا سحابك؟
فقال ابن خروف: [المتقارب]

- 1- أَيَّامَنْ أَلَمَّ عَلَى غِرَّةٍ نَفَيْتَ الْغَرِيرَ فَنُومِي غَرَارُ⁽²⁾
- 2- وَفِيكَ خِلَالُ خَدَا شَيْئَةٍ رَأَهَا الْغَزَالُ فَوَلَّى فِرَارُ⁽³⁾

روي العين:

11

له في صفة برقع صنع للسيد الأجل أبي يحيى ⁽⁴⁾ رحمه الله ورسمت فيه هذا الأبيات: ⁽⁵⁾ [الكامل]

(1) التخريج: أعلام مالقة: 276-277.

(2) التخريج: أعلام مالقة: 276-277.

(3) التخريج: أعلام مالقة: 276-277.

(4) أبو يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن الموحي، ولاه أبوه على قرطبة سنة 579 هـ، وكان يطمح لخلافته، لكنها انصرفت إلى أخيه يعقوب، وكان ممن بايعه بعد ذلك بمراكش، وقفل راجعا إلى ولايته الأندلس. ينظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي: 5/ 156، 171.

(5) التخريج: جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة: 294.

- 1- مَلَأَ النَّوَاطِرَ بِالمَحَاسِنِ بُرُفَعُ جِنْسُ الجَمَالِ بِحُسْنِهِ يَتَنَوَّعُ
- 2- يَتَلَوُّ بِهِ سُورَ الصَّهِيلِ مُطَهَّمٌ فَكَأَنَّهُ رَوْضٌ وَأَوْرُقٌ يَسْجَعُ⁽¹⁾
- 3- وَيَطِيرُ فِي الهَيْجَاءِ مِنْهُ بِرَوْضَةٍ وَالفِكْرُ يَتَّبِعُ والعِيُونُ تُودَّعُ
- 4- مَا أَبْصَرْتُ مِنْ قَبْلِهِ مُقْلَ الْوَرَى رَوْضًا تَطِيرُ بِهِ الرِّيَّاحُ الْأَرْبَعُ⁽²⁾

روي الفاء:

12

وقال أبو الحسن بن خروف: ⁽³⁾ [الكامل]

- 1- وَأَعْرَى يَنْسُبُهُ الْعَلَاءُ لِفُلْفُلٍ فِي ثَوْبٍ غَيْرِ جَلَالَةٍ لَمْ يَرْفُلِ⁽⁴⁾
- 2- قَالُوا: تَوَقَّدَ ذَهْنُهُ بِذَكَائِهِ قُلْتُ: الْحَرَارَةُ مِنْ طِبَاعِ الْفُلْفُلِ

روي القاف:

13

قال أبو الحسن الرعيني: فراجعه المذكور: ⁽⁵⁾ [الطويل]

- 1- أَيَا عَابِدِ الْجَبَارِ أَذْكَيْتَ لَوْعَةً لَهَا زَفْرَةٌ فِي الْقَلْبِ مَنِّي تُحَرِّقُ

(1) مُطَهَّمٌ: تام الحسن.

(2) أخذه من قول أبي عبد الله بن عبد البر، يصف فرسا للمتوكل بن الأفطس: [الكامل]

وكأنما عمر على صهواته قمر تسير به الرياح الأربع

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني: 2 / 352.

(3) التخريج: جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة: 297.

(4) أَعْرَى: السيد الكريم الأفعال الذي يوضح في أعمال أنه سيد شريف. يَرْفُلُ: أطال في ثوبه وجره متبخرًا.

(5) التخريج: جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة: 51-53.

- 2- بَعَثَتْ قَرِيضًا كَالْجَوَاهِرِ نُظِّمَتْ
بِطَرَسٍ كَمِثْلِ الْوَشْيِ وَهُوَ مُنَمَّقٌ⁽¹⁾
- 3- وَمَا هُوَ إِلَّا مُقْلَةٌ بِابِلِيَّةٍ
عَدَا السَّحَرُ فِي أَجْفَانِهَا يَتَرَفَّرُ
- 4- فَأَسْوَدُهَا يَحْكِيهِ مِسْكَةٌ حَبْرَهَا
وَأَبْيَضُهَا يَحْكِيهِ فِي اللَّوْنِ مُهْرَقٌ⁽²⁾
- 5- هَزَزَتْ قَنَاءَ لِّلْيَرَاعَةِ لَدَنَةً
عَدَا فَوْقَهَا لِلْحَبْرِ نَضْلٌ مُدَلَّقٌ⁽³⁾
- 6- طَعَنْتَ بِهَا صَدْرَ السَّحَاةِ وَإِنَّمَا
طَعَنْتَ شُجُونِي فَهِيَ بِالْدَّمِ تَشْرُقُ
- 7- وَأَنْكَحْتَنِي بِكُرٍّ مِنَ الشُّعْرِ كَاعِبًا
يُشَبُّ لَهَا شَوْقِي مَعًا وَيُطَلَّقُ
- 8- وَأَتَحَفَّتَنِي مِسْكَ الْمَدَائِحِ أَذْفَرَا
يَضُوعُ بِأَرْجَائِي شَذَاهُ وَيَعْبِقُ
- 9- تَرَحَّلْتُ عَنْكُمْ كَارَهَا لِفِرَاقِكُمْ
عَدَاةَ قَضَى بِالْبَيْنِ دَهْرٌ مُفَرَّقُ
- 10- رَفَعْتُ لِيَوَاءَ الْبَيْنِ مِنْ جَانِبِ اللَّوَى
وَ حَوْلِي مِنَ الشَّوْقِ الْمُبَرِّحِ فَيَلْقُ
- 11- وَخُضْتُ بِحَارًا لِلْسَّرَابِ زَوَاحِرًا
وَتَحْتِي مِنَ الْجُرْدِ السَّوَابِحِ زَوْرُقٌ⁽⁴⁾
- 12- سَرَيْتُ كَمَا تَسْرِي الْكَوَاكِبُ فِي الدُّجَى
وَلِلشَّوْقِ رَعْدٌ فِي الْجَوَانِحِ يَخْفِقُ
- 13- وَلِلْوَجْدِ وَالْأَشْجَانِ فِي الصَّدْرِ بَارِقُ
إِذَا شَامَهُ طَرْفِي يَسُحُّ وَيَغْرِقُ
- 14- فَذُونُكُمْ قَلْبًا يَذُوبُ صَبَابَةً
رَهِينًا وَذَاكَ الرَّهْنُ لَا شَكَّ يَغْلَقُ

(1) طَرَسٌ: الكتاب الذي كتب ثم محي. الوَشْيُ: نقش الثوب، ويكون من كل لون.

(2) مِسْكَةٌ: قطعة من طيب المسك.

(3) يَرَاعَةٌ: قصبة يتخذ منها القلم، والجمع: يراع. نَضْلٌ مُدَلَّقٌ: حد سهم الحاد.

(4) الْجُرْدُ: السباقة.

- 15- أَلَا أَيُّهَا النَّدْبُ الْكَرِيمُ نَجَارُهُ وَيَا أَيُّهَا الْجَبْرُ الذَّكِيُّ الْمُوَفَّقُ
- 16- نَمَّاكُمْ لِكَسْبِ الْمَائِرَاتِ أُمِيَّةً وَعَبْدُ مَنْافٍ وَالرَّسُولُ الْمُصَدَّقُ
- 17- يَلُوحُ بِوَجْهِ الدَّهْرِ رَوْنَقُ فُخْرِكُمْ كَمَا لَاحَ إِثْرُ الصَّقْلِ لِلْسَّيْفِ رَوْنَقُ
- 18- هَزِيئًا لَكُمْ بِالْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا حَنَّ أَوْرَقُ⁽¹⁾
- 19- وَمَا سَلَ فِي الظَّلْمَاءِ مُرْهَفُ بَارِقٍ وَمَا أَرْقَلَتْ نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَيْنَقُ⁽²⁾
- 20- عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ خَلِيلٍ يَوْدُكُمْ لَهُ أَرْجُ كَالْمِسْكِ وَهُوَ مُفَتَّقُ

14

قال أبو الحسن الرعيني: وله: ⁽³⁾ [الرمْل]

- 1- وَبَدِيعِ الْحُسْنِ فِي وَجْنَتِهِ فَلَقُّ سَالَ عَلَيْهِ شَفَقُ
- 2- زَعُمُوا أَنَّ عَلَيْهِ بَهَقًّا مَا الَّذِي أَحْدَثَ فِيهِ الْبَهَقُّ؟
- 3- هُوَ مِثْلُ الْمُهْرِ فِيهِ بَلَقُ أَيُعَابُ الْمُهْرُ فِيهِ بَلَقُ⁽⁴⁾

روي اللام

15

قال أبو الحسن الرعيني: قال أبو الحسن بن خروف من قصيدة: ⁽⁵⁾ [البسيط]

(1) أَوْرَقُ: مال خالط بياضه سواده، ومنه الحمامة الورقاء.

(2) مُرْهَفُ: سيف محدد حاد الطرف. أَرْقَلَتْ: أسرع. أَيْنَقُ: جمع ناقة.

(3) التخريج: جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة: 296.

(4) بَلَقُ: اختلاط السواد مع البياض.

(5) التخريج: جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر: 295-296.

1- وَتَنْثُرُ الْمِسْكَ أَسْحَارُ مُعْطَرَةً عَلَى الرَّبِيِّ وَتَفْتُ الْوَرْسَ آصَالُ⁽¹⁾

2- وَلِلنَّسِيمِ الَّذِي يَحْتَالُ بَيْنَهُمَا سُكْرٌ لَأَنْتَهُمَا قَارٌ وَجِرِيَالُ⁽²⁾

16

أنشدني الحكيم أبو الفرج عبد القاهر بن عفيف بن عبد القاهر بن سكرة الحلبي الإسرائيلي بحلب؛ قال: أنشدني ابن خروف لنفسه في المهذب بن الدخوار الدمشقي⁽³⁾:⁽⁴⁾ [من البسيط]

1- إِنَّ الْأَعْيَرَ حَارَ الطَّبِّ أَجْمَعُهُ أَسْتَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَا

2- وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الْجَوَاهِرَ وَالْأَعْرَاضَ وَالْعِلَالَا

3- فِي حِيلَةِ الْبَرِّ قُلْتُ: عِنْدَهُ حَيْلٌ وَيَذِرِي لِلرَّدَى حَيْلَا⁽⁵⁾

4- الرُّوحُ تَسْكُنُ جُثْمَانَ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَّهَ رَحَلَا

(1) الْوَرْسُ: نبات من الفصيلة البقلية، يزرع باليمن والهند، يغطي عند نضجه بغدد صفراء ويوجد عليه زغب قليل يستعمل في صبغ الثياب. آصَالُ: جمع شمس الأصيل، وهي شمس ما بعد العصر الى المغرب.

(2) قَارٌ: شيء أسود تظلى به الإبل والسفن. جِرِيَالُ: لون الخمر، ويقال لكل ما خلص من لون أحمر وغيره.

(3) مهذب الدين عبد الرحيم بن علي، أبو محمد الدخوار، ولد بدمشق ونشأ بها وكان في مبدأ أمره يكحل مواظبا على الاشتغال والنسخ، وكتب كتبا كثيرة بخطه، واشتغل بالعربية ولم يزل مجتهدا في تحصيل العلوم وملازمة القراءة والحفظ. انتهت إليه رئاسة الطب في عصره، وحظي عند الملوك ونال عطاياهم، بما لم يتحصل لسواه، توفي سنة 628 هـ. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة: 729.

(4) التخريج: قلائد العقيان في فرائد شعراء الزمان: 3/ 299.

(5) خرم في الأصل.

قال ابن الشعار الموصلي: وله في الحكيم الأعرج المهذب بن علي الكحال المعروف بالدخوار الدمشقي⁽¹⁾: [من الوافر]

- 1- تَجَرَّرُ يَا أَعِيرْجُ ذَيْلَ كَبَرٍ وَتَعَلَّمْ لُؤْمَ وَغَدٍ أَنْتَ نَجْلُهُ
2- وَتَمْشِيْ مَشِيَّةَ الْخِيَلَاءِ زَهْوًا أَمَامَ السَّامِرِيِّ وَأَنْتَ عِجْلُهُ⁽²⁾

روي الميم

قال ابو الحسن الرعيني: وله في صفة فرس: [مخلع البسيط]

- 1- لَكَ يَا مُهَذَّبُ فِي الْجُسُومِ مَلَا حِمٌّ حَسَدَ الْحُسَامِ كَفَاحَهَا وَاللَّهْذُمُ⁽⁴⁾
2- يَعْمَى أَخُوكَ وَأَنْتَ تَقْتُلُ دَائِمًا (لَاخُوكَ ثُمَّ أَرَقَّ مِنْكَ وَأَرْحَمُ)⁽⁵⁾

قال: وله في صفة فرس⁽⁶⁾: [مخلع البسيط]

- (1) التخريج: فلائد العقيان في فرائد شعراء الزمان: 3/ 301.
(2) السامريّ رجل كان بدمشق، وكان شريكا للدخوار الأعيرج. وقد شبهما الشاعر بما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا أَوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾. سورة طه: 78-88.
(3) التخريج: جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة: 297-298.
(4) اللهذم: حاد قاطع.
(5) هذا الشطر هو قول المتنبي من بيت قال فيه: [مخلع البسيط]
يا أخت معتنق الفوارس في الوغى لأخوك ثم أرق منك وأرحم
شرح ديوان المتنبي، أبو الحسن الواحدي: 71.
(6) التخريج: جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنية: 297.

- 1- مَا أَرَقَّ الطَّرْفَ غَيْرُ طَرْفٍ قَصَّرَ فِي الشَّأْوِ بِالْظَّلِيمِ
 2- ذِي نُقْطٍ كَالنُّجُومِ تَبْدُو فِي صَحْرِ لَيْلٍ لَهُ بِهِم⁽¹⁾
 3- لَا تَعْجَبُوا أَنْ بَدَتْ عَلَيْهِ لَا بُدَّ لِلَّيْلِ مِنْ نُجُومٍ

روي النون

20

قال أبو الحسن الرعيني: وله ارتجالاً:⁽²⁾ [الطويل]

- 1- بَشَرْتُ عِذَارِيَّ بَعْدَ مَا قَدْ بَشَرْتَهُ فَأَبْدَى لِي الْأُسْتَاذُ مِنْ عَذْلِهِ لَحْنًا
 2- وَمَا هِيَ إِلَّا لُحْنَةٌ قَدْ بَشَرْتَهَا كَمَا بَشَرَ الْكُتَّابُ مِنْ خَطِّهِمْ لَحْنًا⁽³⁾

21

قال ابن عسکر المالقي: وله في مدينة باغة⁽⁴⁾:⁽⁵⁾ [الطويل]

- 1- وَلِلَّهِ بَاغُوهَا الْهَيْثُمِيَّةَ إِنَّهَا عَرِيْنَةُ ضُرْعَامٍ وَمَكْنَسُ شَادِنٍ⁽⁶⁾

(1) بِهِمٌ: شديد الظلمة.

(2) التخريج: جنى الأزهار النضيرة وسنى الزواهر المنيرة: 296.

(3) بَشَرَ الخَطُّ: حكه بالسكين، ويرد بمعنى الكشط، وهو قشر وجه الق القديم أو المستعمل للكتابة عليه في حالة صعوبة الحصول على الرق النقي.

(4) باغة: مدينة على بحر باب الأبواب وهو بحر الخزر والديلم وجرجان وأنواع الترك مما يلي الباب والأبواب الموضع المسمى، وهي النفاطة ومن هناك يحمل النفط الأبيض، وهناك أطام، وهي عيون النيران تظهر من الأرض وترى من الليل على مسافات كأطمة صقلية. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: 78-79.

(5) أعلام مالقة: 314.

(6) شَادِنٌ: ولد الغزال.

- 2- مُدِينَةٌ يَنْسَابُ بَيْنَ مِيَاهِهَا أُرَيْقِمُ نَهْرٍ مَأْوُهُ غَيْرُ آسِنٍ⁽¹⁾
- 3- رُبِّي مِنْ كُرُومٍ وَالبَطَاحُ حَدَائِقُ فَمَا شِئْتُ مِنْ حُسْنٍ بِهَا وَمَحَاسِنٍ



مصادر البحث ومراجعته

بعد القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود

- أعلام مالقة، ابن عسكر المالقي، تحقيق، د. عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1999.
- الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع، د. علي أحمد، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط 1، دمشق، 1989.
- بدائع البدائ، ابن ظافر الأزدي، ضبطه وصحح، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2007.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، تحقيق، محمد الكتاني وآخرون، دار الثقافة، ودار الغرب الإسلامي، ط 1 (الدار البيضاء وبيروت)، 1985.

(1) أُرَيْقِمُ: تصغير أرقم، وهو ذكر أخبث أنواع الحياة.

- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي، تحقيق، د. عبد السلام الهراس، دار الفكر، ط1، بيروت، 1995.
- جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة في صلة المطمح بالجزيرة مما ولدته الخواطر من المحاسن في هذه المدة الأخيرة، أبو الحسن الرعيني، تحقيق، د. البشير التهالي، ود. رشيد كناني، مؤسسة الرسالة، 2019.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي، تحقيق، د. إحسان عباس، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2012.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، ابن عبد المنعم الحميري، تحقيق، د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، 1980.
- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1955.
- شرح ديوان المتنبي، أبو الحسن الواحدي، دار بيروت، بيروت، 1983.
- شعر ابن خروف القرطبي، د. محمد عبد الله عباس الشال، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد 40، المجلد 1، سنة 2015.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق، محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، القاهرة، 1422هـ.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، تحقيق، د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، ط 1، بيروت، 1995.
- قلائد الجمان في فرائد شعراء الزمان، ابن الشعّار الموصلي، تحقيق، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2005.
- لمح السحر من رُوح الشعر وَروح الشعر، ابن ليون التجيبي، تحقيق، د. سعيد بن الأحرش، منشورات المجمع الثقافي، ط 1، أبو ظبي، 2004.
- الوافي في نظم القوافي، أبو الطيب الرندي، تحقيق، د. هدى شوكت بهنام، ود. زينة عبد الجبار محمد، دار غيداء، ط 1، عمان، 2018.

المحور التاسع

مصاحف المغرب

مخطوطات المصحف الشريف بالمملكة المغربية

نحو الفهرسة المعلوماتية والقراءة الافتراضية

لحسن تاوשיخت

أستاذ التعليم العالي رئيس شعبة الآثار الإسلامية

بالمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط

تمهيد

يتوفر المغرب على رصيد وثائقي مهم من المخطوطات يتجاوز 200.000 مخطوطا تهم جميع الفنون وخاصة القرآن الكريم وعلومه. ويعكس هذا الرصيد عمق الاهتمام بالمصحف الشريف من لدن المغاربة عبر تاريخهم كتابة وتفسيرا وقراءة.

ومن أجل مواكبة الطفرة المعلوماتية، عملت المكتبة الوطنية للمملكة المغربية على مكنته مخطوطاتها بما فيها كتاب الله عز وجل، بنقله من جذاذات يدوية إلى فهرسة إلكترونية تستجيب للمعايير الدولية باعتماد نظام معلوماتي مندمج SIGB من صنف فيرتويا « VIRTUA » واعتمادا على برمجة موحدة « UNIMARC ».

ومعلوم أن مجال توثيق المصحف الشريف بالمكتبة الوطنية بدأ مع انطلاقة عمل الفهرسة بها منذ حوالي مائة سنة، إلا أن هذه المهمة أضحت اليوم تكتسي طابعا

إلكترونيا أكثر، تسهّلا للباحث للوصول إلى المعلومة وبدون وساطة وبدون حاجة إلى التنقل. وهكذا فكل الفهارس التي صدرت حول مخطوطات المكتبة الوطنية ويبلغ عددها اليوم عشرة، فضلا عن فهرس مخطوطات المكتبة الزيدانية في القسم العربي من دير الإيسكوريال بإسبانيا والتي توصلت المكتبة الوطنية بنسخة ميكروفيلمية ورقمية منها، توجد نسخ رقمية منها على الموقع الإلكتروني للمكتبة الوطنية «في خانة المكتبة الرقمية».

وتجدر الإشارة إلى أن رصيد المكتبة الوطنية للمملكة المغربية يتميز بمضامين نادرة بل وفريدة ورائعة وبعضه معرضا للإتلاف في أي وقت، وأصبح الإقبال عليه ملحا وكبيرا من طرف القراء والباحثين دراسة وتحقيقا. ولحفظ الأصول من التداول ولتعميم الحصول على المعلومة، أضحت الرقمنة مشروعا استراتيجيا للمكتبة الوطنية الهدف منها خلق مكتبة رقمية متعددة الوسائط لخدمة القارئ عن بعد من جهة، ولإعادة الاعتبار لرصيدها الوثائقي والمخطوط منه خصوصا، وبالتالي المحافظة عليه وتسهيل الاطلاع على محتوياته عبر الشبكة العنكبوتية والمساهمة في لا تمرّكه وفي تبادلته بيسر مع مؤسسات مماثلة من جهة ثانية. ونتيجة لذلك أصبحت المكتبة الوطنية تتوفر على بوابة إلكترونية وظفت فيها تقنيات حديثة ومتطورة على شاكلة التصفح الألي «turnning-page» فضلا عن قاعدة بيانات متنوعة وغنية تشتمل على حوامل مختلفة ويتم تحيينها وإثرائها بشكل تدريجي ومنتظم.

1. عناية المغاربة بالمصحف الشريف عبر العصور:

مما لا شك فيه أن دخول المصحف الشريف إلى المغرب كان من أولى مظاهر استقرار الإسلام بهذه البلاد، غير أن انتشاره بين المغاربة، اتخذ وقتا كبيرا بالمقارنة مع باقي ربوع العالم الإسلامي. ذلك أن الفاتحين الأولين لبلاد المغرب حملوه في صدورهم وقاموا بتلاوته وبال دعوة إلى أحكامه ونواحيه وإلى العمل بشرائعه وبشعائره. لقد كان الهدف الأسمى للفتوحات الإسلامية بالمغرب في بداية الأمر هو إعلاء صوت القرآن دعوة وبلاغا ومنهاجا والامثال لآياته ومعانيه خشوعا عند تلاوتها أو سماعها، أكثر من تداول المصحف الشريف مكتوبا. وقد جاء في دعاء الأمير إدريس ابن إدريس «الثاني» بعد بناء مدينة فاس سنة 192 هـ / 872 م قوله: «اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت ببنائها أن تعبد بها ويتلى بها كتابك»⁽¹⁾. ومما هو متواتر في المصادر التاريخية التي تناقلت أخبار المصحف الشريف عبر سيرورته التاريخية بالمغرب، رسما ونسخا وقراءة، أن أول مصحف جرى تداوله بين المغاربة هو المسمى بـ«المصحف الكبير العقباني» نسبة إلى الفاتح الأول لبلاد المغرب عقبة بن نافع الفهري الذي قام بنسخه في مدينة القيروان اعتمادا على المصحف العثماني. واستمر هذا المصحف «متداولاً بين أهل المغرب إلى أن وقع بيد الأشراف السعديين»⁽²⁾. ثم جاء ذكره أيام السلطان العلوي عبد الله بن

(1) ابن أبي زرع، علي الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. راجعه عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية 1999 (ص 29).

(2) الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. الجزء 7 «الدولة العلوية»، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء مطبعة دار الكتاب 1956 (ص 159).

السلطان إسماعيل، لما بعث به هدية تشتمل على ثلاثة وعشرين مصحفًا شريفًا بين كبير وصغير، كلها محلاة بالذهب، منبثة بالدر والياقوت»⁽¹⁾.

أما المصحف العثماني الذي حظي بتعظيم وإجلال من طرف المغاربة كافة ملوكًا ورعايا، فلم يدخل إلى بلاد المغرب إلا في زمن متأخر عن دخول المصحف الكبير العقباني. وقد اشتهر هذا المصحف، أيام الموحدين وأواسط الدولة المرينية، حيث يذكر أنهبخرائن قرطبة بعدوة الأندلس تحت إمرة ابن عبد الرحمن الداخل⁽²⁾، ثم نقله الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي إلى مدينة مراكش عام 552 هـ / 1158م، حيث استمر عند الموحدين موضوع تجلية واحترام، إلى أن صار أواخر أيامهم لبني عبد الواد بتلمسان، قبل أن يستخلصه منهم أبو الحسن المريني⁽³⁾. واستمر بقاؤه في دار أبي الحسن المريني وعلى ملك أولاده في خزائهم، يجرون فيه على العتاد، كما يؤكد ابن خلدون بقوله: «وهو لهذا العهد في خزائن بني مرين»⁽⁴⁾.

ومن الجدير بالذكر أن عددا من حكام المغرب كانوا يقتطعون من أوقات

(1) الزباني، أبو القاسم: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف. تحقيق رشيد الزاوية. الريصاني، نشر مركز الدراسات والبحوث العلوية 1992.

(2) المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة مطبعة السعادة 1949 الجزء 1 (ص 287 – 293).

(3) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار المغرب. الجزء 3 «تاريخ الموحدين». تحقيق أميروسي هوسي ميراندة ومحمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتاني. تطوان، نشر معهد مولاي الحسن، دار كريمةاديس للطباعة، المركز الجامعي للبحث العلمي ودار وليلي للطباعة والنشر 1960 (ص 471 – 472).

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت، دار الكتاب اللبناني 1956 – 1959، الجزء السابع (ص 83).

أعمالهم فترات، يشتغلون فيها بنسخ المصحف الشريف، أو يتولون الإشراف على كتابته، وعرف العديد منه بالمصاحف الملوكية:

• ففي العهد الموحيدي وُجد مصحف يُقال إنه بخط المهدي بن تومرت -مؤسس دولة الموحدين-، وقد كان دون المصحف العثماني في الحجم⁽¹⁾، ومحلّى بالفضة المموهة بالذهب، وكان يتقدم مصحف عثمان في المواكب الموحدية⁽²⁾. وتأتي بعده الربعة⁽³⁾ التي خطها بيمينه أبو حفص عمر المرتضى، من أواخر الخلفاء الموحدين، المتوفى عام 665 هـ/ 1267 م، وهي تتألف من عشرة أجزاء، في كل جزء ستة أحزاب، وكانت توجد تامة بمكتبة ابن يوسف بمراكش إلى عام 1149 هـ/ 1737 م⁽⁴⁾ ثم تفرقت ولا يعرف منها حالياً سوى خمسة أجزاء: شذرات من الجزأين: الأول والثالث بمكتبة ابن يوسف⁽⁵⁾ بمراكش تحت رقم 432. الجزء الثاني، بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 658/ ج، وهو مبتور الأول والآخر بنحو ورقتين، ويتدئ بالآية 93 من سورة آل عمران، وينتهي بالآية 83 من سورة المائدة، وقد ذيل بالخاتمة التالية: «كمل العشر الثاني من الكتاب العزيز، بحمد الله عز وجل وحسن عونه، وذلك

(1) ابن عبد المالك، المراكشي: الذيل والتكملة. مخطوط المكتبة الملكية رقمه 269 الجزء الأول (ص 83)

(2) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة. تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، دار الاندلس (بدون تاريخ) (ص 439)، المراكشي: المصدر السابق (ص 166).

(3) المراد بالربعة صندوق مربع الشكل من خشب، مغلف بالجلد، ذو صفائح وحلق، يقسم داخله بيوتا بعدد أجزاء المصحف، يجعل في كل بيت منه جزء من المصحف، وإطلاقها على المصحف مجاز، وقد شاع استعمال هذا النعت على المصحف المكتوب في أجزاء والموضوع في ربعة.

(4) المنوني، محمد: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين. الرباط، دار المغرب 1977 (ص 287 - 288).

(5) المنوني، محمد: «معرض المخطوطات العربية بمكناس» مجلة تطوان، العدد 3-4، 1959 (ص 97-98).

يوم السبت السابع والعشرين لجمادى الثانية، عام أربعة وخمسين وستمائة، بحضرة
الموحدين أعزهم الله تعالى: مراکش، حرسها الله تعالى وأهلها، وكتبه بخط يده الفانية
عبد الله تعالى».

• وفي العصر المريني ازدهرت كتابة المصاحف السلطانية، فمثلا أشرف أبو
يعقوب يوسف على نسخ أربعة قرآنية رائقة الصنعة، وبعث بها هدية للمسجد الحرام
بمكة المكرمة، صحبة ركب الحاج المغربي عام 703 هـ/ 1304 م. من جهته، كتب أبو
الحسن المريني بخط يده أربع ربعات قرآنية، وشرع في الخامسة التي أتمها من بعده
ولديه أبي عنان وأبي فارس الأول⁽¹⁾. وعن هذا المصحف يقول الشاعر أبو الحجاج
يوسف الطرطوسي:

يا مصحفا ما رأى الرءاؤون في زمن شبيها له مصحفا من نسخ سلطان
فضيلة مثلها في الدهر ما عرفت من عهد عثمان إلا لابن عثمان

فوجهت الربعة الأولى إلى المدينة شرفها الله تعالى وهي الآن مستقرة بالحرم
الشريف النبوي، أدام الله بركة الانتفاع. ثم نسخ أبو الحسن ربعة ثانية توجه بها الفقيه أبو
الفضل محمد بن عبد الله بن أبي مدين العثماني، سنة اثنين وأربعين وسبعمائة⁽²⁾،
واصحبها هدية حافلة، وصلات لأهل الحرمين، واشترى ما حبس عليها، وحبس بفاس
ريعا خاصا بها. كما نسخ ربعة ثالثة حملها أبو المجد بن أبي عبد الله بن أبي مدين،
وعثمان بن يحيى بن جرار، واصحبها كذلك هدية كبيرة، وصلات للمجاورين للمسجد

(1) المنوني، محمد: «علاقات المغرب بالشرق في العصر المريني الأول»، مجلة دعوة الحق، العدد الخامس،
السنة الثامنة، 1981 (ص 62-63)

(2) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. تحقيق عبد
الهادي التازي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى 1964 الجزء 1 (ص 84).

الأقصى، واستقرت به، وذلك سنة خمس وأربعين، وحبس عليها كذلك. وهي الوحيدة التي لا تزال معروفة من بين الربعات التي نسخها هذا السلطان، وتحفظ اليوم بالمتحف الإسلامي بالقدس الشريف، وقد كانت تتألف من 30 جزءاً ضاع منها خمسة أجزاء، فعوضت بأجزاء مستحدثة بخط أحد المغاربة عام 1221 هـ⁽¹⁾. ثم شرع في نسخة رابعة لتوقيفها على الخليل، إلا أنها لم تكتمل ولم تتجاوز القطر التونسي نظراً للنكبة التي تعرض لها موكبه، فبقيت بتونس إلى أن استخلص منها أبو عنان ما استخلص، وزاد فيها قبل أن يتمها من بعده خليفته أبو فارس⁽²⁾.

• وفي العهد السعودي، يمكن الكلام عن مصحف الأمير زيدان المكتوب برسم خزانة السلطان أبي العباس أحمد المنصور بالله بن محمد الشيخ السعودي، المتوفى عام 1012 هـ/ 1603 م، ووافق تمامه يوم الأربعاء 13 ربيع الثاني، عام 1008 هـ/ 1599 م، بجامع الديوان الكريم، من قصور الإمامة العلية. ويحتفظ به حالياً في القسم العربي من مكتبة الإسكوريال بإسبانيا، تحت رقم 1340 من قائمة⁽³⁾.

• وفي العصر العلوي كانت عناية الملوك بنسخ مصاحف شريفة جد فائقة والتي كانت تُهدى أجملها لأمرأة مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما هو الشأن بمصحف الأمير علي ابن السلطان محمد بن عبد الله⁽⁴⁾ المؤرخ بعام 1142 هـ/ 1730 م والمؤلف من 420 ورقة ذات 18 في المسطرة ومقياس 25 19 x سم، والمكتوب بخط مغربي

(1) مخلص، عبد الله: «المصحف الشريف» صحيفة الفتح، السنة الخامسة، العدد 237 و238.

(2) ابن الخطيب، لسان الدين: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. الرباط مطبعة التقدم 1936 (ص 86 وص 107).

(3) Lévi Provençal E.: Les manuscrits arabes de l'Escorial. Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner (1928 pp. 34-36)

(4) المصحف مسجل بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 12643 وهو من ذخائر دار الكتب المصرية، ومحفوظ بها تحت رقم 25. فهرس دار الكتب المصرية الجزء 1 (ص 2).

مبسوط به ملامح كوفية، ومحلى ومنقوش بالذهب والألوان. وأول مصحف شريف طبع في هذا العهد بالمغرب كان سنة 1296هـ، بمطبعة الحاج الطيب الأزرق. واستمرت مسيرة كتابة كتاب الله حتى يومنا، حيث ظهر المصحف الحسنى، ثم جاء من بعده المصحف المحمدي نسبة إلى الملك محمد السادس.

ومن المظاهر الأخرى لعناية المغاربة بالمصحف الشريف يمكن ذكر على سبيل المثال لا الحصر التفنن في كتابة المصحف الشريف رسما وزخرفة وتنميكا، وخير دليل على تلك الذخائر الرائقة من المصاحف المغربية التي كتبت بالخط المغربي الأندلسي بكل أشكاله من المجوهر والثلث والمبسوط وغيرها بعد أن كانت المصاحف الأولى مخطوطة بالخط الكوفي القيرواني، وذلك في التزام تام بقواعد الرسم العثماني الذي حرص المغاربة أشد الحرص على احترامها واستنكار ما عداها من قواعد الإملاء العامة. وهكذا ظهر في كل عصر خطاطون متميزون أمثال: محمد بن حريز المعروف بابن تاخميست الفاسي المتوفى عام 608 هـ / 1212 م، وكان له خط حسن، يكتب به المصاحف القرآنية، ويهديها لمن يراه أهلا لها. وأحمد بن حسن الذي كتب وزخرف أربعة أبي يعقوب يوسف المريني⁽¹⁾. والخطاط محسن الذي يسميه ابن مرزوق «بالتجلي»، وكان منفردا بتجويد الخط المصحفي في عصره، وعنه تعلمه السلطان أبو الحسن المريني. محمد بن أبي القاسم القندوسي الفاسي، المتوفى عام 1278 هـ / 1861 م وكان له خط حسن جيد، كتب به عدة من دلائل الخيرات، وكتب مصحفا في اثني عشر مجلدا قل أن يوجد نظيره في الدنيا والذي يمتاز بفخامة الخط. ومحمد بن الحاج محمد الريفي التسماني (المتوفى بطنجة عام 1313 هـ / 1896 م)، كان يكتب المصاحف وغيرها بخط دقيق على ورق رقيق، فينجز مستنسخاته في حجم صغير جدا،

(1) المنوني، محمد: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين. الرباط، دار المغرب 1977 (ص 273).

يسعه داخل اليد، وكان له خط حسن⁽¹⁾. وفاطمة بنت علي بن محمد المثالي الزبادي، أخت الشيخ عبد المجيد الزبادي الشهير، والمتوفاة في عام 1142 هـ / 1730 م، والتي كتبت بخطها من القرآن الكريم، ما يربو عن 35 مصحفاً.

2. المصحف الشريف بالمغرب الأقصى، من الفهرسة اليدوية إلى الفهرسة الإلكترونية:

يتوفر المغرب على رصيد وثائقي مهم من التراث المخطوط، يعكس عمق الاهتمام بالمقروء لدى المغاربة عبر تاريخهم إنتاجاً وصناعة ومعرفة. ويتميز هذا التراث بغناه وتنوعه، سواء على المستوى المعرفي أو على المستوى الجمالي. بل ظل دوماً ذاكرة المغرب بامتياز، عند الخاصة والعامة على حد سواء. ويتوزع الرصيد الوثائقي للتراث المخطوط بين مكتبات عامة وخاصة، منها: الخزانة الحسنية بالرباط، المكتبة الوطنية بالرباط كذلك، خزانة القرويين بفاس، خزانة ابن يوسف بمراكش، الخزانة العامة بتطوان، خزانة الجامع الكبير بمكناس، وهناك الخزانات الوقفية أو الحسبية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والمكتبات التابعة لبعض الزوايا المنتشرة عبر أقاليم المغرب، إضافة إلى مكتبات خاصة في ملك أفراد وعائلات⁽²⁾.

(1) الكتاني، عبد الكبير بن هاشم: زهرة الآس في بيوتات فاس. مخطوط بالمكتبة الوطنية / الرباط الرقم 1281/ك طبع بالدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 2001 الجزء 1 (ص 369).

(2) تاوشخت، لحسن: «المكتبة الوطنية للمملكة المغربية»، دليل جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق 1429 هـ / 2008 م. الرباط، منشورات وزارة الثقافة 2008 ص 41 – 57 (ص 46-47).

الاسم	الانتماء	عدد المخطوطات	عدد المصاحف المخطوطة
المكتبة الوطنية للمملكة المغربية	مؤسسة عمومية	34000 عنوان	240
الخزانة الحسنية بالرباط	القصر الملكي	15000 عنوان	160
المكتبة العامة والوثائق بتطوان	وزارة الثقافة	3500 عنوان	49
خزانة القرويين بفاس	وزارة الثقافة	3823 مخطوط	119
خزانة ابن يوسف بمراكش	وزارة الثقافة	1840 عنوان	75
خزانة الجامع الكبير بمكناس	وزارة الثقافة	غير محدد	
مكتبة الإمام علي بن بشارودانت	وزارة الثقافة	172 عنوان	4
مكتبة الأوداية بالرباط	وزارة الثقافة	43 عنوان	2
خزانة تامكروت قرب زاكورة	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية	4184 عنوان	48
خزانة المسجد الأعظم بوزان	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية	1539 عنوان	70
خزانة أبي سالم العياشي	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية	1900 عنوان	7
الخزانة الحسنية بأسفي	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية	419 عنوان	12
خزانة المعهد الإسلامي بتطوان	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية	183 عنوان	2
المعهد الإسلامي بسلا	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية	149	3
مكتبة عبد الله كنون بطنجة	خاصة ومفتوحة للعموم	غير محدد	؟
مكتبة محمد داود بتطوان	خاصة ومفتوحة للعموم	"	؟
مكتبة بنسودة بفاس	أهديت للمكتبة الوطنية سنة 2010	476 عنوان	
المكتبة الصديحية بسلا	خاصة ومفتوحة أمام الباحثين	1337	3
مكتبة السقاظ	خاصة	1200 عنوان	62

وتعتبر الفهارس البوابة الأولى التي يلج إليها الباحث لمعرفة الموجود من المخطوطات ومكان وجودها والكيفية الأيسر للحصول عليها. ومن أجل تمكين المهتمين بالمخطوطات المغربية عامة والمحفظة منها خاصة بالمكتبة الوطنية، فقد أنجزت لحد الآن عشرة فهارس بالإضافة إلى فهرس مخطوطات مكتبة المولى زيدان السعدي بدير الإيسكوريال. وتماشيا مع الطفرة المعلوماتية، أضحت الفهرسة تكتسي اليوم طابعا إلكترونيا أكثر منها ورقيا:

(أ) الفهرس الأول⁽¹⁾: بدأت العناية بجمع وفهرسة المخطوطات العربية المغربية

(1) ليفي-بروفنصال (إ): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد الأول. راجعها صالح التادلي وسعيد المرابطي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 1997 (345 صفحة).

منذ سنة 1920 حيث وضع لها المستعرب ليفي-بروفنسال كشفا ضمن مجموعة مطبوعات معهد الدراسات العليا المغربية في الجزء الثامن الذي طبع بباريس سنة 1921 تحت عنوان «فهرسة أسماء الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية بعاصمة رباط الفتح المحروسة». وبلغ عدد المخطوطات المفهرسة والمبوبة بحرف الدال 531 مخطوطا من بينها مصحف قديم بخط كوفي يرجع تاريخ نسخه إلى سنة 197 هـ/ 814 م ويبتدئ من سورة الفاتحة إلى الآية 34 من سورة سبأ.

(ب) الفهرس الثاني⁽¹⁾: خرج سنة 1953 ويضم حوالي 1189 مخطوطا رقت ما بين رقمي 532/ د و 1720/ د بفضل ما استلمته الخزانة العامة من خزانة زاوية الشيخ ماء العينين بفاس ومن خزانة قصر مولاي عبد الحفيظ بطنجة ومن مكتبة قنصل فرنسا بالرباط ومن القسم الاجتماعي المغربي ومن بعض الكتيبين المغاربة. ويتضمن هذا الفهرس المصاحف المبوبة من رقم 2766/ د إلى رقم 2770/ د.

(ج) الفهرس الثالث⁽²⁾: ويشتمل على المخطوطات التي دخلت إلى الخزانة العامة ما بين سنتي 1945 و 1957 وعددها 1926 مخطوطا قسمت إلى مجلدين: اهتم الأول بوصف 1056 مخطوطا المرقمة من 2766/ د إلى 3721/ د والتي تناولت مواضيع علوم القرآن ومصطلح الحديث والتوحيد والمنطق والوعظ والتصوف. أما المجلد الثاني فيضم وصف 960 مخطوطا مرتبة من 3722/ د إلى 4681/ د والتي

(1) BLACHÈRE, R. et RENAUD, I-I.-P.-J : "Inventaire sommaire des manuscrits arabes acquis par la Bibliothèque générale du protectorat français au Maroc (années 1929-1930) », Hespéris. Tome 12 1931 1er fascicule (pp. 106 – 133).

(2) المشرفي (محمد): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. القسم الثالث (الجزء الأول) الرباط، مطبعة التومي الطبعة الأولى 1973 (407 صفحة).

توزعت حسب الفنون ابتداء من رسم القرآن الكريم، ولا يحتوي على أي مصحف شريف.

(د) الفهرس الرابع [الجزء الأول من القسم الثاني]⁽¹⁾: تناول المواضيع التالية: المصحف الكريم، القراءات، التفسير، الحديث، السيرة النبوية، التوحيد، التصوف، الأذكار، الفقه، النحو، اللغة، العروض والبيان. ووضع للمخطوط رقمان بارزان يشير الأول إلى الرقم الترتيبي للفهرس والثاني يؤكد رقم المخطوط في السجل العام. ويحتوي الفهرس على 16 مصحفا منها الكاملة تحت أرقام 968/د، 1309/د، 1336/د، 1338/د، ومنها المتضمنة لنصف القرآن الكريم: 1330/د، 1172/د، 743/د و 1337/د ومنها المقتصرة على بعض الأجزاء مثل 1509/د (الربع الأخير)، 1445/د (من سورة البقرة إلى سورة القارعة)، 1304/د (5 أجزاء ابتداء من سورة مريم)، 1184/د (من سورة البقرة إلى سورة آل عمران)، 637/د (من سورة يونس إلى سورة يوسف)، 1562/د من سورة عبس إلى سورة الكافرون)، 1520/د (من سورة القمر إلى سورة الحديد)، 1440/د (سورة يس).

(هـ) الفهرس الرابع [الجزء الثاني من القسم الثاني]⁽²⁾: اتبع نفس منهجية الجزء الأول ولم يختلف عليه إلا في المواضيع المتناولة، ولا يتضمن أي مصحف شريف.

(و) الفهرس الخامس⁽³⁾: تناول 914 نصا مخطوطا من مجموعة حرف الدال

(1) علوش، ي.س. والرجاجي، عبد الله: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزنة العامة بالرباط. القسم الثاني (الجزء الأول)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 2001 (469 + III صفحة).

(2) علوش، ي.س. والرجاجي، عبد الله: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزنة العامة بالرباط. القسم الثاني (الجزء الثاني)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 2001 (451 صفحة).

(3) الكتاني، محمد إبراهيم: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزنة العامة بالرباط. المجلد الخامس، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 1997 (376 صفحة).

والمرقمة من 3722 إلى 4635 والتي تم ترتيبها وفق الترتيب العربي واهتمت كل الفنون إلا المصحف الشريف.

ز) الفهرس السادس⁽¹⁾: اهتم بقسم الخزانة الكتانية التي نقلت إلى الخزانة العامة سنة 1959 وفيه تم دراسة 404 مخطوطا «من فئة حرف الكاف» وفق التسلسل التاريخي لوفاة المؤلف وضمنها مصنفين: الأول تحت رقم 136/ك ويتضمن من الآية 141 إلى الآية 250 من سورة البقرة، المصحف الثاني تحت رقم 145/ك ويبدأ من الآية 37 من سورة مريم إلى الآية 141 من سورة الصافات.

ك) الفهرس السابع⁽²⁾: ويهم وصف 270 مخطوطا من قسم وزارة الأوقاف «حرف القاف» من بين 1215 عنوان دون احتساب المجامع التي تتألف من أكثر من مخطوط والتي كانت موزعة قبل أن تودع بالخزانة العامة في مكتبات تابعة للمساجد والمدارس والزوايا. الفهرس لا يتضمن أي مصحف.

ل) الفهرس الثامن⁽³⁾: وفيه تم كشف النقاب عن خزانة العلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، ويتضمن هذا الفهرس على ما مجموعه 545 عنوانا من بينها مصحف واحد تحت رقم 1/ح أوله سورة الفاتحة وآخره الآية 15 من سورة مريم.

(1) المنوني، محمد: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد السادس (الخزانة الكتانية -1-)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 1999-2000 (214 صفحة).

(2) لمرابطي (سعيد): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد السابع (خزانة الأوقاف / حرف القاف -1-)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 2002 (458 صفحة).

(3) قسم المخطوطات: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط المجلد الثامن (مجموعة محمد بن الحسن الحجوي)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 2009 (537 صفحة).

م) الفهرس التاسع⁽¹⁾: يههم مخطوطات مجموعة محمد بن جعفر الكتاني وعددها 477 عنوانا ضمنها مصحف واحد يحمل رقم 138/ جك أوله سورة مريم وآخره سورة الناس.

3. مكنتة فهرسة المخطوطات:

تمكن فهارس المكتبة الوطنية والبليوغرافيات، من الوصول بسرعة للوثيقة أو المعلومة المبحوث عنها، سواء داخل المكتبة أو عبر الفهرس الإلكتروني. ويجد الباحث في فهرس المكتبة الوطنية رصيذا وثائقيا هاما، كمرحلة أولى، يشمل على الكتب الموجودة بالمكتبة الوطنية، إضافة إلى عدد مهم من الخرائط والتصاميم، وأيضا المخطوطات والوثائق المرقمة.

وتمكنت المكتبة الوطنية من إنجاز فهرس موحد ومتعدد اللغات، حيث يضم الوثائق القديمة والجديدة، ويساهم في البحث والتواصل والمحافظة على الرصيد الوثائقي. وقد اعتمدت في ذلك في بداية الأمر على نظام أكسيس «ACCESS» من خلال البرمجة أسفله، قبل أن تقتني نظاما معلوماتيا من صنف فرتويا «VIRTUA» واعتمادا على برمجة موحدة «UNIMARC» كما هو مبين أسفله.

(1) قيد الطبع، توجد نسخة إلكترونية له بموقع المكتبة الوطنية (المكتبة الرقمية).

[illegible]

وتمكن البرمجة الموحدة من الحصول على المعلومات الكافية عن كل مصحف شريف مفهرس، ولعل أحسن مثال في هذا الشأن هو مصحف الخليفة الموحي أبي حفص عمر المرتضى بن أبي إبراهيم بن يوسف بن يعقوب والمتوفى سنة 565 هـ/ 1267 م وقد كتبه بيده بتاريخ 7 شعبان عام 654 هـ/ 1256 م.

- اللوحة الأولى: عبارة عن المعلومات المتوفرة عن هذا المصحف في البحث الكامل وهي كما يلي:

المؤلف	عمر المرتضى الخليفة الموحي، أبو حفص عمر بن أبي إبراهيم بن يوسف (565 هـ / 1267 م)
العنوان	مصحف شريف [مخطوط]، العشر الثاني / أبو حفص عمر المرتضى المتوفى سنة 565 هـ / 1267 م
الناشر / الناشر	مراكش: عمر المرتضى، أي بخط المؤلف

الوصف المادي	3 أجزاء، 72 ورقة: تفصل بين آياته زهريات مذهبة وملونة أسماء السور والأجزاء، الختمة كتبت بخط الثلث المشرقي متضمنة اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانها في القرآن. الأرباع والأنصاف والأحزاب والسجديات كتبت بخط كوفي داخل تراجم ملونة. 29 سم / 22 سم.
-----------------	---

• اللوحة الثانية: عبارة عن كل المعلومات التي تم إدخالها وضبطها في البرمجة

المعلوماتية UNIMARC من نظام فيرتويا VIRTUA وهي كالتالي:

حقل	In 1	In 2	بيانات
001			vtls000093098
003			VRT
005			.020121125183100
039		9	\$y VLOAD \$b 201211251831 \$a user3 \$z 201102091149
100			d k y aray50 fa20110209 \$a
101	0		ara \$a
106			h \$a
140			b \$a
200	1		\$a مصحف شريف \$b مخطوط \$h العشر الثاني \$f أبو حفص عمر المرتضى المتوفى سنة 565هـ/1267م
210			\$a مراكش \$c عمر المرتضى أي بخط المؤلف
215			\$a 3 أجزاء، 72 ورقة \$c تفصل بين آياته زهريات مذهبة وملونة أسماء السور والأجزاء، الختمة كتبت بخط الثلث المشرقي متضمنة اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانتها القرآنية: الأرباع، الأنصاف، الأحزاب والسجديات كتبت بخط كوفي داخل تراجم ملونة \$d 29سم/22سم

300		\$a من النسخ السلطانية النادرة كتبت بخط المؤلف
304		\$a النسخة مبتورة الطرفين تنقصها «المقر بذنبه الراجي رحمة ربه عمر أمير المؤمنين المؤمن بالله عز وجل»
307		\$a كتب بخط مغربي مبسوط يميل إلى الأندلسي بحبر أسود، مشكول بالبنّي الفاتح، السكون والإدغام باللون الأخضر 9 \$a
316		\$a تجليد قديم يعود تاريخه إلى العصر الموحيدي بني مزخرف بماء الذهب. \$a جيدة
390		\$a يتبدى بقوله تعالى من سورة آل عمران : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾ آية 92
391		\$a ينتهي بقوله تعالى من سورة المائدة : ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ آية 81
610		\$a المصاحف
700	1	\$a عمر المرتضى الخليفة الموحيدي \$b أبو حفص عمر بن أبي إبراهيم بن يوسف \$f 565 هـ/1267م 4\$ 070
801	0	AFNOR \$g BNRM \$b MA \$a unimarc2\$
999		VIRTUA \$a
999		\$a VTLSSORT1000*1010*1060*14 00*2000*2100*2150*3000*3040 *3070*3160*3900*3910*6100*7 000*8010*9991

[illegible]

4. استعمال التكنولوجيا الحديثة في قراءة المصحف الشريف:

أ) تجربة المكتبة الوطنية في رقمنة المصحف الشريف:

تمكنت المكتبة الوطنية للمملكة المغربية في ظرف وجيز من مواكبة التطور السريع لوسائل الاتصال والمعلومات من خلال خلق مكتبة رقمية متعددة الوسائط لإعادة الاعتبار لرصيد الوثائقي، بما في ذلك خاصة مخطوطات المصحف الشريف، بالمحافظة عليها وتسهيل القراءة الافتراضية لها.

وفي هذا الصدد تمكنت المكتبة الوطنية من تجهيز مختبر عصري للرقمنة يعتبر الرائد على الصعيد الوطني، مما ساعدها على إطلاق عملية واسعة لرقمنة كل الوثائق المتوفرة لديها، وبالتالي تنمية المنتج الرقمي عبر بوابتها الإلكترونية.

• رهان الرقمنة بالمكتبة الوطنية:

من أجل التعريف بالمصحف الشريف بالمغرب، ولتوسيع دائرة المستفيدين منه، فإن المكتبة الوطنية اتخذت جملة من التدابير، منها إحداث بوابة المكتبة الرقمية المغربية لتمكين الجمهور الواسع من الوصول إلى المصاحف المرقمنة عن بعد، وتوسيع نطاق الخدمات وظفت فيه تقنيات حديثة ومتطورة على شاكلة التصفح الألي turning-page.

فالرقمنة تعتبر من المشاريع ذات الأولوية في المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، والهدف منها تعزيز والحفاظ على الرصيد الوثائقي وتسهيل الوصول عبر الإنترنت إلى هذا الرصيد التراثي، بما في ذلك المصاحف الثمينة، والهشة، والفريدة من نوعها، والنادرة.

وإذا كان المكتبة الوطنية للمملكة المغربية قد بدأت فعليا مع صدور الظهير الملكي المنظم لها بتاريخ 11 نوفمبر 2003 لتعوض بذلك ما كان يسمى بـ«الخزانة العامة للكتب والوثائق» الموروثة عن حقبة الاستعمار الفرنسي والتي أنشئت منذ سنة 1924، فإن المكتبة الرقمية المغربية لم تر النور سوى في سنة 2010 بعد إنشاء مختبر الرقمنة وتجهيزه بمعدات المسح الضوئي فضلا عن تكوين فريق عمل متخصص سنة 2009. وبدأ العمل في رقمنة المخطوطات والمجلات والكتب النادرة والخرائط والصور والأشرطة السمعية البصرية سنة 2011 فضلا عن تحويل النص الرقمي إلى نص عادي OCRisation، ومع بداية سنة 2012 تم الشروع في تحقيق الشطر الأول من رقمنة الرصيد المخطوط بالمكتبة الوطنية والذي يتجاوز عدد عناوينه 34.000 وذلك برقمنة مليون صفحة. ويهم الشطر الثاني مليون صفحة كذلك خلال السنة الجارية (2013)، كما تم اقتناء في نفس سنة 2012 معدات لتخزين الوثائق المرقمنة وتحديث البوابة الالكترونية للمكتبة الرقمية المغربية www.bnrm.ma/bnm

• سياق التحول الرقمي:

يأتي هذا التحول ضمن سيرورة مجموعة من المؤشرات أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- التطور السريع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات غيرت أنماط حياتنا،
- انطلاق شبكة المغرب الرقمي 2013،
- بلغ عدد المشتركين في الإنترنت أكثر من أربعة ملايين،
- يقدر عدد الهواتف الثابتة: 34 مليون والجوال: 35 مليون (115٪)،

- يتم اقتناء من الحاسوب 400.000 وحدة في السنة (منها 60% من نوع المحمول)،

- يبلغ عدد التسجيلات في النطاق الإلكتروني ma : 44.000 تسجيلاً،
- يقدر عدد المشتركين في صفحة الفيسبوك: أكثر من 5 ملايين ويحتل المغرب الرتبة 36 عالمياً، في حين يحتل الرتبة 5 في صفحة تويتر بـ 700.000 منخرط،

- في عام 2013 تم اعتماد شريحة التواصل الإلكتروني بالدفع المسبق G4 والآن يجري الحديث عن G5، بل وأصبح الحديث اليوم عن مكتبة 2.0 = مكتبة+ ويب 2.0.

• أهمية الرصيد الوثائقي للمكتبة الوطنية:

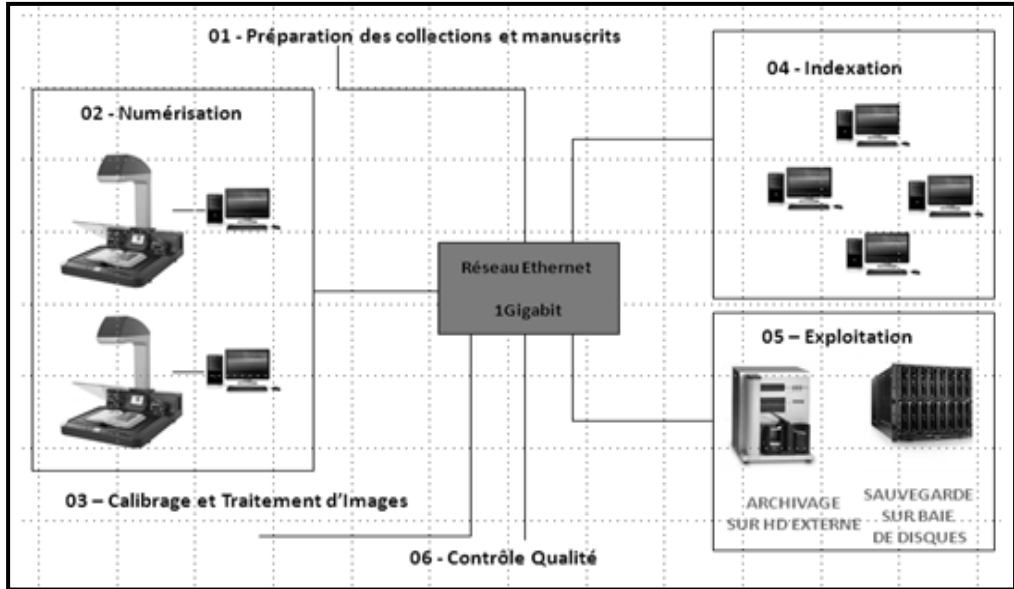
يشكل هذا الرصيد النواة الصلبة للتراث المكتبي بالمغرب ويتصف بسمعته الكبيرة سواء على الصعيد الوطني أو الدولي:

النوعية	العدد
المخطوطات	• 13.486 مجلدا (34.000 عنوان)
الكتب المطبوعة	• أكثر من 600.000 نسخة
المطبوعات الحجرية	• 615 عنوان (3.700 نسخة)
المجموعات المتخصصة:	• الصور الفتوغرافية: 10.000 • البطاقات البريدية: 5.284 • الخرائط والتصاميم: 4.269 • الصور على الزجاج: 900

• الرسومات: 800 • الصور المنقوشة: 400 • المسكوكات: 201 • قطع فنية: 95 • الملصقات: 92 • اللوحات التشكيلية: 84 - المجموع: 22.126	
• أكثر من 165.812 نسخة	المجموعات المهداة
• 19.974 • المجلات: 13.874 • الجرائد: 6.000	الدوريات
• أقراص DVD: 683 • أشرطة الفيديو: 119	الأشرطة السمعية البصرية
• أشرطة سمعية: 869 • أقراص دائرية صلبة: 442 • أشرطة مغناطيسية: 181	التسجيلات الصوتية
• أقراص صلبة: 2.099 • أقراص دائرية صلبة: 442 • أخرى (ألعاب، أقراص عادية...): 155	موارد إلكترونية

• مراحل الرقمنة:

- المسح الضوئي عبر أخذ الصور بالألوان من نوع TIFF غير مضغوطة من حجم 300 إلى 600 نقطة في البوصة،
- خدمة الصورة وضبطها،
- البيانات الوصفية من نوع XML،
- مراقبة جودة الصور،
- النشر على شكل JPEG أو PDF من حجم 72 نقطة في البوصة.



• المنتج النهائي:

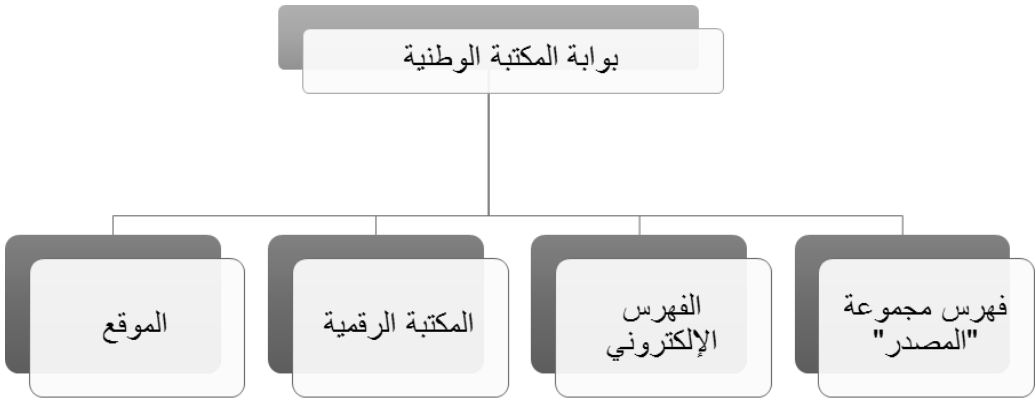
- * الحصول على الصور الملونة من المصاحف التي يتم مسحها ضوئياً
- إنشاء جداول التطابق بين الصفحات الفعلية والصفحات الإلكترونية؛
- إدخال المعلومات اللازمة لإنشاء نسخة رقمية؛

- الهيكلية حسب مخططات XML المقدمة؛
- ترفق كل صورة مرت عبر الماسح الضوئي بملف تعريف ICC Adobe RGB 98 لضبط شبكة الألوان؛
- إعداد البيانات لتيسير قراءة الملف على وسائط متنقلة؛
- إعداد بيانات الصورة والبيانات المرتبطة بها؛
- مراقبة الجودة وتوفير روابط التطابق؛
- التخزين؛
- إعادة العملية من البداية للمصاحف غير مضبوطة تصويرا وبيانات
- * بعد المعالجات المختلفة يتم الحصول على النتائج التالي:
- المصحف الرقمي والملفات المرتبطة والمقابلة، وملفات البيانات الوصفية التي تحتوي على عناصر تدبير النسخ المنتجة عن كل مصحف؛
- المصحف الرقمي ويتضمن البيانات الوصفية والتقنية والمعلوماتية؛
- دليل صور TIFF للحفظ [من حجم 300-600 نقطة في البوصة]؛
- دليل للصور المعدة للنشر والمناولة؛
- ترفق كل صورة رقمية بملف تعريف ICC لتدبير أفضل لشبكة الألوان؛
- إمكانية تحويل الملفات من نظام file system لتكون معتمدة من قبل AIX؛
- الوثيقة المعلوماتية وتحتوي على جميع الملفات المطابقة لمعالجة المصحف الرقمي.

* الوسائل التقنية المعتمدة في تصوير المصحف الشريف:

- ماسحات ضوئية A2 و A1 ذات 400 400 X نقطة في البوصة ومجهزة بكاميرا من نوع CCD والملتقطة لصور من حجم ما بين 200 و 600 نقطة في البوصة، وفي وقت يتراوح ما بين 3،4 ثانية بالنسبة للألوان و 1،4 ثانية للمستوى الرمادي. وهي كاميرا تتميز بقوة التحمل والمعاينة في الوقت الحقيقي مع المعايرة والتركيز التام وبنفس السرعة بغض النظر عن شكل المصحف. فضلا عن الاعتماد على محطة مدمجة ومنسجمة في المسح الضوئي وذات لون محايد يناسب بيئة العمل ولا يؤثر على تحليل الألوان. كما تتميز هذه الماسحات بالتلقائية في التشغيل والبديهة في التفحص، مع إمكانية تسمية الملفات الممسوحة ضوئيا لتسهيل البحث عن المستند المحتفظ به والاختيار في إخراجها وفق تنسيق متعدد إما TIFF أبيض وأسود G4 أو JPEG أو PDF أو A /PDF أو MRC/ PDF كما تتم معالجة الصور بالتناوب والتوسع، وضبط الحواف... على أساس تحقيق أعلى نسبة تشابه مع المصحف الأصلي وإمكانية قراءة وتسجيل الصور وتحويل صيغها إلى PDF أو PDF/A أو JPG أو JPG2000 أو TIFF، إلخ. هذا بالإضافة إلى استغلال الملفات وفق معايير دولية تعتمد على تحسين نوعية الخلفية والحد من الضوضاء وإنشاء الإشارات المرجعية وتحسين إمكانية قراءة المصحف، والتعرف الضوئي على الحروف ABBYY_OCR Fine Reader كما تسمح باستخدام محتويات هذا المصحف.

- التوزيع عبر بوابة المكتبة الوطنية:



- قائمة برامج ميكروسفت Microsoft المعتمدة لتشغيل وتطوير المكتبة

الرقمية المغربية:

➤ **Microsoft SharePoint Server**

➤ **Microsoft SQL Server**

➤ **Microsoft Windows Server**

➤ **Microsoft Visual Studio**

➤ **Microsoft Silverlight**

- المواصفات الفنية للبوابة:

* واجهتان: واحدة بالعربية والثانية بالفرنسية؛

* إطار التشكيل: محدد جدا؛

* اعتماد Back office لتدبير المكتبة؛

*محرك البحث في كل محتويات الموقع؛

*توفير ميزات «التصفح الآلي» "turnning page" ومكبر الصورة "zooming"؛

*استخدام تقنيات مايكروسوفت SQL Server – MOSS 2007 :

Silverlight - Open XML – 2005/2008 لتنسيق التخزين؛

المكتبة الوطنية للمملكة المغربية

Français | عربي

مساعدة | للاتصال بنا | موقع المكتبة | خريطة الموقع

الاستقبال | تقديم | بحث بسيط | بحث مفصل | بحث الدوريات | فهرس المكتبة

مجلات الكترونية

فهارس المخطوطات

الوثائق المرقمة

مكتبات الكترونية

المكتبة الوطنية تتيح لكم التوج إلى البانات الإلكترونية

Jstor
Atika
Revue.org
Persée
Erudit
DOAJ

مواقع هامة

مكتبة الرقعة الفرنسية
مكتبة الاتحاد الأوروبي الرقعة
Google books
دورلة رقمية
Med-Mem
المكتبة الرقعة العالمية
مجلات

فهارس المخطوطات المحفوظة بالمكتبة الوطنية لتتمسكة المغربية.

الأنشطة الثقافية

التوج إلى صفحة ندوات المكتبة الوطنية.

التوج إلى صفحة معارض المكتبة الوطنية.

مجلات
مخطوطات
مطبوعات حجرية
كتب
جورلة
مسمعي
وثائق مؤسسية
مجموعات خاصة
خرائط
صور فوتوغرافية
تخايل المكتبة الوطنية
مكتبات من المخطوطات
مكتبات من الخرائط
مكتبات من المجموعات الخاصة
كتور المكتبة
صور

جميع المحتوي محفوظة المكتبة الوطنية للسنة المغربية 2013

الاستقبال | إتصال بنا | خريطة الموقع

المكتبة الوطنية للمملكة المغربية

Français | عربي

مساعدة | للاتصال بنا | موقع المكتبة | خريطة الموقع

الاستقبال | تقديم | بحث بسيط | بحث مفصل | بحث الدوريات | فهرس المكتبة

مخطوطات

العنوان :
الموضوع :
رقم التصنيف :
المصدر :
الإطلاع على الوثيقة

مصنف كرم
المصاحف
ج 3
المكتبة الوطنية للمملكة المغربية

وتمكن كل هذه التقنيات من تسهيل الاطلاع على المخطوطات المرقمنة سواء بواسطة التصفح الآلي للورقات بواسطة الفأرة « Mouse » :



أو عن طريق تكبير الصورة لتدقيق المعرفة بكل حرف وكلمة:



ب) مراحل تحويل المصحف الشريف من حامل ورقي «مخطوط» إلى حامل صوتي:

• تحويل النص المخطوط إلى نص مطبوع: وتتم عملية التحويل هاته في الغالب عبر أربع مراحل أساسية هي:

- مرحلة الانتقاء: وتهتم تحويل المصحف المخطوط من الشكل الأصلي إلى شكل صورة رقمية، عن طريق جهاز استشعار الرؤية قد يكون عبارة عن كاميرا أو ماسح ضوئي.

- مرحلة المعالجة المسبقة: وتتعلق بإعداد البيانات للمرحلة الموالية «التجزئة»، بحيث تُقلص من خلالها كمية البيانات والاقتصار فقط على المعلومات المفيدة. ومن بين العمليات المستخدمة قبل المعالجة يمكن ذكر البحث عن الثنائية والتجانس، وعن التنظيم الهيكلي، والكشف عن الحروف، واستعادة الكلمات أو السطور.

- مرحلة التجزئة: وهي خطوة حاسمة تسمح بعزل عناصر المعلومات في الصورة والتي سيتم استخدامها في مرحلة الأخيرة «التعرف». وتتم التجزئة عموما عبر ثلاث مراحل: هم الأولى تقسيم النص إلى سطور، وتتعلق الثانية بتجزئة السطر إلى كلمات أو شبه كلمات، وتخص الثالثة بتجزئة الكلمة إلى أحرف. ويمكن استخدام عملية تجزئة الأحرف أو عدم استخدامها، من التمييز بين نهجين في مرحلة التعرف وهما: النهج الشامل والنهج التحليلي الذي يتطلب تجزئة الكلمة إلى أحرف.

- مرحلة التعرف: وتهتم بتحديد فئة العضوية في الشكل، وتعتمد على ثلاث مقاربات: المقاربة الإحصائية المؤسسة على العمليات الرياضية بهدف وصف الأشكال اعتمادا على نموذج احتمالي بسيط وبالتالي جمع الأشكال في فئات معينة. من بين

الأساليب المستخدمة في هذه المقاربة نجد K والقريبة إليها والمباشرة لها (K -ppv) والشبكات العصبية ونموذج ماركوف الخفي (H.M.M). وتبقى المشكلة في هذه المقاربة في وضع نموذج غير معروف في واحدة من الفئات التي تم الحصول عليها. أما المقاربة الهيكلية فتعتمد على استخراج الخصائص الأولية مع الأخذ بعين الاعتبار المعلومات الهيكلية (الهيكل الفيزيائي للأحرف). وتسمح هذه المقاربة عموماً، بوصف الأشكال المعقدة من الأشكال الأساسية. والفرق بين هذه المقاربة والمقاربة الإحصائية هو أن ميزاتها من الأشكال الأولية ذات نوع طوبولوجي وليس حسابي. وتوجد هناك العديد من التقنيات مثل أشكال الرسم البياني، التراكيب النحوية، وحساب مسافة الطبع بين سلسلتين والبرمجة الديناميكية، وأساليب الاختبار، المقارنة بين السلسلات.

إلا أن مشكلة التعرف بواسطة هذه المقاربة تتجلى في مقارنة سلسلة من الأوليات المستخرجة مع نماذج الحروف. أما المقاربة العشوائية فتأخذ بعين الاعتبار تنوع الشكل، وبالتالي تكون النماذج غالباً خفية. وتعتمد على نظرية ماركوف حول الحقول العشوائية وتقدير النظرية الافتراضية، وذلك لضبط الاختلافات المحلية وفق الخصائص العمومية. وتقوم هذه المقاربة على وصف الحالات بواسطة احتمالات التحول واحتمالات المراقبة لكل حالة. المقابلة تركز على البحث في الرسم البياني للحالة، ومسار الاحتمال المتطابق مع مجموعة من العناصر الملاحظة في سلسلة الدخول. الأساليب الأكثر استخداماً في هذه المقاربة هي تلك المعتمدة على نظرية ماركوف (H.M.M). وتجدر الإشارة إلى أن النتيجة المحصلة في مرحلة التعرف تمكن من نسخ المصحف المخطوط إلى نص عادي وفق أحرف الطباعة.

• تحويل النص المكتوب للمصحف إلى نص صوتي:

لضمان هذه الخطوة تم تصميم العديد من البرمجيات (Dspeech, All to text...) وبالاعتماد على مجموعة متنوعة من اللغات (العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية...). وبخلاف النصوص اللاتينية، فإن تحويل النصوص العربية في المصحف الشريف إلى الصوت لا يزال ناقصا، ويرجع ذلك أساسا إلى نوعية الخط العربي المتمسم أساسا بأحرف تحمل علامات الشكل، مما يؤدي إلى إعطاء الكلمة الواحدة أشكالا مختلفة نطقا وتأويلا. ومع ذلك فإن العديد من الأبحاث والدراسات تنكب حاليا على تجاوز هذه الإشكالية، وبالتالي على حسم مسألة التعرف على الأحرف العربية بواسطة تقنية OCR أو ICR، سواء كان ذلك على مستوى تحويل النص المخطوط إلى نص طباعة أو على مستوى تحويل النص المخطوط إلى نص صوتي.

خاتمة

منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأقصى، احتل القرآن الكريم مكانة مركزية لدى عموم المغاربة، وصار مدار دينهم وديانهم. وعلاوة على ارتباطهم العقدي والروحي به، حفظا وتفسيرا وتجويدا، انبرى الخطاطون منهم لإحاطته بمختلف مظاهر العناية الجمالية كتابة وزخرفة وتسفيرا، مما راكم على امتداد الحضارة المغربية ذخائر نفيسة من المصحف الشريف، بحيث تحقق فيها على نحو مرهف وعظيم ذلك الاقتران الأسمى بين الديني والجمالي. وإذا كانت كتابة أولى المصاحف المغربية قد توافقت في معظمها مع قراءة الإمام حمزة التي كانت سائدة في أقطار المغرب، فإنها استقرت بعد ذلك على قراءة الإمام نافع من رواية تلميذه ورش، وكانت في أغلبها مكتوبة بالخط

الأندلسي أو المغربي، مثلما تم شكلها في الحقب الموحدية والمرينية والسعدية مع إضافة لونين جديدين هما الأزرق والأخضر لرسم التشديد والسكون الحي. وعلاوة على المصاحف التي تمت كتابتها أو طباعتها حجريا، اغتنت الذخيرة المغربية بالمصاحف المخطوطة التي جلبها المغاربة طيلة العصور الماضية من رحلاتهم الحجية والعلمية، مما تزرخر به بعض الخزانات العمومية والخاصة.

واليوم وفي ظل العولمة، أصبحت الرقمنة واحدة من أولويات الدول التي قبلت التحدي المتمثل في الانخراط في مجتمع المعرفة، وبالتالي تقعيد الحق في الوصول إلى المعلومة. ويبقى في نهاية المطاف الهدف الرئيسي من الرقمنة هو المحافظة على الخصوصية المميزة لكل دولة ومجتمع ومؤسسة والمتمثل في طبيعة تراثها الثقافي والفكري. هذا الرصيد الوثائقي الذي يجب الحفاظ على أصوله وبالتالي توفير نسخة رقمية لها سواء للتخزين أو للتداول أو هما معا وخاصة بالنسبة للوثائق الهشة والصعبة التداول مثل المخطوطات عامة وخاصة منها ما يتعلق بكتاب الله عز وجل الذي يتميز بغناه رسما وزخرفة، بل ومجبرين للمحافظة عليه مصداقا لقوله سبحانه وتعالى في سورة الحجر (الآية 9): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. كما تهدف الرقمنة إلى مناولة الوثيقة ونشرها عن بعد عبر وسائط الاتصال الحديثة دون الحاجة إلى التنقل ولفائدة عدة قراء افتراضيين في نفس الوقت. وهي تسمح كذلك في استغلال المحتوى للوثيقة في شكلها كصورة أو بتحويلها بواسطة عمليات تكنولوجيا المعلومات والاتصال إلى شكل نص مكتوب أو نص صوتي يمكن التعامل معه بكيفية أو بأخرى. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة والتنويه لما تقوم به مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف المحمدي من أعمال جلية ليس فقط في طبع ونشر المصحف المحمدي في مختلف تجلياته ولكن بشكل خاص في إعداد مصحف محمدي رقمي رائع جدا، يمكن

تصفحته عبر تطبيقات الهاتف المحمول. هذه التطبيقات تتوفر على مميزات كثيرة سواء في القراءة للمصحف أو الحفظ أو الاستماع إليه صوتياً أو البحث أو الانتقال عبر السور والآيات والصفحات والأجزاء أو عبر وسيلة تكبير الصورة وغيرها من التحديثات التي يشهدها هذا التطبيق كل حين.



المصادر والمراجع العربية

1. ابن أبي زرع، علي الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. راجعه عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، المطبعة الملكية 1999.
2. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. تحقيق عبد الهادي التازي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى 1964 الجزء 1.
3. ابن سمالك العاملي المالقي: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. الرباط مطبعة التقدم 1936.
4. ابن خلدون، عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت، دار الكتاب اللبناني 1956-1959، الجزء السابع.

5. ابن عبد الملك، المراكشي: الذيل والتكملة. مخطوط المكتبة الملكية رقمه 269 الجزء الأول.
6. ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار المغرب. الجزء 3 «تاريخ الموحدين». تحقيق أميروي هوسي ميراندة ومحمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتاني. تطوان، نشر معهد مولاي الحسن، دار كريماديس للطباعة، المركز الجامعي للبحث العلمي ودار ويلي للطباعة والنشر 1960.
7. ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة. تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلس (بدون تاريخ) (ص 439)، المراكشي: المصدر السابق.
8. ابن القاضي، أحمد المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس. الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة 1973-1974.
9. تاوشخت، لحسن: «المكتبة الوطنية للمملكة المغربية»، دليل جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق 1429 هـ/ 2008 م. الرباط، منشورات وزارة الثقافة 2008 (ص 41-57).
10. الزباني، أبو القاسم: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف. تحقيق رشيد الزاوية. الريصاني، نشر مركز الدراسات والبحوث العلوية 1992.
11. العبادي، أحمد مختار: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس. مطبعة جامعة الإسكندرية 1958.
12. علوش، ي.س. والجرجاجي، عبد الله: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. القسم الثاني (الجزء الأول)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 2001 (469 + III صفحة).

13. علوش، ي.س. والرجراجي، عبد الله: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. القسم الثاني (الجزء الثاني)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 2001 (451 صفحة).
14. فهرس دار الكتب المصرية الجزء 1.
15. قسم المخطوطات: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط. المجلد الثامن (مجموعة محمد بن الحسن الحجوي)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 2009 (537 صفحة).
16. الكتاني، عبد الكبير بن هاشم: زهرة الآس في بيوتات فاس. مخطوط بالمكتبة الوطنية/ الرباط الرقم 1281/ ك طبع بالدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 2001 الجزء 1.
17. الكتاني، محمد إبراهيم: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد الخامس، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 1997 (376 صفحة).
18. الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس. الدار البيضاء، دار الثقافة 2004 الجزء 2.
19. لمرابطي (سعيد): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد السابع (خزانة الأوقاف/ حرف القاف -1-)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 2002 (458 صفحة).
20. ليفي-بروفنصال (إ): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد الأول. راجعها صالح التادلي وسعيد المرابطي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 1997 (345 صفحة).

21. مخلص، عبد الله: «المصحف الشريف» صحيفة الفتح، السنة الخامسة، العديدين: 237 و238.
22. المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة مطبعة السعادة 1949 الجزء 1.
23. المشرفي (محمد): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. القسم الثالث (الجزء الأول) الرباط، مطبعة التومي الطبعة الأولى 1973 (407 صفحة)
24. المنوني، محمد: «معرض المخطوطات العربية بمكناس» مجلة تطوان، العدد 3-4، 1959 (ص 97-98).
25. المنوني، محمد: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين. الرباط، دار المغرب 1977.
26. المنوني، محمد: «علاقات المغرب بالشرق في العصر المريني الأول»، مجلة دعوة الحق، العدد الخامس، السنة الثامنة، 1981 (ص 62-63).
27. المنوني، محمد: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد السادس (الخزانة الكتانية - 1-)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 1999-2000 (214 صفحة).
28. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. الجزء 7 «الدولة العلوية»، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء مطبعة دار الكتاب 1956.

29. وزارة التهذيب الوطني والشبيبة والرياضة: قائمة لنوادير المخطوطات العربية المعروضة في مكتبة جامعة القرويين بفاس بمناسبة مرور مائة وألف سنة على تأسيس هذه الجامعة. الرباط 1960.

30. الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد: المعيار المغربي والمختار المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب. مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط الجزء 7 رقمه: 4015/د.

المصادر والمراجع الأجنبية:

○ BLACHÈRE, R. et RENAUD, I.-I.-P.-J : "*Inventaire sommaire des manuscrits arabes acquis par la Bibliothèque générale du protectorat français au Maroc (années 1929-1930)* », *Hespéris*. Tome 12 1931 1^{er} fascicule (pp. 106 – 133).

○ Deverdun, Gaston et Ghiati, Mhammed Ben Abdeslem: "deux tahbis almohades, milieu du XIII^e siècle J.-C.", *Hespéris*, Tome 41, année 1954, 3^e et 4^e trimestres (pp. 411 – 423).

○ Lévi Provençal E.: **Les manuscrits arabes de l'Escurial**. Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner(1928 pp. 34-36.)

